بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله وأصحابه ومن اقتفى اثرهم واهتدى بهديهم أجمعين الى يوم الدين ٠

أما بعد ٠ فقد انزل الله تعالى القرآن على عبده محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ليكون للعالمين نذيرا ٠ فقام به صلى الله عليه وسلم مدة حياته بشيرا ونذيرا ٠ وقام بعده الصحابة الكرام والتابعون لهم والعلماء الاعلام يفهمونه للناس تاويلا وتفسيرا ٠ فنوّروا الدنيا بنور هدايته تنويرا ٠ وحيث ان معاني القرآن الكريم تتجدد بتجدد الايام والازمان ٠ ويزداد معانيه كلما ازداد العلوم والعرفان ٠ فلا يزال الناس بحاجة الى تطوير تفسيره فى كل زمان وتفهيمه حسب عقلية الانسان التى تتطور بتطور الزمان ٠ وقد فتحت وزارة الاوقاف والشؤون الدينية فى بغداد المحروسة فى ١/١٠/١٩٨٣ دورة تطويرية أمدها ستة أشهر لأئمة وخطباء بغداد الذين هم لايزالون فى فترة الشباب ويتشوقون الى زيادة الفهم من ذلك الكتاب ٠ وقد فزت بشرف الاختيار كمحاضر فى تلك الدورة الشريفة ٠ وزدت شرفا بما اسند الى تفسير هذا الكتاب المتين ٠ وبعد التداول والتشاور قررنا تفسير جزء عم ٠ لما فيه مايرسخ الايمان والاعتقاد ٠ ويذكر الانسان بيوم المعاد وان هذا الزمان استولت فيه المادة على الاذهان حتى كاد أن ينسى بل نسى كثير من بني الانسان كل ماوراء الطبيعة والمحسوسات وغفل عن التفكر في

الحياة بعد الممات • فبدأت القى عليهم محاضرات عن ظهر القلب فكان يسنح بالبال مايثلج الخواطـر والحمد لله • فاقترح السادة الأئمة أن اكتب لهم ما القى من المحاضرات • فى كتاب • ليبقى ذلك تذكرة وذكرى بين الاحباب • ولعل ان يستفيد منها غيرهـم مـن الاصحاب • ولانه حيث صعب حفظه فى الصدور فليبق محفوظا فى السطور • ولقد قيل قديما :

العلم صيد والكتابة قيده

قيد صيودك بالحبال الموثقة

فوقع اقتراحهم منا موقع الاحترام وعـزمت عـلى ذلك وشددت الحزام فكتبت بحمد الله تعالى ما ان جمع يكـون رسالـة قيمة فى التفسير • ومقبولة عند أهل الانصاف والتقدير • فجمعتـه بـاذن الله وتوفيقه وسميته تفهيم الأمة فى تفسير جزء عم • فها هو ذلك الكتاب اقدمه الى أولي الالباب رجـاء أن يدعـوا لى بخير كثير • وأن ينبهونى على الخطأ والزلل • والتقصير • لان هذا هو ماكـان فى وسعى (ولا تكلف نفس الا وسعها) وسلام على المرسلين وعليكم وعلى جميع المسلمين والحمد لله رب العالمين •

اخوكم محمد الباليسانى

سورة النبأ

« مكية نزلت بعد سورة المعارج وهى أربعون آية »

بسم الله الرحمن الرحيم

« عَمّ يتساءلونَ » عَمّ أصله عن ما ثم قلبت النون ميما فادغم فيه فصار عما ثم حذف الألف فصار (عمّ) أى عن أى شىء [يتساءلون] أى يسأل أهل مكة بعضهم بعضاً .

تمهيد

ان أول ماجاء به الرسول صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلم كان دعوته الى أمور ثلاثة :

الاول : الايمان بالله تعالى وتوحيده بالعبادة وترك ماسواه من الاصنام والاوثان .

الثانى : انه رسول من الله تعالى وان القرآن الذى يتلوه عليهم هو من الله تعالى فعليهم العمل به واتباع مافيه .

الثالث : الايمان بأن الانسان بعد موته يحيى ويسئل وانه سيأتى يوم يزول فيه هذا الكون ويبدل بغيره ويبعث كل الناس فى ذلك اليوم ويحاسبون على عقائدهم وأعمالهم ثم يقضى بينهم ففريق

فى الجنة وهم المؤمنون الصالحون وفريق يساقون الى النار وهم الكافرو نالمجرمون ·

فاكثر ما أشغل بال القوم هو الاخبار عن يوم القيامة وعمّا يخبر عنه محمد (صلى الله عليه وسلم) مما تقع فيه من وقائع عظيمة ومن الحياة بعد الموت والحساب بعده فكان يسال بعضهم بعضاً انكاراً وأستهزاء بما يقول محمد لا للعلم به وللوصول الى مايوجب الايمان به فاراد الله تعالى ان يثبت لهم ذلك اليوم ويفند انكارهم مفتتحاً الكلام بالاستفهام لان الاستفهام يفتح الآذان وينبه القلوب فيصغون الى مايتلى عليهم بعد الاستفهام فقال تعالى [عَمّ يتساءلون] وهذا الاستفهام ليس على معناه لان الاستفهام من الله محال حيث لايخفى عليه شىء فيستفهم منه بل كل مايرد من استفهام من الله تعالى فأما لأنكار ما بعده أو تقريره أو تثبيته أو للتوبيخ والتكدير وغير ذلك مما يعلم بحسب المقام من الكلام فهذا الاستفهام ورد لتوبيخهم عن هذا التساؤل الرامى الى انكار ما أخبر به الرسول والاستهزاء به من انذارهم بيوم القيامة واخبارهم بمجيئه ثم يجيب تعالى عن هذا الاستفهام ويبين ما يتساءلون عنه توطئة للاستدلال عليه واقناع العقول السليمة بامكان مجيء ذلك وانه يأتى فقال :

[عن النّبأ العظيم]

أى يسال بعضهم بعضا عن الخبر العظيم وهو يوم القيامة وصف هذا الخبر بالعظيم لانه عظيم بما يقع فيه من حوادث من ثواب المؤمنين وعقاب الكافرين ولان فيه حوادث عظيمة جدا يندهش منها القلوب وتتحير منها العقول كيف لا وان هذه السماء

العظيمة تنشق وتنفطر وهذه الشمس المضيئة ، يزول ضوئها وتزول هي ايضا وان هذه الكواكب يتساقط بعضها على بعض وان هذه النجوم تنكدر فيزول وميضها كما تزول ذواتها وان هذه الجبال تصير هباء منثورا وان البحار تنقلب بحارا من نار بعد ماكانت بحارا من ماء وانه يموت فى ذلك اليوم كل حي ثم يبعث كل ميت ويحاسب كل امرىء على ما اكتسب فى الدنيا ويجازى عليها ان خيرا فخير وان شرا فشر • نعم نبأ عظيم محال بالنسبة للقلوب المريضة والعقول السقيمة ولكنه بالنسبة لمن يؤمن بالله وقدرته القاهرة فليس بعظيم محال يتعجب منه فان القدرة التى احدثت هذه الاشياء كلها هى التى تقضى عليها وتبدلها الى غير ماهى عليه الان •

[الذى هم فيه مختلفون]

(الذى) النبأ العظيم الذى (هم) أهل مكة (فيه) فى مجئه (مختلفون) بين مؤمن به ومنكر له ومتردد فيه ثم قال تعالى :

(كَلاَّ سَيَعْلَمُونْ ، ثُمَّ كَلاَّ سَيَعْلَمُون)

(كلا) ردع للمنكرين لهذا اليوم أى فلينتهوا عن انكارهم لانهم (سيعلمون) حقية هذا اليوم ونتيجة انكارهم له (ثم كلاّ) فلينتهوا عن الانكار لانهم سيعلمون حقية هذا اليوم ويعلمون نتيجة انكاره • هذا وفى تكرار جملة كلا سيعلمون أقوال :

احداها انها كررت للتاكيد والتقوية • الثانى ان المراد بالاول سيعلمون حقية هذا اليوم ونتيجة انكاره بعد الموت وبالثانى سيعلمون ذلك عند الحشر والحساب فيكون وعيدا بالعذاب لهم

فى المرحلتين الثالث ان الاول موجه الى المنكرين ووعيد لهم بالعذاب نتيجة انكارهم هذا اليوم والثانى موجه للمؤمنين وبشرى لهم بالثواب فى ذلك اليوم ·

ويمكن أن نقول ان المعنى (كلا) فلينتهوا عن الانكار لانهم سيعلمون حينما تفكروا فى الادلة التى تدل على مجىء هذا اليوم (ثم) ان لم يعلموا بهذه الادلة لعدم التفكر فيها او للاستكبار والعناد سيعلمون حقيته عندما يموتون ويلاقون عذابهم على انكارهم هذا ، ثم بعدما ذكر اختلافهم فى يوم القيامة وردعهم على انكار مجيئه واستبعادهم خراب هذا الكون وتبديله بكون آخر واحياء الموتى بعدما اصبحوا ترابا ذكر مايدل على امكان ماستبعدوا ويثبت مجىء يوم القيامة والمحشر والحساب فقال تعالى :

[ألم نجعل الأرض مهاداً]

استفهام تقرير والمعنى نحن جعلنا الارض مهادا أى فرشا يسكن الناس عليها فمن استطاع ان يصنع فرشا يسكن الناس عليه يستطيع أن ينقضه ويبدله بما هو مثله أو خير منه :

[والجبال أوتاداً]

اى نحن جعلنا الجبال مثل الاوتاد ونصبناها على الارض لئلا تتحرك وتضطرب وتميل فالذى وضع هذه الاوتاد لقدير أن يزيلها ويجعلها هباء منثورا ·

[وخلقناكم أزواجا]

أى نحن خلقناكم من العدم وجعلناكم أزواجا من وجوه شتى

حيث جعلناكم ذكراً وأنثى وقـويا وضعيفا وغنيا وفقيرا واسود وأبيض واحمر واسمر وحسان الوجوه وغيرها وطـويلا وقصيرا وبدينا ونحيلا الى غير ذلك مما يختلف ويتميز به أنسان عن أنسان فالذى استطاع أن يخلقكم هكذا من قطرة مـاء فى ظلمة البطـن والرحم لقدير أن يعيد اليكم الحياة من جزء باق فى ظلمة القبر وبعد الممات ويسمى ذلك الجزء بعجب الذنب ٠

[وجعلنـا نومكم سباتـاً]

أى ونحن جعلنا نومكم الذى يعتريكم كل يوم مرة أو مرتـين انقطاعاً عن الحركة والعمل ثم تعودون الى ماكنتم عليه من الحركة والعمل فكذلك الموت انقطاع عن الحركة والعمل فتعودون بعد ذلك الى حركتكم وعملكم فالنوم هو الموت الصغير خلقـه الله تعالى ليستدل به الانسان على تجدد الحياة والحـركة بعـد المـوت مثـل مايتجدد الحركة بعد النوم الذى تنقطعون فيه من العمل ٠

[وجعلنا الليل لباساً]

يستركم كما يستركم اللباس ٠

[وجعلنـا النهـار معاشاً]

زماناً لتحصيل النفقة وللحركة والعمل فيه فكما ان الليـل والنهار يتعاقبان وهما متضادان لانهما ظلمة ونور وحركة وسكون وانقطاع من العمل والحركة ثم الاشتغال بهما فكذلك يتعاقب عليكم الموت والحياة فكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعـون ٠

[وبنينا فوقكم سبعاً شداداً]

اى بنينا فوقكم سبع سموات شداداً ، قال محمد عبده :ـ المراد بها الكواكب السبع السيارة وهى القمر ثم العطارد ثم الزهرة ثم الشمس ثم المريخ ثم المشتري ثم زحل وقد خلق فوقها أكثر من هذا بكثير وبحيث لايحصى الا ان هذه الكواكب كانت أظهر للناس فلذا خصها بالذكر » أ · هـ

ولكن الحق ان المراد به سبع سموات فوق الكواكب وتحت العرش والكرسى وهى السبع السماوات الطباق التى يخبر عنهـ الله تعالى بأنها محفوظة الا ان العلم لم يصل الى كشفهـا الى الان وسيصل اليها انشاء الله تعالى والاستدلال بها على قدرة الله تعالى كان لما كان الناس يعرفون وجود هذه السماوات السبع من بقايا عقائد أخذوها من الكتب السماوية السابقة فاستدل بأن من خلق هذه السماوات الشديدة والعظيم خلقها لقدير على ان يحييكم بعد الموت ويحاسبكم بعد الفوت وان ذلك عليه يسير ·

[وجعلنا سراجاً وهاجاً]

أى وخلقنا فى السماء سراجا شديد الأضاءة وهى الشمس وهذا دليل على ان ليس المراد بالسبع الشداد الكواكب السيارة لانه حينئذ يكون ذكر خلق الشمس مرة أخرى تكرارا فالذى خلق هذه الشمس الوقادة المضيئة وأوقفها فى هذا الفضاء بدون عماد لقدير أن يزيلها ويخلق بدلها شيئا آخر للاضاءة والتنوير كما قال تعالى فى سورة الزمر « وأشرقت الارض بنور ربها » اى بدلا عن نور الشمس والقمر الذين كنتم تستنيرون بهما فى الدنيا ·

[وأنزلنا من المعصرات]
ـ ماءً ثجاجاً ـ

أى انزلنا من السحب التى يعصر بعضها بعضا فيخرج منه الماء فينزل بهذا النظام • (ماء ثجاجاً) أى منصبا بكثرة وشدة ذكر الله تعالى خلق المطر وانزال الماء من المعصرات بعد خلق الشمس لان للشمس دخلا فى وجود المطر بأمر من الله تعالى وذلك لان اشعة الشمس تضرب البحر فتحمى ماءها فيصعد منه البخار فيصبح سحاباً ثم يبرد فيضغط بعضه بعضا فيعصره فينزل منه الماء الذى ينتج من البخار الذى برد فان الماء حينما حمي يصير بخارا وحينما يبرد يرجع ماء فالذى خلق هذا النظام وخلق هذه الاحالة والاعادة من ماء الى بخار ثم الى سحاب ثم الى ماء ثم الى بخار مرة اخرى وهلم جرا لقدير أن يعيد الحياة الى الاموات فانه اعادة بعدالاحالة ايضا فحينما تتيقنون ذلك فلم لاتؤمنون بهذا ايضا ان هذا الاضلال مبين •

« لنخرج به حباً ونباتا وجنات ألفافاً »

اى انزلنا هذا الماء والمطر ليسقي الارض فنخرج به حباً تقتاتون منه ونباتاً تاكلونه أنتم وانعامكم وجنات كثيرة كثة ملتفة أغصانها بعضها مع بعض وعملنا لذلك النظام البديع والخلق العجيب يدل على قدرتنا على الاحياء بعد الموت والاعادة بعد الفوت •

« تبيه »

ان فى قوله تعالى « لنخرج به حباً ونباتاً وجنات ألفافا » لدليل واضح على امكان الحياة بعد الموت وعلى مجيء يوم القيامة فان النباتات والحبوب والاشجار والاثمار كلها يتكرر فيها الحياة بعد الموت والموت

بعد الحياة ثم الحياة مرة أخرى فى كل سنة وهى ظاهرة أمامعيوننا وغير خافية علينا ولا ينكر ذلك أحد ، فان النبات والشجـر كلهـا ينبت من البذر والبذر يبلى تحت الارض وفى ظلمتها ثم ينمو ويعيش ويزيد ويثمر ويعطى الثمار والحبوب ثم يزبل فييبس ويموت وتصير هشيما تذروه الرياح ثم يعود وينبت مرة أخرى ويثمر وينتج وهكذا دواليك كل سنة واصبحت من البديهيات ، فمن قدر عـلى هذه الاماتة والاحياء ثم الاماتة والاحياء الذى يتكرر امام اعيننا كل سنة فلـم يتعجب المرء من احياءه الانسان بعد الموت ان هـذا الاضـلال مبين ونقيصة فى العقل والتفكير ، وأشار الله تعالى الى ذلك بقوله فىسورة الاعراف فقال وعز من قائل « وهو الذى يرسل الرياح بشـرا بـين يدي رحمته حتى اذا أقلت سحاباً ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون » ٠

وفي سورة الحج أيضا في قوله تعالى « يا أيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الارحام مانشاء الى اجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم بعدم علم شيئا وترى الأرض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج ذلك بأن الله هو الحق وانه يحي الموتى وانه على كل شيء قدير » ٠

« خاتمـة »

أشار الله تعالى من أول السورة الى قوله وجنات الفافا الى دلائل يثبت بها ثلاثة مقاصد عالية من الدين ٠

الاول : وجود الله تعالى ٠

الثاني : امكان الاحياء بعد الموت ٠

الثالث : وقوع الاحياء بعد الموت ومجيء يوم القيامة ٠

فلنبدأ بتوضيح كيفية الاستدلال فى هذه الآيات على تلك المقاصد :

الاول : ان الله تعالى يقول ان هذه الارض الكبيرة التي وقفت في الفضاء بدون أعمدة وأجهزة والتى فيها هذه الركائز المفيدة والمعادن الكثيرة المختلفة والتى تسكنون وتعيشون عليها كما يسكن ويعيش المرء على الافرشة والبساط ، وهذه الجبال المختلفة فى اللون والحجم والطول والقصر والارتفاع التى نصبت على هذه الارض فاصبحت كالأوتاد للأرض تمنعها من الاضطراب والحركة والميلان وان وجود هذا الانسان الذى لايحصى أفراده ويختلف ويتميز كل فرد منه عن غيره من الافراد والذى ازدوج افراده فى الجنس واللون والشكل والخصائص والصفات وان منامكم الذى يستولى عليكم فيجعلكم كالاموات معطلين عن الحركة والعمل ثم نهوضكم وعودكم الى ماكنتم عليه من الحركة والاعمال وخلق هذا الليل المظلم الذى يضطر المرء فيه الى السكون وعدم العمل وان هذا النهار المضيء الذى ينطلق فيه كل حي لتحصيل رزقه وتحقيق مآربه وما يهوى اليه وان هذه السموات السبع الشداد التى بنيت فوقكم ووجود هذه الشمس الوقادة المضيئة وان هذه السحب التى تنزل منها المطر كلما احتيج اليه وان هذا المطر الذى ينزل فيحرك الارض ويخرج منها الحبوب والنباتات والاشجار فتاكلون وتتمتعون به أنتم وأنعامكم ان هذا الصنع العجيب الذى

يدهش كل متفكر فيه ويحير كل عاقل ينظر اليه وان هذا النظام البديع الذى ليس فى الامكان أبدع مما كان يدل بوضوح على انه لم يأت الى الوجود بنفسه ولا بالصدفة ولا بالطبيعة العمياء الجهلاء بل لابد وأن يكون هناك صانع حكيم وخالق قدير ومدبر عليم صنع هذا الصنع العجيب ووضع هذا النظام البديع وهو الله ٠ فانه لو قيل لأى انسان حتى الاطفال ومن لاعقل له بأن هذه الابرة وجدت بدون صانع أو ان هذا السرير صنع بدون تجار أو أن هذا الباب بدون حداد و ٠٠٠ و ٠٠٠ لنسب الجهل والجنون وعدم العقل الى هذا القائل فمن قال بوجود هذا الكون العظيم بدون صانع قدير عليم حكيم أولى بأن ينسب الى عدم العقل والسفه والجنون ٠

[حكاية]

كان مدرس يدرس الطلاب فى مدرسته وكان فى الغرفة التى يدرس فيها رف ينظم الاستاذ أشياء ويضعها عليه ٠ فألقى درسا على الطلاب بأن هذه السموات والأرض والنجوم والكواكب وهذا الكون انما وجد صدفة وحسب الطبيعة وبدون صانع وهو الله فبعدما أنتهى الدرس وخرج الاستاذ من الغرفة مع طلابه عمد أحد الطلاب الى شيىء يعتنى به الاستاذ جدا وقد حفظه على الرف فاخذه الطالب من فوق الرف ووضعه على المنضدة داخل الغرفة فلما أصبح الصباح ودخل الطلاب الغرفة جاء الاستاذ فوجد ذلك الشيىء موضوعا على المنضدة وبشكل لايعتنى به فسال الاستاذ من الذى أنزل هذا ووضعه هنا على المنضدة فنهض الطالب فقال : ياأستاذ انه نزل بنفسه واستعلى على المنضدة فقال : أسكت أيها الاحمق كيف يأتى هذا بنفسه وينزل من الرف

ويعلو على هذه المنضدة ان هذا القول قول جاهل مجنون فقال الطالب : فاذن جاء من هناك الى هنا وبالصدفة فغضب الاستاذ فقال : انك مجنون كيف تعمل الصدفة هذا العمل انما هذا من عمل واحد حي يعمل بارادته .

فقال الطالب : فاذن ياأستاذ الطبيعة أتت به هنا .

فقال الاستاذ : لقد زدت حمقا وجهلا وجنونا كيف تعمل الطبيعة هذا العمل انها لا ارادة لها .

فقال الطالب : اذن أيها الاستاذ انك جاهل مجنون وليس لك عقل .

قال الاستاذ : ولماذا .

قال الطالب : اذا كان الامر ان كلا من الطبيعة والصدفة لم تستطع ان تأتى بهذا الشيىء الصغير من فوق الرف الى المنضدة فكيف يستطيع أن يوجد هذه السموات والكواكب والنجوم والنباتات والاشجار والجبال والانهار والانسان والانواع الغير المحصورة من الحيوانات وأنت تعتقد ذلك فاذن فانك مجنون وليس عندك عقل .

فبهت الاستاذ وندم من مقالته عندئذ واعترف الطالب بأنه هو جاء بالشيىء من الرف الى المنضدة ليقنعه بهذه الطريقة وبهذا الاسلوب . وقد وفق فشكره الاستاذ حيث أيقظه من غفلته ونبهه على جهله .

حكاية أخرى

فى زمن أبى حنيفة النعمان جاء وفد من الملحدين يقال لهم الطبيعيون الى خليفة الوقت وطلبوا منه ان يحضر لهم علماء دينيين

فيناقشوا معهم على ان هذا الكون وجد بدون صانع اولا فيقنع جانب منهم الجانب الاخر برأيه ولا يبقى نزاع في ذلـك • فكلف الخليفـة الامام الاعظم أبا حنيفة النعمان لان يناقشهم فعينوا لذلك مكانا خاصا وموعدا مقررا فتخلف الامام الاعظم عن الموعد المقرر ساعـة وهـم ينتظرونه فلما دخل عليهم عاتبوه على التأخر والخلاف في الموعدعتابا شديدا ، فقال الامام الا تسألونني لماذا تأخرت فـان كنت معـذورا فالعذر عند كرام الناس مقبول والا فلكم الحق في العتاب واللـوم أكثر ، قالوا فما عذرك قال أتيت جانب النهر لاعبر فلم أجـد زورقا فانتظرت فرأيت خشبا جرفه الماء فركد بالقرب مني ثم جاءت خشبة أخرى فركدت بجنب الاول ثم جـاءت أخـرى فصار تحتها وجـاءت المسامير تمشى على الماء فدخلت في الاخشاب وهكذا خشب مـن هنا وخشب من هناك وأتت المسامير فدخلت فيها الى ان تكوّن زورق تام فركبته وعبرت به النهر ، فنظروا الى الخليفة فقالوا أهذا الذىعينته للمناقشة قال نعم قالوا كيف تعين هذا لمناقشتنا • فان هذا مجنون • والمناقش لابد له من عقل فقال الامام فما هو جنوني قالوا كيف تقول ان زورقا تكون بنفسه وأتت أخشاب ومسامير دخلت فيها حتى أصبح زورقا أليس هذا بجنون فلابد للزورق أن يكون له صانع فقال الامام : اذن من يقول هذا القول فهو مجنون قالوا : نعم ، فقال الامام فمن قال بوجود زورق صغير بدون صانع يكون مجنونا فمن قال بأن هذا الكون العظيم والسموات والكواكب والنجوم والجبال والانسان والحيـوان والنباتات والمعادن كلها وجد بدون صانع أولى بأن يتهم بالجنـون • فسكت الملحدون ولم يبق لديهم دليل وانتهت المناقشة بهذا ورجعوا خائبين •

فيا أخى أنظر الى هذه الموجودات فانها تدلك على خالق عليم وصانع حكيم ، فمثلا ان أفراد الانسان كلهم من عنصر واحد ومن مادة واحدة وان المادة الواحدة له طبيعة واحدة فتخصيص كل فرد من الانسان بشكل دون اخر ولون دون لون واختلافهم فى الطول والقصر والبدانة والنحولة والذكاء والبلادة والسماحة والحقد والكرم والبخل وغير ذلك من الاوصاف لايكون هذا التخصيص من نفس مادته وعنصره بل انما يكون بارادة عالم قدير مختار والا فيكون الفرق بين هذا وذاك فرقا بدون فارق وترجيحا بدون مرجح وهذا باطل باتفاق العقلاء ٠

[الثانـي]

ان هذه الكواكب والنجوم كلها من عنصر واحد ومادة واحدة فتخصيص كل واحد منها بحيز دون اخر وصفة دون أخرى لايكون الا بارادة خالق مختار عليم حكيم فى خلقه وتدبيره وهو الله ٠ وهذه الارض كلها عنصر واحد مع ان قسما منها ينبت وقسما لاينبت وقسما ينبت بذرا دون اخر وقسم بعكسه وان عندنا فى محافظة أربيل توجد منطقة جبلية ومنطقة سهلية ففى المنطقة الجبلية يزرع الشعير فتنبت شعيرا أبيض ولو كان البذر اسود وفى المنطقة السهلية تنبت أسودا ولو كان البذر أبيض فتخصيص بعض قطعات الارض ببعض الزراعات دون اخرى وتخصيص بعض الاراضى بالانبات دون أخرى لايكون الا بتقدير الله العالم القدير المختار وهكذا لو تفكرت فى المجودات ترى ان كل شيء يدل على وجود صانع قدير عالم حكيم مختار وصدق الشاعر اذ يقول :

وفـــى كل شيىء لــه آيــة

تــدل عــلى انــه الواحــد

واما بالنسبة للمقصد الثانى وهو امكان الاحياء بعد الموتفنقول ان الذى خلق هذه الاشياء العجيبة وهذا الكون العظيـم الــذى يشتمل ويرى فيه دائما الاعادة بعد الاحالة والوجود بعد الفناء والعود على البدء لايصعب على هذا الخالق ان يحي الانسان بعد موته حيث انه أيضا اعادة بعد الاحالة وعود بعد الفناء واشار تعــالى الى ذلك بقوله :

[أوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق]أى يعيد بعد الممات [مثلهم بلى وهــو الخــلاق العليم] سورة يس واما بالنسبة الى المقصد الثالث وهو أن يوم القيامة يأتى فنقول : ان الله الذى خلق هذا الكون العظيم وانشأ هذا الصنع العجيب وأبدع هــذا الصنع العجيب وأبدع هذا النظام التكوينى البديع وخلق كل ذلك ليستطيع أن يتمتع الانسان بالحياة على هذه الارض وأن يؤدىخلافته فيها وان يظهر ويبدع ويخترع مايدل عــلى عظيـم خلق الله تعالى وعظمة قدرته فالله الذى يعمل هذا ليس من الحكمة ولا يتصــور ان يترك هذا الانسان دون أن يضع له نظاما تكليفيا ليعيش به عــلى الارض ويعمل به فى الدنيا ويعمر الارض على وفقه ويحل به مايقع من الخلاف والنزاع بين افراده فان كل انسان يضع نظاما لبيته وكل صاحب قرية يضع نظاما لاهل قريته وكل حاكم وملك يضــع نظاما لاهل مملكته فكيف بالله وهو ملك الملــوك وسلطان السلاطين يــدع

خلقه دون نظام فالجواب كلا بل وضع لهم نظاما وشريعة للعمل بها والحياة على وفقها واشار الى ذلك بقوله :

[فما يكذبك بعد بالدين أليس الله بأحكم الحاكمين] سورة التين هذا وان من شأن كل نظام اكرام من اتبعه وطبقه وعقاب من خالفه وانحرف عنه وحيث لانرى هذا الثواب والعقاب كليا فى الدنيا لانه نرى كثيرا من الناس بعداء عن الدين منهمكين فى اعمال المجرمين يظلمون الناس ويخونونهم ويخونون الله وبراء من اخلاق الدين والقيم وصالح الاعمال ويعيشون فى الدنيا سعداء دون أن يلقوا فيها اى عقاب وعذاب ثم يموتون ، ونرى فى الجانب الاخر كثيرا من الناس متمسكين بدين الله ويتبعون شريعته ويتخلقون باخلاق الله وقيمه ينفعون الناس ولا يضرونهم فيموتون دون ان يلقوا فى هذه الدنيا ثوابا ولا عطاء فلو مات هذان وذهبا سويا ولم يأت يوم يعاقب ذلك المجرم البعيد عن الدين فيه ويثاب فيه ذلك المطيع لشرع الله فمعناه أن الله ظالم وهذا محال فلابد من ان يأتى يوم يحاسب فيه الناس ويلقى الظالم مرارة ظلمه والمطيع ثواب طاعته تحقيقا لعدالة الله تعالى والى هذا الدليل يشير تعالى بقوله :

[أفنجعل المسلمين كالمجرمين مالكم كيف تحكمون] سورة النون هذا وبعد ما أثبت الله تعالى فى الآيات السابقة ان يوم القيامة يأتى صرح به انذارا لمن كذب به وتبشيرا لمن آمن به فقال :

[ان يوم الفصل كان ميقاتاً]

اى أن اليوم الذى يفصل فيه بين الكافر فيعاقب فيه والمؤمن فيثاب ويتبين الفاجر فيعذب والمطيع فينعم والصالح فيفوز والطالح

فيخسر ويخيب ان هذا اليوم كان موعدا معينا ووقتا مخصوصا لايعلم حينه الا الله وانه لآت دون شك وريب ونزاع ثم عرّف ذلك اليوم ببعض مايقع فيه من الحوادث الجسام وبيان نوع من عذاب الكافرين والفاسقين وبعض من ثواب المؤمنين والصالحين فقال :

[يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجاً]

« يوم ينفخ ... الخ » عطف بيان ليوم الفصل أى يوم الفصل هو اليوم الذى ينفخ فى الصور « فتأتون » يابني آدم كلكم الى ميدان المحشر « أفواجا » جماعات متعددة حسب العقيدة والعمل والاخلاق فكل صاحب عقيدة مع من يحمل تلك العقيدة وكل صاحب عمل مع من يماثله فى العمل وكل صاحب خلق يأتى مع من يتخلق بذلك الخلق ، ذكر الامام الرازى والقرطبى والخازن فى تفسيرهم رضى الله عنهم انه روي من حديث معاذ بن جبل قال : قلت يارسول الله أرأيت قول الله تعالى « يوم ينفخ فى الصور فتأتون افواجا » فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يامعاذ بن جبل لقد سالت عن أمر عظيم ثم ارسل عينيه باكيا ثم قال : يحشر عشرة أصناف من أمتى أشتاتا قد ميزهم الله تعالى من جماعات المسلمين وبدل صورهم فمنهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسون أرجلهم اعلاهم ووجوههم يسحبون عليها وبعضهم عمي يترددون وبعضهم صم بكم لايعقلون وبعضهم يمضغون السنتهم فهى مدلاة على صدورهم يسيل القيح من أفواههم لعابا يتقذرهم أهل الجمع وبعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم وبعضهم مصلبون على جذوع من النار وبعضهم أشد نتنا من الجيف وبعضهم ملبسون جلابيب سابغة من القطران لاصقة

بجلودهم ·

فأما الذين على صورة القردة فالقتات من الناس يعني النمام ·

وأما الذين على صورة الخنازير فاهل السحت والحرام والمكس وأما المنكسون رؤوسهم ووجوههم فأكلة الربا والعمي من يجور في الحكم والصم البكم الذين يعجبون باعمالهم والذين يمضغون السنتهم فالعلماء والقصاص الذين يخالف قولهم فعلهم والمقطعون ايديهم وارجلهم فالذين يؤذون الجيران والمصلبون على جذوع النار فالسعاة بالناس الى السلطان والذين هم أشد نتنا من الجيف فالذين يتمتعون بالشهوات واللذات ويمنعون حق الله تعالى من أموالهم والذين يلبسون الجلابيب فأهل الكبر والخيلاء · أ · هـ ·

[مسئلة]

ان الاخبار بالنفخ في الصور وارد في القرآن الكريم وان الناس يتشوقون الى معرفة ماهو الصور وكيف النفخ فيه وكم مرة ينفخ في الصور وتكلم المفسرون عليه وهم مختلفون فمنهم من قال ان الصور قرن من نور بيد أسرافيل ـ أحد الملائكة ـ ينفخ فيه حينما يأمره الله تعالى بالنفخ ومنهم من يقول بأن الصور جمع صورة والمعنى ينفخ فيها ويرد اليها روحها فيحيون بعد الممات ومنهم من يذهب الى أنه لاصور ولا نفخ هنا وانما النفخ في الصور كناية عن الاعلان بمجيء يوم القيامة وكذلك اختلفوا في عدد النفخات ففي بعض التفاسير أنها اثنتان نفخ يحيا به الناس ويقومون من قبورهم ونفخ يساقون به الى عرصة الحساب وميدان المحشر ومنهم من يقول انها ثلاثة فبالاول يموت كل حي ويخرب هذا الكون وبالثاني يحيا به

الاموات ويخرجون من قبورهم وبالثالث يساقون الى المحشر والحساب ٠

ونحن للوصول الى الاقتناع بقول من هذه الاقوال الثلاثة لابد أن نستعرض جميع الآيات التى فيها الاخبار بالنفخ فى الصور ونقارن بينها ونستنبط منها أن النفخ كم هو وما هو ثم نقول قولتنا الاخيرة ونجزم فنقول :

اعلم انه ورد فى القرآن الكريم فيما يتعلق بما يجرى به حوادث الاخرة شيئان : النفخة والصيحة فينبغى أن نجمع كل الآيات التى تخبر عن النفخ وعن الصيحة لنعلم ماهى النفخة وما الصيحة وما عددهما فنبدأ أولا بآيات النفخ ٠ :

١ ـ « وله الملك يوم ينفخ فى الصور » سورة الانعام الآية ٧٣٠

٢ ـ « ونفخ فى الصور فجمعناهم جمعاً » سورة الكهف الآية ٩٩٠

٣ ـ « يوم ينفخ فى الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقاً » طه٠

٤ ـ «فاذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولايتساءلون» سورة المؤمنون الآية ١٠٢ ٠

٥ ـ «ويوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الارض » الا من شاء الله وكل أتوه واخرين » سورة النمل الآية ٨٨٠

٦ « ونفخ فى الصور فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون » سورة يس الآية ٥١ ٠

٧ ـ « ونفخ فى الصور ذلك يوم الوعيد » سورة ق الاية ٢٠ ٠

٨ ـ « ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون » سورة الزمر الآية ٦٨ ٠

٩ ـ « فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة فيومئذ وقعت الواقعة » سورة الحاقة الآية ١٣ ٠

١٠ ـ يوم ينفخ فى الصور فتأتون افواجا » سورة عم ٠

فعلينا أن نعلم أن هذه النفخات المذكورة فى هذه الايات تقع فى أى وقت وهل كلها واحدة ام لا ٠ فنقول ان النفخ الذى ذكر فى سورة الانعام هى النفخة التى يجمع بها الناس فى ساحة المحشر والحساب لان تمام الاية هو قوله تعالى « عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير والاخبار بعلم الله تعالى بكل شيىء يناسب الحساب لان المعنى هو عالم باعمالهم الجلية والخفية فيحاسبهم حسب علمه ولا يخفى عليه شيء ٠ وكذلك فى سورة الكهف هو نفخ الجمع لانه يقول « فجمعناهم جمعا » وما فى سورة طه يحمل على ذلك أيضا لانه يأتى بعده ونحشر المجرمين يومئذ زرقا وكذا فى سورة المؤمنون لانه يأتى بعده مباشرة «فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون »وان الميزان يوضع يوم الجمع لاقبله وكذا فى سورة النمل لانه يقول بعده « وكل أتوه واخرين » أى أتوا الى الله أذلاء ضعفاء ٠ فالنفخ فى هذه الآيات كلها يراد به نفخ الجمع لاغيره بقرينة ماذكر بعده فى الايات التى ذكرنا ٠ فوجدنا هنا نفخة هى النفخة التى يجمع بها الناس للحشر والحساب وهى : متحدة مع النفخ المذكور هنا فى قوله تعالى « ونفخ فى الصور فتأتون افواجا » والذى فى سورة يس يراد

به النفخ الذى يحيا • به الناس جميعا بقرينة ماذكر بعده فى قوله تعالى «قالوا ياويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ماوعد الرحمن وصدق المرسلون» وحيث يقول تعالى بعده : « ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون » فبالنفخ يحيون وبالصيحة يجمعون وفى سورة الزمر يذكر نفختين النفخة الثانية يحيا بها الناس ويقفون على قبورهم ينتظرون المحشر والحساب فظهر من هذا انه يوجد نفخة أخرى يحيا بها الناس جميعا فحصل من هذا ان النفخ اثنان نفخ يحيا به الناس ويخرجون به من قبورهم ونفخ يساقون به الى ساحة المحشر والحساب •

والنفخ الاول الذى ذكر فى سورة الزمر هو النفخ الذى يموت به الناس كلهم حيث يقول بعده « فصعق من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله » والصعق يعنى الموت فالمعنى بعد هذا النفخ مات من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله والدليل على كون الصعق بمعنى الموت قوله تعالى فى سورة البقرة « واذ قلتم ياموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون » ثم يقول تعالى بعده « ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون » وهذا النفخ متحد مع الذى فى سورة الحاقة اذ يقول :

« فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة فيومئذ وقعت الواقعة » وهذه النفخة هى التى تخرب به السماوات والارض ويموت به الاحياء كلهم •

والذى فى سورة « ق » فهو الذى يجمع به الناس لانه يقول بعده « وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد » وذلك حين الجمع كما لايخفى فتبين من هذا العرض ان النفخ ثلاثة :

فبالاول : يدمر هذا الكون ويموت كل حي ·

وبالثانى : يحى الناس كلهم ·

وبالثالث : يساقون الى الحشر والحساب ·

وأما الآيات التى ذكرت فيها الصيحة فهى :

١ ـ « وأخـذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا فـى ديارهـم جاثمين » سورة هود الآية ٦٧ وهذه ليست مما يتعلق بحوادث يـوم القيامة بل هى كانت صيحة أهلكت قوم ثمود ·

٢ ـ وفى سورة هود أيضاً الاية ٩٥ « وأخـذت الذيـن ظلموا الصيحة فأصبحوا فى ديارهم جاثمين » وهذه أيضا ليست مما نحن فى بحثه لانها كانت صيحة أهلكت قوم مدين ·

٣ ـ « فأخذتهم الصيحة مشرقين · فجعلنـا عاليهـا سافلهـا وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل » سورة الحجر الاية ٧٢ ·

وهذه أيضا ليست مما يتعلق بالاخرة لانها كانت صيحة أهلكت قوم لوط عليه السلام ·

٤ ـ « فأخذتهم الصيحة فجعلناهم غثاء فبعدا للقـوم الظالمين » سورة المؤمنون وهذه أيضا كانت صيحة أهلكت قوما عتوا عن أمـر ربهم وما فى سورة يس الاية ·

٥ ـ « ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم خامدون » أيضاكانت صيحة اهلكت قوم حبيب النجار رحمه الله تعالى وليس مما نحن فيه ·

٦ ـ « ما ينظرون الا صيحة واحدة مالها مـن فـواق » سورة (ص) وهذه كانت انذاراً لاهـل مكة بأن امامهـم صيحة تعذبهـم

لايستطيعون التخلص منها وقد جاءت هذه الصيحة وهى صيحة حرب بـــدر الكبرى ٠

فهذه الصيحات التى ذكرت فى هذه الايات كلها كانت مما حصلت فى الدنيا وليس المراد منها الصيحة التى تحدث قبل الاخرة او فيها فلم تبق الا ثلاث آيات تخبر عن الصيحات التى تتعلق بيوم القيامة ٠

الاولى : قوله تعالى فى سورة يس الآية ٤٩ « ماينظـرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون » ٠

وهذه صيحة يكون بها خراب الدنيا ويموت فيها كـل أنسان بقرينة ماقبلها اذ يقول « ويقولون متى هـذا الوعد ـ اى وعـد الآخرة ـ ان كنتم صادقـين فى مجيئها فيجيبهم الله تعـالى بقولـه « ماينظرون الا صيحة ٠٠٠ الخ » وبقرينة ما بعدها فى قوله تعالى « فلا يستطيعون توصية ولا الى أهلهم يرجعون » وهـذه الصيحـة توافق النفخة الاولى التى يكون بها خراب الدنيا وموت الناس جميعا والمذكورة فى سورة الزمر فى قوله تعالى « ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله » والمذكـورة مـن سورة الحاقة اذ يقول تعالى « فاذا نفخ فى الصور نفخـة واحـدة وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة فيومئذ وقعت الواقعة » ٠

الثانية : الآية التى فيها الصيحة المربوطة بالاخرة هى قولـه تعالى فى سورة (ق) الآية ٤٢ « يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلـك يوم الخروج » وهذه الصيحة توافق النفخة الثانية التى يخرج بهـا الناس من قبورهم والتى ذكرت فى قوله تعـالى فى سورة الزمـر « ونفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون » وذكرت فى قوله تعـالى

في سورة يس « ونفخ في الصور فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون » ٠

الثالثة : الآية التي فيها ذكرت الصيحة هي قوله تعالى في سورة يس الآية ٥٣ « ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون » وهذه توافق النفخة الثالثة التي يكون بها سوق الناس الى المحشر وجمعهم في ساحته وهي النفخة التي ذكرت في سورة طه في قوله تعالى « يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقاً والتي ذكرت في هذه السورة أيضا في قوله تعالى « يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا » والتي ذكرت في سورة الكهف في قوله تعالى « ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا » ٠

فظهر من هذا التحقيق ان النفخ ثلاثة يكون بالاول خراب الكون وموت الاحياء وبالثاني احياء الموتى وبالثالث جمعهم للحساب ٠ وكذلك الصيحات ثلاث بالاولى خراب الدنيا وموت الاحياء وبالثانية احياء الاموات وبالثالثة جمعهم للحساب ٠

اذن فالمراد بالنفخ والصيحة شيىء واحد ٠

وفي بعض التفاسير ان النفخ ثلاثة كما ذكرنا الا ان في بعضها أثنان واعتمد هؤلاء على ظاهر الحديث الذى يروى عن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم الذى يقول [مابين النفختين أربعون] ولم يبين أربعون يوما او شهرا او سنة او غير ذلك الا ان القول بثلاث نفخات لايعارض الحديث فان الحديث ورد في ذكر نفختي الاخرة أى التي بها احياء الموتى والتي بها السوق الى الحساب ولم يذكر النفخة التي تأتي في الدنيا فتقضى على الكون وحياة الناس جميعا ولنا

أن نقول ان قوله صلى الله عليه وسلم [مابين النفختين أربعــون] هو قضية كلية أى مابين كل نفختين أربعون فيكون المعنى بين النفخة التى بها خراب الدنيا والنفخة التى بها احياء الاموات أربعون وبين نفخة الاحياء ونفخة الجمع اربعون فيكون الحديث ذاكرا النفخات الثلاث ولم يبق الاشكال فى هذا الموضوع • وللتيقن من ان النفــخ ثلاثة أنظر الى قوله تعالى فى سورة النازعات «يوم ترجف الراجفة» فهذه هى النفخة الاولى « تتبعها الرادفة » وهى النفخة الثانيــة ثــم يقول « فانما هى زجرة واحدة فاذا هم بالساهرة وهذه هى النفخة الثالثة • وأنظر الى سورة يس اذ يقول تعالى « ماينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون » فهذه هى النفخة الاولى ثم يقــول « ونفخ فى الصور فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون » وهــذه الثانية ثم يقول « ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينــا محضرون » وهذه هى الثالثة •

وان مما يوضح ان النفخ هو الصيحة ان الله تعالى يسمي يوم القيامة بالقارعة فيقول تعالى « القارعة ما القارعة والقارعة هى الصيحة الشديدة التى تقرع الآذان • ويسميه بالصاخة أيضافيقول « فاذا جاءت الصاخة » فى سورة عبس والصاخة هى الصيحة التى تصخ الآذان فالآيات الدالة عــلى أن النفخ نفس الصيحة وبالعكس كثيرة نكتفى فى هذا المجال بهذا القدر من الذكر •

الا أنه بقي أن نذكر ان الصيحة ماهى ومن اى شيىء يحــدث فنقول الصيحة صوت شديد وقد أطلق فى آيات كثيرة على الصاعقة فان الصيحات التى وردت فى الآيات التى تخبر عن اهلاك الاقوام

بالصيحة يفسرها المفسرون بالصاعقة ويقولون أتتهم صاعقة من السماء فاهلكتهم ويؤيد ذلك قوله تعالى فى سورة الحجر الآية ٧٢ « فأخذتهم الصيحة مشرقين فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل » لان المطر يكون قبل الصاعقة أو معها أو بعدها، فبعدما علمت ماورد يجوز لك ان تقول ان النفخ فى الصور هى عبارة عن صاعقة تهدم الكون وتميت الاحياء وأخرى تحييهم وأخرى تجمعهم ، أو ان كلها صيحة من ملائكة او كلها نفخ من الملك فى شيء أو بعضها صاعقة وبعضها صوت شديد ولا ملامة عليك فى ذلك لان كلا من هذه الامور بأمر الله تعالى رب العالمين ولم يرد نص صريح من القرآن الكريم ولا من الحديث المتواتر عليه يعين ويبين ان النفخ ماهو وان الصيحة ماهى هذا والله تعالى اعلم ٠

[وفتحت السماء فكانت أبواباً]

اى ذات أبواب أو انها لكثرة ابوابها كأنها كلها أبواب ٠

[وسيرت الجبال فكانت سراباً]

اى وازيلت الجبال فكانت كالسراب لا وجود لها ٠

« مسئلة »

ان هذه النفخة هى نفخة الجمع للحساب وهى النفخة الثالثة وان انفتاح السماء وانشقاقها وانفطارها وتسيير الجبال يكون بالنفخة الاولى كما سبق بيانه فكيف ذكر بعد هذه النفخة ؟

الجواب : ان الواو لمطلق الجمع ولا يفيد الترتيب حتى يستلزم كون فتح السماء بعد هذه النفخة بل يجوز أن يكون قبلها ·

أو نقول ان الواو فى « وفتحت السماء » و « وسيرت الجبال » للحال لا للعطف فيكون المعنى يوم ينفخ فى الصور فتأتون افواجاً والحال ان السماء كانت مفتوحة أبوابها والجبال كانت مسيرة سراباً قبل ذلك وانما ذكر هنا لان الانسان فى ذلك الوقت يشعر بذلك حيث فى النفخة الاولى والثانية يذهل الانسان عن كل شىء فلا يعلم ولا يرى ما وقع وما حصل لشدة الهول وعظمة الحادث والله تعالى أعلم بمراده ·

« ان جهنم كانت مرصاداً »

بعد أن ذكر الله تعالى فى الايات السابقة ان هذه السماء تفتح فيكون فيها أبواب كثيرة جدا وان الجبال تسير وتزال فتكون كالسراب وينفخ فى الصور فيأتى كل الناس الى المحشر فوجاً فوجاً اراد تعالى أن يذكر مصير الكافرين والمسلمين فى ذلك اليوم فقال وعز من قائل « ان جهنم كانت مرصادا » اى كانت جهنم فى ذلك اليوم منتظرة من يدخلها ويستحقها ومشتاقة لالتهامهم بلهيبها ولظاها ·

« للطاغين مآباً »

أى مرجعاً خبر ثان لكانت وللطاغين متعلق به قدم عليه لفوائد الاولى الحصر فى ان تكون مآبا للطاغين فقط لا لغيرهم الثانية رعاية السجع لان آخر هذه الآيات التنوين الذى يوقف عليه بالالف ·

الثالثة انه لو قيل أولا مآبا لخاف المؤمنون وظنوا أنها تكون

مآبا للجميع فلكى لايدخل الخوف قلب المؤمن قدم للطاغين ليعلم المؤمن أولا انها مآب للطاغى لا للمؤمن والطاغى هو الذى جاوز الحد الذى فرضه الله تعالى له فى العقيدة او الاعمال او الاخلاق فمن جاوز الحد فى العقيدة كمن لم يؤمن بالله أو أشرك به غيره أو انكر ماهو معلوم من الدين بالضرورة فهو كافر وتكون جهنم مآبا له أبداً دون خـروج منها . ومن جاوز الحد فى العمل او الاخلاق فقط لا فى الايمان فهو مؤمـن عـاص فيحاسب عـلى أعماله فان زادت حسناته او ساوت سيئاته فهو ناجح ولا تكون جهنم مآبا له ومن زادت سيئاته حسناتـه فمآبه جهنم يدخل فيها بقدر مازادت سيئاته والى أن يتطهر منها ثـم ينجو ويدخل الجنة باذن الله تعالى فاللبث المذكور فى قوله تعالى .

« لابثين فيها أحقاباً »

اي ماكثين فى جهنم [أحقابا] جمع حُقب وهو ثمانون سنة يكون بقدر مايستحقه الداخل من الأحقاب . فاما أحقاباً غير متناهيـة كما هو للكافر أو أحقاباً معدودة تنتهى وذلك بالنسبة للمؤمن الفاسق .

فان قيل الاحقاب جمع حقب بضم فسكون وهو ثمانون سنة وانه من صيغ جمع القلة فلا يتجاوز عشرة أحقاب فتكون المـدة ثمانمائة سنة فيفيد أنهم يلبثون فيها ثمانمائة سنة فبعد ذلك يخرجـون كما يفيد ذلك المفهوم المخالف وهذا يخالف تأبيد الكفار فى جهنم الـذى نطقت به آيات أخرى كثيرة فكيف التوفيق بين هنا وما فى الآيـات الاخـرى .

فاقول : أجيب عن هذا السؤال بوجوه .

الاول ان المراد بالاحقاب مالاينتهى كما روى عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنا وعنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلم قال : والله لايخرج من دخلها حتى يكون فيها أحقاباً والحقب بضع وثمانون سنة والسنة ثلثمائة وستون يوما كل يوم الف سنة لما تعدون فلا يتكلن أحدكم على أنه يخرج من النار •

ذكره الثعلبى • وقال القرطبى ، الاحقاب ثلاثة واربعون حقبا كل حقب سبعون خريفا كل خريف سبعمائة سنة كل سنة ثلثمائة وستون يوما كل يوم الف سنة وغير ذلك موجود من الروايات ذكرها القرطبى فى تفسير الآية هذه الا ان هذا الجواب لايفيد الاطول المكث لان الشيء المحدود مهما كثر فانه ينتهى ولا يفيد التأبيد •

الثانى : ان المراد بالاحقاب أحقاب الاخرة وهى لاتنتهى وهذه أيضا ضعيف • لان القرآن يتكلم بما كان يفهمه الناس لانه جاء للانذار والتبشير وهما اذا لم يفهما لا فائدة فيهما •

الثالث : ان المراد أحقابا بعد أحقاب لانهاية ولا آخر لها وهذا سديد ان كان هذا الاصطلاح متداولا بين المخاطبين حين نزول القرآن • والا فلا •

الرابع : أن المعنى لابثين فيها أحقاباً يعذبون بعدم ذوق البرد والشراب ثم بعد ذلك تتبدل نوعية العذاب وتزول ولا تزول الاحقاب وذلك بدلالة التقييد بقوله :

[لايذوقون فيها برداً ولا شراباً]

هذا ماذكره المفسرون · وعندى أن الجواب الصحيح هو ماقلنا وهو أن المعنى لابثين فيها احقابا كل حسب استحقاقه فالذى يستحقه الكافر هو الاحقاب الغير المتناهية والذى يستحقه المؤمن هو أحقاب متناهية حسب العمل والاخلاق وذلك بدلالة الآيات والاحاديث التى تدل على خلود الكافرين وعدم خلود المؤمنين والله تعالى أعلم ·

[لايذوقون فيها برداً ولا شراباً]

ان طيب حياة الانسان ولذته تحصل بتبريد البدن وتبريد الباطن والمعدة فأهل النار محرومون من الاثنين فلا يذوقون برداً يريح أبدانهم ولا شرابا يريح أحشائهم ·

[الا حميماً وغساقاً]

بعدما ذكر الله تعالى أن أهل جهنم لايذوقون بردا ولا شرابا وأفاد أنهم محرومون من التنعم فلربما يتسلى بعض الكافرين ويظنون أنه ليس وراء ذلك شيء يؤذيهم فكما أنهم محرومون من التنعم فهم محفوظون من التأذي وفى ذلك بعض التسلية فقال تعالى « الا حميما وغساقا » أى ولكنهم علاوة على عدم تمتعهم بالبرد والشراب أنهم يتأذون بشرب الحميم وهو الماء الحار الذى يقطع الاحشاء وبأكل الغساق وهو صديد أهل النار ·

[جزاءً وفاقا]

أى جوزوا هذا الجزاء جـزاء موافقا لخبث عقيدتهم وأعمالهـم ثم بين العقيدة الخبيثة الملائمة لهذا الجزاء وهذا العذاب فقال :

[إنهم كانوا لايرجون حساباً]

أي كانوا فى الدنيا لايؤمنون بهذا الجزاء ولا بالحساب ولا بمجىء يوم القيامة فجوزوا هذا الجزاء · ثم انهم لم يقفوا عـلى هذا الحدبل ·

[وكذبوا باياتنا كذاباً]

أي كذبوا بآياتنا القولية التى جاءت وكانت تنذرهم عـذاب هذا اليوم والآيات الكونية التى تدل وتشهد على حتمية مجىء هـذا اليوم فكذبوا بتلك الآيات كلها ·

[كذاباً] تكذيبا فاضحا قويا ·

[وكل شيىء أحصيناه كتابا]

كتابا مفعول مطلق لاحصيناه على غير لفظه لان الاحصاء يكون بالتعداد ويكون أيضا بالكتابة أو مصدر بمعنى المفعول فالتقديـر أحصيناه مكتوباً فيكون حالا عن ضمير أحصيناه أو منصوب عـلى الظرفية فالتقدير أحصيناه فى كتاب وهو سجل أعمال العبـد وأن هذه الآية تدل على أنهم لم يكتفوا بعدم الايمان وتكذيب الآيات بل عملوا بكل وسيلة وبطرق متعددة للقضاء على هـذه العقيدة وصد

الناس عنها ومعاداة الذين حملوا هذه العقيدة ونشروها فالمعنى كل شيىء مما عملوا ضد هذه العقيدة وضد حامليها والمؤمنين بها سجلناه في كتاب يحاسب الناس وفق أعمالهم التى سجلت وحفظت فيه هذا . ثم بعد أن ذكر الله تعالى كيفية العذاب الجسمانى لاهل جهنم ونوعيته ومدته أشار الى أنه لايكتفى بذلك بل يعذبون فيها العذاب النفسانى أيضا من التكدير والتنديم والتضليل والتجهيل فيقال لهم .

[فذوقوا فلن نزيدكم الا عذاباً]

فبدل أن يرحب بهم يخاطبون هذا الخطاب للتكدير ولقطع طمعهم وأملهم فى الانفراج والنجاة من هذا العذاب فان فى الامل نوع راحة وفرح فحرموا من هذا النعيم النفسى كما حرموا من النعيم الجسمى جميعا وذلك لانهم خالفوا دين الله جسميا باعمالهم البدنية وعصوا ربهم بها وبالاعمال النفسية من عدم الايمان بما أنزل والتكذيب والانكار له فعوقبوا بمثل ما عملوا تحقيقا لعدل الله وانجازا لوعيده .

والله يفعل مايشاء وهو على كل شيىء قدير .

[ان للمتقين مفازاً]

قد ذكرنا غير مرة بأنه من عادة القرآن الكريم أنه كلما ذكر حال الكافرين وعقابهم يعقب ذلك بذكر حال المؤمنين او ثوابهم أو حينما ذكر حال المؤمنين ونعيمهم يذكر بعد ذلك حال الكافرين

ومالهم من العذاب وهنا بعدما ذكر تعالى حال الكافرين وعذابهم بدأ بذكر حال المؤمنين وثوابهم جمعا بين الوعد والوعيد والانذار والتبشير الذى جاء القرآن لذلك فقال تعالى

« ان للمتقين مفازا » مصدر ميمى من الفوز وهو النجاة من المكروه ونيل المحبوب (والمتقين) جمع متق أصله او تقي من وقى اجتمع الواو مع تاء الافتعال فقلب تاء فأدغم فيه فصار اتقى لانه من القاعدة الصرفية انه اذا كان فاء فعل افتعل حرفاً من حروف (أتثدذز سشص ضطظوى) فانها تقلب تاء فتدغم فيه ووقى بمعنى حفظ واتقى بمعنى تحفظ وأجتنب من الشيىء المضر ويرد مقابلا للكافر والعاصي فاذا جاء مقابلا للكافر فمعناه اجتنب عن الكفر بسبب الايمان واذا جاء مقابلا للعاصى والمذنب فمعناه اجتنب الذنب والعصيان وهنا وقع مقابلا للطاغى وقد ذكرنا ان الطاغى يشتمل الكافر والفاسق كما سبق فالمتقي هنا من أجتنب الكفر وكذلك من اجتنب المعاصى كلها من الكفر وغيرها فالمجتنب من المعاصى كلها يكون له مفاز بدون ان يرى عذابا وهو المؤمن الكامل واما المجتنب عن الكفر والخائض فى المعاصى فانه يحاسب فان زادت حسناته سيئاته أو ساوتها فله الفوز دون عذاب أيضا والذى زادت سيئاته حسناته يكون له الفوز بعد التطهر من الذنوب بالعذاب فمجرد الايمان سبب للفوز عاجلا او آجلا ثم بين الله تعالى المفاز بقوله جل وعلا فقال

(حدائق وأعنابا)

[حدائق] أى بساتين يسكن ويتجول ويتنزه فيها

واعنابا أنواعا من العنب يأكلها ·

« وكواعب أترابا »

[وكواعب] أى بنات ظهر ونبت ثديهن توأ ليتمتع بهن (أترابا) اى متساوية لهم فى العمر فان المعاشرة مع الاتراب ألذ فالاتراب جمع ترب والترب من مس التراب معك وقت الخروج من بطن الام ·

[وكأساً دهاقاً]

مملوءة من الخمر أو متتابعة دون الانقطاع لان الدهاق جاء بالمعنيين ويجوز أن يراد المعينان معا اى مملوءة ومتتابعة أيضا ·

[لايسمعون فيها لغوا ولا كذاباً]

أى لايسمعون فى الجنة [لغوا] كلاما فارغا أى هزلا وما لا فائدة فيه ولا ما تشمئز منه القلوب ·

[ولا كذابا] عطف على لغوا اى لايسمعون فى الجنة «تكذيبا» لما يقولون وردا لما ينطقون به لا من قبل الملائكة ولا من طرف الناس حيث لا منازعة ولا مناقشة فى الجنة فيحتاج احد الى رد قول أحد أو تكذيبه وانما كل كلا مهم سلم وسلام وحب ووئام ·

[جزاءً من ربك عطاء حساباً]

اى جوزوا هذا الجزاء جزاء من ربك يامحمد ·

[عطاءً حسابا]

أى أعطو هذا النعيم عطاء كافيا ٠

(رب السموات والارض وما بينهما الرحمن لايملكون منه خطابا) ٠

أى هو رب كل السموات والارض وما بينهما فيشمل ذلك العبد وعمله فيفيد أنه اذا جازاه خيرا فبمجرد فضله ورحمته ولذا قال بعده (الرحمن) اى انما اعطاه هذا العطاء الوافى لانه رحمن يحب الرحم ولمجرد رحمته لا لحاجته الى أحد أو لوجوب العطاء عليه كما يتوهم ذلك بعض الناس من ان ثواب المطيع واجب ((لايملكون منه خطابا) فلا يستطيع أحد أن يطلب ثوابا لا لنفسه ولا لغيره ٠

[يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لايتكلمون الا من أذن له الرحمن وقال صواباً]

يوم منصوب بفعل يدل عليه ماقبله أى أعطوا هذا العطاء يوم يقوم الروح وهو جبريل والملائكة (صفا) اى مصطفين حال من الروح والملائكة أى يقومون مصطفين منتظرين مايأمرهم الله تعالى من سوق الناس الى الجنة او الى النار ٠ (لايتكلمون) أى الملائكة وجبريل وكل من حضر فى ذلك اليوم من الخلائق (الا من) أى شخصا [أذن له الرحمن] فى أن يتكلم فيتكلم وبشرط أن يقول هو صوابا أى قولا صوابا لا غلطا بان يشفع لمؤمن مات على الايمان٠

أو المعنى لايتكلمون أى لايشفعون لاحد الا لمن أذن له الرحمن فى أن يشفع له وبشرط ان يكون من يشفع له قال صوابا وهو لا اله الا الله محمد رسول الله وعلى كلا المعنيين لا شفاعة لمن لم يمت على الاسلام كما نطقت بذلك آيات كثيرة لا مجال لسردها هنا حيث لايتحمله المقام وله مقام آخر ٠

سؤال

سمي هذا النعيم الذى فاز به المتقون اولا جزاء والجزاء ماكان مقابل عمل أو شيىء ثم عبر عنه بعد بالعطاء والعطاء ماكان دون مقابل فكيف التوفيق بين التعبيرين ٠

الجواب

حيث ان مافازوا به كان فى مقابلة ما اتصفوا به من العمل فكان فى ظاهر الحال جزاء ومقابل شيىء ولكن حيث ان الايمان والعمل الصالح من خلقه تعالى وبارادته وتوفيقه كان ملكا لله تعالى لا ملكا للعبد فكان ما يفوزون به دون مقابل فى باطن الحال وحقيقته ولذلك يقول الرسول صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلم لايدخل أحد الجنة بعمله الا أن يحفه الله تعالى برحمته قالوا وأنت يارسول الله قال وآنا ٠

حكاية

يروى أن شخصا فى الزمان السابق دخل منذ نشأته كهفا واشتغل بعبادة الله تعالى ولم يدخل فى المجتمع فلم يعص شيئا وكان

لايفتر عن عبادة الله تعالى طرفة عين وقد خلق الله تعالى له عين ماء امام الكهف فيشرب منه وانبت له رمانا على تلك العين فيأكل منه فكان أكله من الرمان وشربه من العين وعاش بهذا الحال وفى تلك العبادة خمسمائة سنة ثم مات فسئل من قبل ربه هل نعامله حسب عمله أو حسب فضلنا ورحمتنا فلما فكر الرجل انه لم يصدر منه ذنب ولا معصية بل صرف كل عمره في العبادة قال بعملى فسئل عنه من الذى خلق لك هذا الكهف واسكنك فيه أنت ام الله تعالى قال خلقه الله ثم قيل له من الذى خلق لك الرمان والعين وكنت تشرب منها وتأكل من الرمان أنت أم الله قال خلقه الله ثم قيل ان الاعمال التى كنت تعملها هل كان بتوفيق منك أم بتوفيق من الله تعالى قال بتوفيق من الله فهل كانت تلك الاعمال بخلقك أم بخلق الله تعالى قال بخلق الله تعالى ثم قيل فهل كانت تلك الاعمال ملكا لك ام لله تعالى قال لله فقيل له فأين عملك فقال لاشيىء فسيق الى النار فالتفت فى الطريق التفاتة فسئل من قبل ربه تعالى لم التفت قال انتظر رحمة الله تعالى فأمر تعالى بارجاعه الى الجنة ثم ان اعمال الانسان مهما بلغت لاتساوى النعم التى أنعم الله تعالى بها عليه فى الدار الدنيا من السمع والبصر والكلام وغير ذلك من النعم الظاهرة والباطنة فلو قوبلت أعماله بهذه النعم فلا يبقى له عمل للاخرة بل يبقى مطلوبا فلا يستحق شيئا من الجنة ولذا فان أدخله الله تعالى الجنة فذلك لمجرد فضله وانعامه وكرمه واحسانه أفادنا الله تعالى بهذا التكريم والاحسان انه ارحم الراحمين آمين ٠

[ذلك اليوم الحق فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا]

[ذلك اليوم الحق]

اى ذلك اليوم الذى يفوز فيه المتقون ويخيب فيه الطاغون ·
الحق : اى الثابت والآتى لا محالة ولا ريب فى مجيئه ·

[فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا]

اى فمن شاء رجوعا الى ربه ولقاءه « اتخذ الى ربه مآبا أى سلك طريقا يرجع فيه الى ربه ويعمل اعمالا يرجع بها الى ربه ·

تنبيــه ! ! ··

ان الله تعالى وضع لعباده سبيلين سبيل الخير وسبيل الشــر ولا ثالث لهما واعطاه القدرة على سلوك اى سبيل شاء منهما ولا يجبر احدا على الخير ولا على الشر بل ان اختار الخير يسره له وان اختار الشر خلقه له وجعل حبله على غــاربه امتحانا له كما قــال تعالــى « وهديناه النجدين » اى خلقنا له سبيل الخير والشر وافهمناه بأن هذا خير وهذا شر وكما قال تعالى (انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا) هذا وجعل لكل سبيل منزلا يؤديه ويوصله اليه فمنزل من سلك سبيل الخير الجنة والنعيم فيها ومنزل سبيــل الشر جهنــم ويعذب فيها واليك هذه الرواية يروى ان سيدنا أبا بكر قال :

الموت باب وكل الناس داخله   ياليت علمى بعد الباب ما الدار

فقال سيدنا عمر :

الدار دار نعيم ان عملت بما   يرضي الآله وان خالفت فالنار

فقال سيدنا عثمان :

هما محلان ما للمــرء غيرهما   فاختر لنفسك أى الدار تختار

فقال سيدنا علي :

ماللعباد سوىالفردوس منزلة   وان هفوا هفوة فالرب غفــار

وكان قصد علي رض الله تعالى عنه بالعباد المؤمنين الصالحين فهما محلان ولكل محل سبيله الخاص فالمرء مخير بين سلوك سبيل جهنم وبين سبيل الجنة ولذا قال الله تعالى : (فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا) اى سلك سبيلا يعيده الى ربــه ويــورثه لقاءه ثم بعــد ماذكر الله تعالى حال الطاغين وحال المتقين نبههم بانذار موجز فقال :

[انا انذرناكم عذاباً قريباً]

وصف ذلك العذاب بالقرب لان كل آت قريب وان بعد ولقــد قيل ما أبعد مافات وما أقرب ما هو آت ، أو لانــه يوجــد قيامتــان القيامة الكبرى وهى التى تأتى بعد خراب الدنيا والقيامة الصغــرى وهى التى تأتى بعد الموت فالمرء اذا مات يلقي جزاء عمله فان الرسول صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم يقول القبر اما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران وقال أيضا من مات فقد قامت قيامته والموت قريب ثم بين الوقت الذى يكون فيه هذا العذاب فقال :

[يوم ينظر المرء ما قدمت يداه]

اى يوم الحساب كل أمرء يرى ما عمله باليدين او بغيرهما وانما

خص اليدين لان غالب الاعمال باليدين وبعد ما رأى الكافر ماعمله وانه يساق الى جهنم يتحسر ٠

[ويقول الكافر ياليتني كنت ترابا]

أى كنت ترابا فلم أخلق ولم آت الى الدنيا ٠٠ أو معناه أن الله تعالى يجمع الحيوانات ليقضى لها ممن ظلمها من الناس بالحمل الثقيل او الاجواع او الايجاع او الاعطاش ثم بعد ذلك تموت وتعود ترابا دون ثواب ولا عقاب ٠ فيتمنى الكافر ان يكون واحـد منهـا ٠

نكتـة ! ! ٠٠٠

ان كثيرا من الناس من يتكبر او يتجبر ويعجب بنفسه وأنه لو قيل له ياحمار لضرب القائل بقنبلة ولكنه يعمل اعمالا فى الدنيا يساق بها يوم القيامة الى النار ويرى الحمير تحيا لتسأل عمن ظلمها فبعدما ثبت على صاحبها الظلم منها تموت وتعود ترابا فيتمنى ذلك الشخص المتكبر والمعجب بنفسه ويقول ياليتنى كنت حمارا فأموت وأعـود ترابا بدلا من أن ادخل جهنم ٠ فقل له يا أخى فاما لاتغضب حينمايقال لك ياحمار او لاتعمل هذه الاعمال التى ستتمنى من جرائها يوم القيامة ان تكون حمارا ٠

حفظنا الله تعالى من مثل تلك الاعمال ٠ آمين يارب العالمين ٠

» سورة النازعات «

« مكية نزلت بعد النبأ وآياتها ست وأربعون »

بسم الله الرحمن الرحيم

والنازعات غرقاً * والناشطات نشطاً * والسابحات سبحاً * فالسابقات سبقاً * فالمدبرات أمراً *

« تمهيد »

قد ثبت ان الحلف بغير الله تعالى أو اسم من اسمائه او صفة من صفاته غير جائز وليس بمنعقد بل حرام فى الدين ومنكر يفسق به الحالف او يكفر على اختلاف فى ذلك بين العلماء ، فكيف أقسم الله تعالى بغيره فى مواضيع عديدة من القرآن الكريم ، وكيف يعظم الله غيره مما خلقه بيده واخرجه من الوجود الى العدم كالشمس والقمر والسماء والارض وغير ذلك مما أقسم به فى كتابه الكريم وكيف يعظم عليه شيىء من الاشياء فيحلف ويقسم به تعالى عن ذلك علوا كبيرا .

هذا من جهة ومن جهة أخرى قد يستدل بعض من لم يفهم المعنى من هذا الايمان ويقول ان الله تعالى أقسم بغيره فى القرآن الكريم فيدل ذلك على ان الحلف بغير الله تعالى جائز كالحلف بالاب او غيره من العظماء او الزعماء او الصالحين فنقول قد ذكر فى التفاسير أجوبة عديدة عن هذا :

الاول : انه يجوز لله تعالى مالايجوز لغيره فحلف الله تعالى بغيره لايفيد جواز الحلف للعباد بغيره تعالى او بغير اسم من اسمائه او صفة

من صفاته فان قياس المخلوق على الخالق باطـل وان الحكم عـلى الله تعالى بالجواز وعدمه كفر والحاد ·

الثانى : ان بعض المفسرين قدروا مضافا قبل ما أقسم الله بـه فقالوا فى « والسماء والطارق » مثـلا ورب السماء ورب الطـارق وهكذا فعلوا فى جميع ما أقسم الله تعالى به فى القرآن الكريم ·

الثالث : ان المراد بهذه الايمان هو تذكير العبد بنعم الله الجليلة وخلق هذه الاشياء وتسخيرها له والفات نظره الى عظمة الله تعالى وقدرته لكى يشكر هذه النعم بالايمان بمن أنعم عليـه وتوحيـده بالعبادة وليخاف من عظمته وقدرته فلا يعصى أمره ولا يعبد غيره الاأن هذه الاجوبة كلها لم تثلج صدرى ولم يطمئن بها قلبى بل الذى وقع فى خلدى واطمئن اليه قلبى بعد النظر والتفتيش ان هذه الايمان ليست ايمانا فى الحقيقة والواقع · حيث ان تعريف اليمين لايصدق عليها وذلك لان اليمين هى تأكيد القائل خبره بذكر اسم من يعظـم ويقدس مقرونا باحدى حروف القسم من الواو او البـاء او التـاء معتقدا بأن صاحب الاسم سيعاقبه اذا كذب فى خبره هذا ويثيبه ان صدق ومن البديهى ان هذا التعريف لايصدق على هذه الايمان فان الله تعالى أجل من أن يخشى عقاب أحد أو أن يطمع فى ثوابه ·

بل ان هذه الايمان دلائل وبراهين وحجج على مايأتى بعدها من الخبر المذكور او المقدر أخرجت فى صورة اليمين لانها تشبه الدليل من حيث ان المراد بكل منهما تأكيد الخبر واثباته هذا ·

وبعدما اتجهت هذا الاتجاه واطمئن القلب اليه رأيت ان الامام

الرازى « رضى الله تعالى عنا وعنه » قال فى تفسيره الكبير فى تفسير سورة « الذاريات » ان الايمان التى حلف الله تعالى بها فى القـرآن الكريم كلها دلائل أخرجها فى صورة القسم لان المتكلم اذا شرع فى أول كلامه بحلف فان السامع يعلم أنه يريد أن يتكلم بكلام عظيـم فيصغي اليه أكثر وأحسن فبدأ الله تعالى بالحلف وأدرج الدليل فى صورة يمين حتى أقبل الناس على سماعه فخرج لهـم البرهـان المبين انتهى ما قاله الامام الرازى « رضى الله تعالى عنه » آمين فشكرت الله تعالى على تطابق رأيى مع رأى هذا الامام الجليل ·

ولكن الذى يتعجب منه ان الامام « رضى الله تعالى عنا وعنه » بعد قوله ماسبق مشى فى تفسيره لهذه الاحـلاف كلها عـلى اليمين الا نادرا جدا وبالاشارة لا التصريح ولم يحول هذه الايمان الى البراهين والادلة ولم يذكر كيفية تحويلها اليها وكم تمنيت ان يفعل لانه لـو حولها لاثلج القلوب ولافاد الناس كثيرا ·

فلذلك بذلت جهدى والفت رسالة سميتها :

« القول المتين فيما ورد مـن القسم بغير الله تعالى فى القـرآن المبين » وحولت فيها هذه الايمان كلها الى براهين وحجج عـلى مايأتى بعدها حسبما آل اليه الفكر الفاتر وعلمي القاصر هـذا وان ماورد من هذه الايمان فى القرآن الكريم بلغ واحدا وعشرين موضعا وان مافى هذه السورة هو الموضع الثامن عشر من تلك المواضع ·

قال تعالى :

والنازعات غرقاً * والناشطات نشطاً * والسابحات سبحاً * فالسابقات سبقاً * فالمدبرات أمراً

المعنى والله اعلم بمراده ان هذه الكواكب والنجوم التى تسير وتخرج من مدار الى مدار ومن برج الى برج سيرا سريعا فتتفرق أى تسرع في سيرها غرقا أى أسراعا ، وتلك الكواكب التى تنشط أى تسير في درجاتها نشطا اى سيرا بطيئا وهادئا ، وهذه التى تسبح فى السماء ومداراتها وفى البروج ومنازلها سبحا فتسبق بهذا السبح والسير السريع غيرها من بعض الكواكب الاخرى كالقمر مثلا فانه يقطع البروج الاثنى عشر كلها فى شهر واحد فى حين ان الشمس تقطعها فى اثنى عشر شهرا ، وكذلك باقى النجوم تختلف فى حركاتها وسيرها فى الفضاء فتدبر كل من هذه الكواكب والنجوم امرأ أو امورا كالشمس مثلا فأنها انيطت بها الانارة فى النهار وحدوث الفصول الاربعة وبث اشعتها للقمر لينعكس عليه للناس فى الليل المظلم وغير ذلك من امور لانحيط بها علما ، وكالقمر مثلا انيط به المد والجزر فى البحار وانعكاس النور فى الليالى المظلمة وغير ذلك مما يعلمه الله واطلع عليه بعض عباده وهكذا فكل كوكب انيط به أمر وامور فى الكون ومنافع العباد ومصالح الوجود وذلك كسبب لا كمؤثر فان الله تعالى هو المؤثر بالذات وهو الذى خلق الاسباب وربط بها المسببات ٠

فهذا الصنع العجيب وهذا النظام البديع المتقن لدليل واضح يدل ويشهد بأن يوم القيامة والاحياء بعد الموت والحساب بعد ذلك ممكن وانه لآت ٠

أما امكانه فلأن من استطاع أن يخلق هذا الكون العظيم وأن يبدع هذا النظام العجيب وان يصنع هذا الصنع المتقن لقادر على أن يعيد الانسان بعد الموت ويحييه بعد الفوت وأن يحاسبه على مافعل وما لم يفعل وما قدم وما أخر كما قال تعالى في سورة يس [أوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم] بل ان اعادة الانسان أسهل من هذا الخلق العظيم بالنسبة الى تصورنا لا الى خلق الله تعالى فان كل شيء بالنسبة اليه سواء فلا أصعب ولا اسهل عند قدرة الله تعالى ٠

وأما دلالة هذا النظام على أن القيامة تأتي فلأن من خلق هذا الصنع العجيب وأوجد هذا النظام التكويني للخلق وفعل كل ذلك لاجل حياة الانسان ولان يعيش على هذه الكوكبة الارضية ليس بمعقول أن يترك الانسان سدى وأن يهمله نسيا منسيا وأن لايضع له نظاما تكليفيا يضبط به أعماله واخلاقه وينظم به وجوده وحياته ويحل به مشكلاته ومعضلاته ويفصل به نزاعه وخصامه ويسير بموجبه في اجتماعه ومعاملاته وفي جداله ومحاكماته فان رئيس القرية يضع نظاما لاهل قريته ورئيس الدولة يسن قانونا لمن تحت أمرته فكيف بالله وهو أحكم الحاكمين فقد وضع نظاما للناس يعملون به ودستورا يعيشون بهديه ، وان من شأن كل نظام أن يثاب من يطبقه ويعمل به وأن يعاقب المنحرف عنه والمخالف لبنوده ٠ وحيث نرى كثيرا من الناس يطبقون أوامر الله تعالى ولا يخالفون شريعته يتفقدون الخير ويبتعدون عن الشر يموتون دون ان يلقوا ثوابا على أعمالهم في الدنيا وجزاء على خيرهم في هذه الحياة وعكسهم إناس

منهمكون فى الشهوات ويعيشون حسب هواهم خارجين عن نظام الله منتهكين حرماته تاركين شريعته وراء ظهورهم جاعلين أوامره نسياً منسيا مع انهم يعيشون فى رغد من العيش وسعادة فى الدنيا ثم يموتون دون أن يلقوا عقابا على أعمالهم وعذابا على سيئاتهم فلو ذهب هذان الشخصان دون عذاب وثواب فمعنى ذلك ان الله ظلم ولم يعدل فى حكمه وتعالى الله عن ذلك علواً كبيرا ، فلابد اذن أن يأتى يوم بعد الموت يحيا فيه الناس ويحاسب فيه الصالحون والمجرمون فيثاب الصالح على حسناته ثوابا جزيلا ويعاقب الفاسق على سيئاته عقابا وبيلا وهذا هو الذى أشار اليه سبحانه وتعالى فى سورة النون [ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم • أفنجعل المسلمين كالمجرمين • مالكم كيف تحكمون •

هذا وقد فسر كثير من المفسرين « النازعات » بطائفة من الملائكة والتى تنزع روح الكفار فتغرق أى تشتد فى النزع غرقا « والناشطات » بالملائكة التى تنشط وتخرج أرواح المؤمنين من أجسادهم بسهولة ويسر حتى لاتؤذيهم و « السابحات » بالملائكة التى تسرع فتسبق الى اداء أوامر الله تعالى فتدبر أمراً مما أمر الله تعالى بها الا أن هذا التفسير لايريح القلوب لان هذه الآيات لو كانت أحلافا وأيمانا فلابد أن يكون الحلف بما يعرفه المخاطبون وان أهل مكة والحاضرين فى ذلك الزمان والمخاطبين بهذه الآيات من منكرى يوم القيامة لم يكونوا ليعرفوا هذه الطوائف من الملائكة حتى يحلف لهم بها • وان كانت دلائل كما اخترنا فلابد أيضا من أن يعرف المخاطبون مايستدل به على ماينكرونه وذلك واقع لانهم

كانوا يعرفون الكواكب والنجوم والصفات التى أسندت اليهـا لا الملائكة بهذه الصفات . هذا وانه يقف القــارىء ــ حســب علــم التجويد ــ على قوله تعالى « أمرا » ولا يوصله بقوله « يوم ترجف الراجفة » لكيلا يتوهم القارىء أن هذا التدبير يكون يوم ترجــف الراجفة أى عند لحظات الحياة المنتهية الآيلة الى الزوال بــل ان هذا التدبير لهذه الكواكب فى الحياة الدنيا وقبل ان يؤمر بخرابها ، وجواب هذه الايمان او الخبر الذى يدل عليه هذه الكواكب وهــذا النظام محذوف تقديره ان القيامة لآتية وكأن قائلا يقول متى تأتى هذه القيامة فيقول تعالى جوابا لهم :

« يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة »

[يوم] مفعول فيه منصوب بفعل مقدر بقرينة المقام تقــديره يأتى القيامة يوم [ترجف] تهتز وتضطرب الارض اضطرابا شديدا تسمى بسبب هذه الحركة والاضطراب الشديد ويقال لها (الراجفة) لانها لشدة حركتها واهتزازها كأنها هى الراجفة ولا راجفة سواها، وهذه الرجفة تكون عند النفخة الاولى والتى يكون بها خراب هذا النظام الكونى الموجود ، وتتساقط النجــوم والكواكــب والشمس والقمر وتتبدل الارض غير الارض والسماء غير السماوات ويموت كل من عليها . [تتبعها] تأتى بعد هذه الرجفة رجفة ثانية تسمى [الرادفة] لانها تابعة وتالية للرجفة الاولى والرادفة بمعنى التابعة وهذه الرجفة تكون عند النفخة الثانية والتى يكون عندها قيــام الاموات من القبور أحياء كما قال تعالى [ونفخ فى الصور فــاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون] .

قلوبٌ يومئذٍ واجفة * أبصارها خاشعة * يقولون أانا لمردودون في الحافرة * أاذا كنا عظاماً نخــرة * قالوا تلك اذاً كرة خاسرة * فأنما هي زجــرة واحدة * فاذا هم بالساهرة *

[قلوب] قلوب كثيرة وهى قلوب الكفار (يومئذ) يوم اذ كــان كذا وجاءت هذه الرجفة فأحييت الاموات [واجفة] مضطربة تلك القلوب وخائفة من هذا اليوم وما يقع فيه مــن الحساب وعقــاب الكافرين فيه وثواب من آمن بذلك اليوم [أبصارهــا] عيــونها (خاشعة) ذليلة من هول ذلك اليوم (يقولون) أى يقول أصحاب هــذه القلوبالخائفة المضطربة تحسر او كراهية لما آلوا اليه[أانا لمردودون] أانا لراجعون [فى الحافرة] فى الطريقة التى أتينا منها أى هــل نرجع الى الحياة مرة ثانية وهذا الاستفهام للتحسر لا للاستفهام فانهم علموا بأنهم قد رجعوا الى الحياة ولكن حسرة على هذه الحياة يقولون ذلك حيث يعلمون مايلاقونه فى تلك الحياة من العــذاب فكانوا يتمنون أن يؤبد عليهم الموت وأن لايرجعوا للحياة [قالوا] تحسرا أيضا [أاذا كنا عظاما نخرة] اى باليــة نــرد ونرجع الى الحياة ثم قالوا اعترافا بقبح مصيرهم [تلك] اى هــذه الرجعــة والحياة الثانية بعد الموت [كرة خاسرة] رجعة خاســر صاحبهــا يريدون بذلك انفسهم والا فبالنسبة للمؤمنين هى رجعة رابحةوهى الحياة المحبوبة لهم والتى تفوق حياة الدنيا تفوقا لايتصور كنهه الا من رزق هذه الحياة [فانما هى زجــرة واحــدة] اى لاتوجــد حادثة بعد ذلك تجمعهم فى عرصة الحشر والحساب ســوى أنهــم

يسمعون صوتا عظيما وصيحة شديدة فيرون أنفسهم بأرض ساهر أهلها ومن دخل فيها • لانوم من خوف الحساب ولا راحة فيها من دهشة الوقوف بين يدى الله تعالى وهذه الزجرة تكون عند النفخة الثالثة والتي يساق بها الناس الى المحشر كما قال تعالى [ونفخ في الصور فتأتون أفواجا] كما مر في تفسير سورة (عمّ) تحقيق ان النفخات ثلاث يموت كل الناس عند الاولى ويحيون عند الثانية ويحشرون عند الثالثة •

« هل أتاك حديث موسى »

قد ورد قصة موسى عليه السلام في القرآن الكريم مرارا فمرة بتفصيل ومرة باختصار ومرة باشارة قصيرة اليها والسبب في ذلك أنها وردت القصة أولا مفصلا لاجل أمور :ــ

١ ــ أن يكون معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولتدل على أنه رسول فان محمدا الذى لم يقرأ ولم يكتب ولم يكن له اى اطلاع وممارسة للكتب السماوية وتواريخ الاقدمين ولا اطلاع له على أخبار الانبياء والمرسلين والذى نشأ في أمة أمية غافلة وجاهلة بهذه الامور كلها ان محمدا هذا الامي يقوم فجأة ويخبر عن الرسل والانبياء السابقين وعما جرى على أممهم كما هو المثبت والمسطور في الكتب السماوية التى لم تحرف ولم تبدل ويخبر عن أمور لم يطلع عليها الا اصحاب الاختصاصات من أحبار اليهود وأهل الكتاب فيدل هذه الامور والاخبارات الصادرة من محمد (ص) على انه أوحي اليه هذه الاشياء وانه رسول والا فليس من الامكان أن يعرف محمد هذه الامور من طريق آخر غير الوحى واعلامه من الله تعالى •

٢ ـ أن يكون بشارة بالنصر للمؤمنين ورسولهم على اعدائهم الكفرة كما نصر الله المؤمنين السابقين على أعدائهم وذلك سنة الله في العباد ٠

٣ ـ أن يكون وعيدا للكافرين بنزول العذاب عليهم كما انزل على من سبقهم من كل أمة عادت رسولها ولم تتبع ما أتى به الرسول من الهداية والشريعة والمنهج الحق القويم ٠

٤ ـ أن يكون تسلية لرسول الله تعالى عليه وسلم واعلامه بان هذه الطريقة قد مر بها الرسل من قبله وقد تحملوا الاذى والمشقة فى سبيل الدعوة ولاقوا ماتلاقيه أنت من عداء القوم وايذائهم واستكبارهم عن الحق فتلك سنة الله مع الرسل الا ان العاقبة لهم لهم والخسارة لمن عاداهم ٠

ثم بعد ذلك كلما ضاق قلب الرسول واصابه الحزن بسبب مشاقة الكافرين واصرارهم على الكفر وايذائهم لاصحاب الرسول والوقوف فى طريق الدعوة وصد الناس عنها بكل اساليب أمكنوا منها يذكره الله تعالى بقصة رسول من الرسل ويذكر نبذة من حياته ليكون تسلية له ووعدا بنصره ووعيدا للكفار بالهزيمة امام هذا الحق المبين والخسارة التى تنالهم على هذا الضلال المشين ٠

ففى هذه السورة بعدما اوضح الله تعالى دلائل تدل على مجيء يوم القيامة بحيث لم يبق مجال للتردد فى الايمان به وازداد الكافرون كفرا وعنادا ولم يخضعوا للحق الواضح وللبرهان الساطع فحزن قلب محمد (ص) فذكر الله تعالى له نبذة قصيرة من حياة موسى عليه

السلام وذكره بمأساة موسى مع قومه ومع فرعون خاصة ليسلى الرسول ويذكره بالنصر الموعود وليوعد أعدائه بالعاقبة المرة الوخيمة ان لم يؤمنوا فقال تعالى [هل أتاك حديث موسى] اى أتاك قصة موسى فاعتبر بها وتسل بها فان هذا هو حال الرسل لايخلون عن ملاقات الصعوبات فى طريق الدعوة وعن شدة المعاداة من أصحاب العتو والكبرياء والمرتزقة من طريقة الضلالة والغواية فهذه حال كل رسول بل وكل داعية الى الله تعالى فيجب عليهم أن يصبروا ويتحملوا مايلاقونه الى ان يأتيهم النصر الموعود فان الصبر حليف الفرج وان بعد كل عسر يسرا وتلك سنة الله فى العباد ٠

اذ ناداٰه ربه بالواد المقدس طوى * اذهب الى فرعون انه طغى * فقل هل لك الى ان تزكى * واهديك الى ربك فتخشى * فأريه الآية الكبرى * فكذب وعصى ٠ ثم أدبر يسعى * فحشر فنادى * فقال أنا ربكم الأعلى ٠ فأخذه الله نكال الآخرة والاولى * ان في ذلك لعبرة لمن يخشى ٠

(اذ) فى وقت (ناداه ربه) بالرسالة وذلك النداء كان (بالواد المقدس) والذى كان يسمى (طوى) فناداه الله تعالى فى ذلك الوادى وقال له (اذهب الى فرعون) كرسول منى حيث (انه طغى) جاوز الحد فى الكفر لانه ادعى الالوهية ونصب نفسه آلها للقوم وجاوز الحد فى الظلم لانه يقتل ابناء بنى اسرائيل ويترك نسائهم خوفا من كثرة رجالهم فيسلبوا عنه ملكه او لان الكهنة اخبروه بانه يولد من بنى

اسرائيل ولد يكـون زوال ملكه عـلى يـده (فقـل لـه هـل لـك)
رغبـة الى ان تزكـى اى تتطهـر مـن الكفـر بالايمـان بـان
لا الـه الا الله وحـده لاشـريك لـه ومـن الظلـم باخـلاء سبيـل
بنى اسرائيل لان نذهب بهم الى فلسطين فيسكنوا هناك فتستريح منهم
ويستريحوا منك (وأهديك الى ربك) وهل لـك رغبـة فى أن
أرشدك الى ربك وخالقك (فتخشى) فتخاف منه ولا تقابله بالكفـر
والعصيان فذهب موسى الى فرعون وبلغه رسالة ربه ودعاه الى عبادة
الله والالتزام بدينه وشريعته فلم يستجب فرعون لذلك فأراد موسى
ان يقنعه فاظهر له المعجزات فلـم يؤمـن (فأريه الآية الكبرى) أى
أظهر موسى لفرعون المعجزة الاكبر من كل المعجزات التى اعطاها الله
تعالى له لا الاكبر من كل المعجزات على العموم (فكذب) فرعون بعـد
ما رأى هذه المعجزات والمعجزة الاكبر منها كذب موسى فى دعـواه
الرسالة (وعصى) فلم يؤمن به ولم يستسلم لامر الله ودينه والعمـل
بشريعته (ثم أدبر يسعى) أى بعد أن رأى هذه المعجزات تولى واجتهد
فى مقابلة تلك المعجزات وفى تبليغ قومه ان لايتبعوا موسى (فحشر)
أى جمع قومه (فنادى) لهم وخطب فيهم قائلا لاتتبعـوا موسى حيث
لارب لكم غيرى (فقال أنا ربكم الاعلى) من كل رب فانتقم الله تعالى
منه [فأخذه] أى عذبه (نكال الآخرة) اى عذاب الاخرة بان ادخله
النار بعد موته (والاولى) وعذاب الدنيا بان اغرقه وقومه فى النيل
(ان فى ذلك) اى فى قصة فرعون وما آل اليه أمره من العذاب فى
الدنيا والاخرة (لعبرة) كبيرة (لمن يخشى) عاقبة الامور واعتبر بمن
مضى وأهلك وخسر الدنيا والآخرة بسبب طغيانه واستمراره عـلى

مخالفة الله تعالى وعصيانه فيرجع ويتوب عن مثل أعمالهم لكي لايبتلى بما ابتلوا به من العذاب والنكال هذا ومن اراد الاطلاع على قصة موسى وفرعون فليقرأ سورة الاعراف وطه والشعراء والقصص فان في ذلك الغرض من المطلوب ، اللهم اجعلنا من المعتبرين ونجنا من الظلم والظالمين آمين برحمتك يا أرحم الراحمين ·

أظهر الله تعالى للناس هذه الدلائل التي تدل على مجيء يوم القيامة وخوفهم من سوء عاقبتهم بقصة فرعون وبعد كل ذلك تمادوا في غيهم وطغيانهم وكفرهم واستمرارهم على عدم الايمان فاستفهم الله تعالى منهم استفهام تسفيه وتوبيخ فقال :

أنتم أشد خلقاً أم السماء بنٰيها * رفع سمكها فسوّيٰها * وأغطش ليلها وأخرج ضحاها * والأرض بعد ذلك دحٰيها * أخرج منها ماءها ومرعٰاها * والجبال أرسيٰها * متاعاً لكم ولانعامكم *

[أأنتم أشد خلقا أم السماء] أأنتم أشد خلقه وأصعب اعادته أم السماء اشد واصعب خلقها والجواب هنا ان السماء أشد واصعب خلقها من خلق الانسان واعادته بالنسبة لنظرنا وعقولنا وتفكيرنا والا فلا شيء أصعب وأسهل بالنسبة الى قدرة الله تعالى فالكل بالنسبة الى قدرته سهل حيث (انما امره اذا أراد شيئاً ان يقول له كن فيكون) فحينما ثبت ان خلق السماء أصعب بالنسبة الى تصورنا قال تعالى (بناها) أى ان الله تعالى بنى السماء وأوجدها من العدم (واغطش ليلها) أى وجعل ليلها مظلما (وأخرج ضحاها) وجعل نهارها مضاء

والارض بعد ذلك دحاها أى وعلاوة عـلى خلق السماء ونهارها ٠ خلق الارض وجعلها فـراشا صالحا للسكـن والحيـاة عليهـا بـأن (أخرج منها ماءها) أوجد فيها مياهها وأنهارها وفجـر فيها عيونهـا وآبارها (ومرعاها) وأوجد فيها المراعى الموجودة فيها (والجبال أرساها) اى وأقام الجبال فيها ونصبها عليها لئلا تضطرب وتتحرك وتميل خلق كل ذلك من السماوات والليل والنهار والارض والميـاه والمراعـى (متاعا لكم ولانعامكم) لاجل ان تتمتعوا بها أنتم وانعامكم فالله الذى خلق هذه السماء التى خلقها أصعب من خلقكم واشد والليل والنهار الذى هو أعجب من أيجادكم والذى خلق هذه الارض وما فيها مـن نبات وأشجار وجبال لقدير أن يخلقكم ويعيدكم بعد الموت حيث أن خلقكم هذا أسهل بالنسبة الى تصوركم من خلق هذه الموجودات العظيمة العجيبة والكثيرة وأسهل بالنسبة الى الواقع الا انه لا اسهـل ـ ولا اصعب بالنسبة الى قدرة الله تعالى وخلقه ٠

« سؤال مهم »

ان هذه الآية الكريمة تفيد بأن الله تعالى خلق الارض بعد السماء وقوله تعالى فى سورة البقرة (هو الذى خلق لكم مافى الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سماوات وهو بكل شيىء عليم) يفيد بان الارض خلقت قبل السماء فكيـف التوفيق بـين الايتين الكريمتين ٠

« الجـواب »

قد ذكر فى تفسير القرطبى والتفسير الكبير للامام الرازى وغيرهما من التفاسير رحمهم الله تعالى أجوبة كثيرة أصحهما اثنان :

الاول : ان الله تعالى خلق الارض قبل السماء غير مدحوة وصالحة للسكنى ثم جعل الارض مدحوة صالحة للسكن بعد خلق السماء ولكن هذا الجواب يناقض قوله تعالى (هو الذىخلق لكم مافى الارض جميعا ثم استوى الى السماء) فانه يفيد أن خلق جميع مافى الارض كان قبل خلق السماء ولا يكون خلق جميع مافى الارض الا بعد دحوها وجعلها صالحة للسكنى وذلك أمر واضح ٠

الثانى : ان قوله تعالى (بعد) فى (بعد ذلك دحاها) ليس بمعنى بعدية الزمان بل هو بمعنى (بالاضافة الى) اى مع وزيادة على ٠ فالمعنى ان الله تعالى خلق السماء والليل والنهار وزيادة على خلق السماء وليلها ونهارها ٠ دحى الارض اى خلقها وبسطها وذلك كما فى قوله تعالى (عتل بعد ذلك زنيم) ويعنى علاوة على هذه الصفات القبيحة السابقة انه اشتهر باللؤم والدناءة وصار ذلك علامة يعرف ويوصف بها ، وبهذا لاتفيد الآية ان الارض خلقت بعد السماء فتبقى آية البقرة غير معارضة وهذا الرأى أصح :

وللوصول الى الجزم بان الارض وما فيها خلقت قبل السموات ام لا علينا ان نتتبع كل الايات الواردة فى كيفية وترتيب خلق السموات والارض فبعد ذلك نستطيع أن نستنبط منها مايفيد الجزم او الظن الغالب فى قبلية او بعدية خلق احديهما قبل الاخرى ٠ ونود أن نبين أولا ان السماوات والارض وما بينهما من نجوم وكواكب وشموس واقمار خلقت فى ستة ايام وذلك حسبما تنص على ذلك الآيات التالية :

(ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام ثم استوى على العرش) سورة الاعراف الاية ٥٣ ٠

(ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الامر) سورة يونس الاية ٣ ٠

(وهو الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام وكان عرشه على الماء) سورة هود الاية ٧ ٠

فنستنتج من هذه الايات أن السموات والارض خلقتا فى ستة ايام بحكم الايات الثلاث وانه لم يكن فى الوجود قبل خلق السموات والارض من شيىء سوى الماء وان عرش الله تعالى اى حكمه كان على الماء فقط بحكم الآية الثالثة ثم نقول ان مابين السموات والارض من الكواكب والنجوم والشموس والاقمار كلها خلقت فى هذه الايام الستة أيضا وللعلم بذلك فاقرأ هذه الايات ٠

(الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام ثم استوى على العرش) سورة الفرقان الاية ٥٩ ٠

(الله الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر) سورة فصلت الآية ١٤ ٠

(ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام وما مسنا من لغوب) سورة (ق) الآية ٣٨ ٠

فيظهر من هذه الآيات ان كل مابين السموات والارض خلق فى الايام الستة التى خلق فيها السموات والارض وذلك بحيث لاغبار عليه لان دلالة الآيات عليه واضحة كل الوضوح ٠

الا انه لم نجد اشارة في هذه الآيات الى ان السماء خلقت قبل الارض او بالعكس ولا الى ان مابين السموات من الكواكب والنجوم والشموس والاقمار خلقت قبلها او بعدها وكـذلك ليس في هـذه الآيات مايفيد أن السماوات خلقت في كـم يوم والارض في كـم وما بينهما في كم من هذه الايام الستة الا أن هذا مذكور بوضوح في الآيات من الثامنة الى الثانية عشرة في سورة فصلت فانها تدل بوضوح عـلى ان الارض وما فيهـا خلقت في اربعـة ايـام وان السماوات وما بينهما وبين الارض من الكواكب والنجوم والشموس والاقمار خلقت كلها في يومين وان خلق الارض وما فيها كان قبل خلق السموات والكواكب والنجوم والشموس والاقمار وللاطـلاع على مانقول هاك قوله تعالى : (قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الارض في يومين وتجعلون له انداداً ذلك رب العالمين) فهذه الآية نص على ان الارض خلقت في يومين ثم قالى تعالى (وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في اربعـة ايام) اى في تكملة اليومين الاولين بيومين آخرين فتكون اربعة ايام · فظهر ان الارض وما فيها من الجبال والنبات والاشجار والانهار والوديان وغير ذلك مما هو سبب لحياة الحيوان خلق كل ذلك في اربعة ايام من هذه الايام الستة فبقت يومان فقط لخلق السموات كلهاوالنجوم والكواكب والشموس والاقمار فخلق كل ذلك في يومين فقط وان خلق السموات وهذه الاشياء كلها كان بعد خلق الارض وما فيها كما تنص على ذلك قوله تعالى :

(ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللارض اتيـا طوعا أو كرها قالتا آتينا طائعين فقضاهن سبع سموات وأوحى في

كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم) ·

ففى هذه الآية تبين ان السموات وما يتبعهـا مـن النجـوم والكواكب خلقت بعد الارض وفى يومين فقط كما يتبين من هـذه الآيات ان السماوات والكواكب والنجوم والشموس والاقمار كـانت دخانا قبل وانها خلقت من الدخان · فظهر من هذه الآيات المذكـورة كلها سبعة أمور :

الاول : ان السموات والارض وما بينهما خلقت كلها فى ستة ايـــام ·

الثاني : ان الارض خلقت فى يومين ·

الثالث : ان مافى الارض من الجبال والاقـوات وبركات الله تعالى خلق فى يومين فصار خلق الارض وما يتبعها فى اربعة ايام·

الرابع : ان السموات وما فوق الارض كله خلق فى يومـين فقط ·

الخامس : ان السموات وكل مافوق الارض خلقت بعد خلق الارض وخلق مافيها من الجبال والاقوات وبعد دحوها ايضا ·

السادس : آن السموات والنجوموالكواكب والشموسوالاقمار خلقت من الدخان ·

السابع : انه لم يكن قبل خلق السموات والارض وما بينهما الا الماء · وكان حكم الله تعالى وعرشه على الماء فظهر مـن هـذه

للسبعة أن السموات والارض والنجوم والكواكب والشموس والاقمار كلها خلق من الماء وان الحق هو ما قال في بعض التفاسير انه لم يكن شيء موجودا سوى الماء وكان عرش الله اى حكمه على الماء ثم رمى الماء بالزبد فخلق من الزبد الارض وصعد منه دخان فخلق من الدخان السماوات وكل ما فوق الارض ولا يخالف ذلك قوله تعالى ٠ (أولم ير الذين كفروا ان السماوات والارض كانتا رتقاً ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون) سورة الانبياء الآية ٣٠ حيث يقول الامام الرازى في تفسير هذه الآية الكريمة انه وجد في التوراة ان الله تعالى خلق قبل كل شيء جوهرة فنظر اليها فاصبحت ماء ثم خلق الارض والسموات من ذلك الماء ٠ أنتهى ٠

لان معنى فتق الرتق تفريق عناصر مجتمعة وجعلها أشياء متفرقة فكان في الماء عنصر الزبد فصار كله أرضا وعنصر الدخان فصار سماوات وعنصر الماء فبقى ماء ٠

وهنا يبادر الى الذهن اسئلة ثلاثة :

الاول :

من البديهي أنه لم توجد الليالى والايام قبل خلق الارض والسماوات والشمس والقمر فما هى تلك الايام الستة التى خلق فيها السماوات والارض وما بينهما ٠

الجواب :

ان هذه الايام هى ايام الله تعالى المقدرة بمقدار يعلمه الله تعالى وقد ورد في القرآن الكريم ان يوم الله تعالى الف سنة من أيامنا

هذه قال تعالى وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون فان كان المراد بالايام الستة من مثل هذا اليوم فيكون خلق الارض وما فيها فى اربعة الاف سنة من سنينا وخلق السموات وما بينهما وبين الارض فى الفى سنة ٠

وورد أيضا ان مقدار اليوم هو خمسون الف سنة قال تعالى فى سورة المعارج (تعرج الملائكة والروح اليه فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة) فان كان المراد بالايام الستة من مثل هذا اليوم فيكون خلق الارض وما فيها فى مائتى الفى سنة وخلق السموات وما فوق الارض فى مائة الف سنة ٠ والله اعلم بمراده فى هذه الايام الستة هل اليوم منها الف سنة او خمسون الف سنة او اكثر او اقل من ذلك ولا نستطيع ان نجزم بشيء من ذلك بدون سند او دليل ٠٠

الثانى : اذا كان خلق الارض قبل السموات كما قلتم فلماذا نقدم السموات على الارض فى كل الايات التى تبحث عن السماوات والارض ؟

الجواب :

ان الترتيب فى ذكر الاشياء أما ان يكون من الادنى الى الاعلى واما بالعكس فان اخذنا بالاول فقد قدمت السماوات على الارض لانها أعلى بالنظر الى تصور الانسان ٠ وان أخذنا بالاعتبار الثانى فلأن الارض انفع للانسان واقرب اليه بل لانه اهم من السموات واشرف منها حيث ان هذه السموات والنجوم والكواكب والشموس والاقمار كلها خلقت لاجل تأمين الحياة على الارض وان

الارض خلقت لاجل ان يحيا عليها هذا النوع الذى هو أشرف كل مخلوق وهو الانسان وللاطلاع على ذلك فاقرأ الايـات التى تنص عـلى ان الله تعالى سخـر السموات والشمس والقمـر والنجـوم والكواكب كلها لاجل الحياة على الارض والانسان الذى يعيش عليها وتستطيع ان تجمع هذه الآيات كلها من مادة (سخر) مـن مرشـد القرآن الكريم او المعجم المفهرس لآيات القـرآن الكـريم وتجد فى ذلك ما يثلج قلبك .

الثالث : ما القول فى النظرية التى تقول ان الارض انفصلت من الشمس وان القمر انفصل من الارض فهذا يدل على ان الارض خلقت بعد السموات والشمس .

الجـواب :

ان هذه النظرية مجرد نظرية ولم تستند الى كتاب او سنة او أو حجة يقينية ولا تزال فى دور الشك والتفحص ولم تصل الى درجـة العلم واليقين فلا يترك ظاهر القرآن لها وفى عقيدتى ان العلم يصل الى درجة تحقق ما فى القرآن من ان الارض خلقـت قبـل السماء والكواكب والنجوم والشمس والقمر فيخضعون لمـا فى القـرآن ويتحقق قوله تعالى (سنريهم آياتنا فى الافاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق (وما ذلك على الله بعزيز) هذا وقد كتبت فى القول المنصق مايوافق هذه النظرية تقليدا لا تحقيقا فتركت ماهناك لما هنا ثم بعدما أظهر الله تعالى مايدل على حـدوث الحياة بعـد الموت والحساب بعد الفوت قال وعز من قائل :

فاذا جاءت الطامة الكبرى * يوم يتذكر الانسان ماسعى * وبرزت الجحيم لمن يرى * فأما من طغى • وآثر الحيوة الدنيا * فان الجحيم هى المأوى * وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس * عن الهوى فان الجنة هى المأوى *

[فاذا] العامل فى اذا فعل محذوف تقديره وقت ماجاءت الطامة يقع مايقع [الطامة] القيامة مشتقة من طم وفى مختار الصحاح كل شيء علا وكثر وغلب فقد طم سميت القيامة بالطامة لانها داهية غلبت الدواهى كلها ولذلك سماها الله تعالى (الكبرى) اى الداهية الاكبر من كل داهية •

ثم بين مايقع فى هذه الداهية فقال (يوم) وهو مفعول فيه منصوب بما بعده وهو يتذكر المذكور فى قوله تعالى (يتذكر الانسان ماسعى) من الاعمال فى الدنيا من خير وشر وكذا وبرزت الجحيم فى قوله تعالى)وبرزت(أى أظهرت (الجحيم) وهى جهنم (لمن يرى)اى لمن يوجد منه الرؤية فيراها كل راء وكل انسان فى ذلك اليوم وهذا كناية عن كثرة ظهورها ثم ذكر نتيجة تذكر وتعداد هذه الاعمال وبروز الجحيم لكل انسان فقال [فأما من طغى] أى تجاوز الحد فى العقيدة بأن كفر أو فى الاعمال بأن فجر (وآثر) اى اختار (الحياة الدنيا) على الاخرة فان المعاصى كلها انما يرتكبها المرء لاداء شهوة او لنيل منفعة او لحصول لذة فى الدنيا وحيث يخسر بذلك لذة فى الاخرة وشهوتها ومنفعتها فقد اختار الحياة واللذة فى

الدنيا على لذة الآخرة (فان الجحيم) جهنم (هى المأوى) لهذا الطاغي يبقى فيها أبداً ان كان الطغيان فى العقيدة وبسبب الكفر او مدة يستحقها ان كان الطغيان فى العمل وبسبب المعاصى ·

(وأما من خاف مقام ربه) اى الوقوف بين يدى الله تعالى للحساب ودعاه هذا الخوف الى ترك المعاصى والذنوب (ونهى النفس) اى زجرها ومنعها (عن الهوى) عما تهواه النفس (فان الجنة هى المأوى) أى هى مأواه دون ان يرى شيئا من العذاب ان تساوت حسناته مع سيئاته او بعد ماتطهر ان زادت سيئاته على حسنتاته الا انه حينما دخلها يكون فيها أبدا كما قال تعالى (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لايبغون عنها حولا) فالالف واللام فى الموضعين عوض عن المضاف اليه والتقدير مأواه كما قدرنا (يسألونك عن الساعة) بعدما أثبت الله تعالى امكان ووقوع القيامة واخبر عما يجرى فيها من الثواب والعقاب كان الناس من المؤمنين والكافرين يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الساعة اى ساعة قيام الناس وحشرهم وخراب الدنيا وكانوا يستمرون فى هذا السؤال ويلحون فى طلب الجواب عن سؤالهم هذا فكان الرسول يحب ان يعرف ذلك الوقت ويبين لهم تطمينا لقلوب المؤمنين وطمعا فى ايمان الكافرين نتيجة الجواب عن هذا السؤال وكان قلبه مشغولا بذلك ومنتظرا الوحى الكاشف عنه ولكن حيث ان هذا العلم سر من أسرار الله تعالى ومختص بذاته وليس مما يكشف للعباد قطع الله تعالى طمع الرسول (صلى الله تعالى عليه وآله وسلم) فى العلم بذلك والاعلام بوقته أراحة لقلبه الشريف وسدا لباب السؤال عن هذا الموضوع فأنزل :

يسألونك عن الساعة أيان مرساها * فيم أنت من ذكراها * الى ربك منتهاها * انما أنت منذر من يخشاها * كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية أو ضحاها *

(يسألونك عن الساعة) ليس هنا مايبين من هم السائلون او يوضح نوعيتهم او شخصيتهم فلذلك يحمل على العموم اى يسأل المؤمنون تطمينا لقلوبهم والكافرون انكارا او احراجا للنبى (ص) او منهم من يسأل أنكارا واحراجا ومنهم من يريد وضوح الحق ليؤمن فيسألون ويقولون (أيان مرسيها) اى متى تقوم الساعة فالسؤال كان عن بيان وقتها لا عن حقيتها فان المؤمنين كانوا يؤمنون بحقيتها فلا يسألون والكافرين منهم من ينكر حقيتها فيسأل عن وقتها انكارا واستهزاء ومنهم من يتردد فيسأل لزيادة الايضاح ليظهر عنده مايوجب ايمانه الا ان العلم بذلك الوقت أختص الله تعالى بعلمه فقال (فيم أنت من ذكراها) أى ما السبب فى ذكر القيامة والسؤال عنها والرغبة فى العلم بها وان الله تعالى كان عالما بالسبب الذى كان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم لاجله يحب العلم بذلك الوقت وذكره للناس وهو تطمين قلوب المؤمنين والطمع فى ايمان الكافرين فاستفهم انكارا لهذا السبب وانه ليس مما يوجب حبك لهذا ، كذا قالوا فى التفاسير ولكن اعتقد بان المعنى فيم أنت أى فى اى درجة من الاستعداد للعلم بذلك فانك لم تعط الاستعداد لهذا العلم ولذلك قال (الى ربك منتهاها) الى علم ربك منتهى العلم بهذا وان هذا العلم مختص بالله تعالى ولا يليق بالعبد ان يعلمه وان كان رسولا

فاذا لم يعط هذا العلم للرسول الاعظم فلا يمكن ان يعلم ذلك غيره من المخلوقين حتى الملائكة المقربين ولذلك حينما سأله جبريل عليهما السلام قائلا متى الساعة قال ما المسئول عنه اعلم من السائل اى كلانا سواء فى عدم العلم بذلك ثم ذكر للرسول انه ليس عليه ان يذكر لهم وقت قيام الساعة وليس من واجبه ذلك ، بل ان واجبه التبشير والانذار بما فى ذلك اليوم من ثواب المؤمن وعقاب الكافر فقط فقال (انما انت منذر) أى واجبك الانذار من هول ذلك اليوم فقط وليس من واجبك الاعلام بوقته فاقتصر على واجبك ولا تتعب نفسك فيما ليس من واجبك (من يخشاها) أى انك منذر من يخشى القيامة وعقابها خص الانذار بمن يخشاها وان كان الانذار عاما لمن يخشى ولمن لايخشى لان الانتفاع بالانذار خاص بمن يخشى اما من لايخشى فلا ينتفع به فكأنه لم ينذر وان كان انذاره واجبا وقد أنذره الرسول حيث كان انذاره للكل ويظهر من هذه الآية أن الرسول صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلم كان يرى ان عليه أن يعلم وقت الساعة وان عليه أن يخبرهم به فاعلمه تعالى ان ذلك ليس عليه وليس من وظيفته ولذلك تقول السيدة عائشة (رضى الله تعالى عنا وعنها) (لم يزل الرسول يذكر الساعة ويسأل عنها حتى نزلت هذه الآية) فما أحرص محمدا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم على أيمان الناس كان يحب ان يظهر لهم كل شيىء ليؤمنوا وينجوا من العذاب فصدق الله العظيم اذ يقول (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم) ثم ذكر الله تعالى طرفا من هول ذلك اليوم والذى يكون به الانذار فقال (كأنهم يوم يرونها) هنا تقديم وتأخير

والتقدير يوم يرونها أى يوم يرون الساعة يكون حالهم مـن شدة ذلك اليوم (كأنهم لم يلبثوا) فى الدنيا (الا عشية أو ضحها) أى عشية يوم او ضحى تلك العشية فقط يستقلون بقائهم فى الدنيا من شدة ذلك اليوم وهكذا حال الانسان حينما رأى الشدة ينسى كل الرخاء وبالعكس ·

فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ونرجو مـن الله تعالى حسن الختام ·

«حسين» يكتب تفسير قسم
من القرآن خص «النازعات»
لوالده المليك لبحـر علـم
وقـاه الله شـر النائبات
وقد ختمت بموضوع القيامة
وما فيها من الاهوال آت
فيارب أنلـه وأنلنـا
بعفو والرضا يوم الممات

« بسم الله الرحمن الرحيم »

« عبس وتولى أن جاءه الأعمى »

« عبس » أى تغير لون وجه الرسول صلى الله عليه وعلى آلـه وسلم من الكراهة ·

« وتولى » أى أعرض عن الاعمى بقرينة قوله ·

(أن جاءه الأعمى)

أى وقت مجيىء الاعمى اليه ·

سبب نزول هذه الآيات :

اجتمع عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم مجموعة من صناديد قريش وأشرافها فكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يعظهم ويدعوهم الى الاسلام وكان حريصا على اسلامهم حرصا شديدا لانه كان يظن ان فى اسلامهم خيرا كثيرا للاسلام حيث يسلم معهم أناس كثيرون ويعتنقون هذا الدين ، فجاءه « عبدالله أبن أم مكتوم » وهو أعمى لايرى انشغال الرسول صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بهذا الجمع فنادى قائلا يامحمد علمنى مما علمك الله تعالى فقطع بذلك كلام رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم وسلسلة ماكان يلقيه علىهذا الجمع الكبير سادةقريشواشرافها فكره الرسول ذلك وتغير وجهه وأعرض عن الاعمى فلم يجبه فعاتبه الله تعالى على ذلك فقال ·

(عبس وتولى أن جاءه الأعمى)

وقد كان الرسول صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم يرى أن أسلام هؤلاء أنفع من هذا الاعمى فرد الله تعالى على ظنه هذا فقال :

« وما يدريك لعله يزكى »

« وما يدريك » أى شيىء أعلمك بان هؤلاء أنفع أى ليسوا هم

بانفع بل أن هذا الاعمى أنفع لانه « لعله يزكى » أى يترجى منه ويتوقع أن يتزكى من الكفر والشرك فانه جاء لذلك ·

« أو يذّكّر فتنفعه الذكرى »

(أو يذكر) اى بل يتوقع منه أن يتعظ ويسمع الموعظة منك « فتنفعه الذكرى » أى موعظتك فانه راغب فيها وطالب لها وأما هؤلاء فليسوا ممن يتوقع منهم التطهر ولا الانتفاع بالذكرى لانهم يرون أنفسهم مستغنين عنك وعن موعظتك فكان عليك ان تقبل على الاعمى فورا وتعرض عن هؤلاء الذين كانوا يسمون بالاشراف ولكنك عكست الامر حيث :

« أما من أستغنى »

أى يرى نفسه غنيا عنك وعن موعظتك ويتكبر عنها ·

« فأنت له تصدى »

تتعرض وتقبل عليه وتحرص على وعظه وكسبه فلماذا هذا الحرص عليهم ·

« وما عليك ألا يزّكى »

أى ضرر يلحقك حينما لايتزكى ولا يتطهر من الشرك والكفر هؤلاء المتكبرون الذين يرون أنفسهم اغنياء عن الاسلام ، أى ليس عليك أى ضرر فلماذا تقبل عليهم ·

« وأمّا من جاءك يسعى »

ولكن من جاءك برغبته ويجتهد ويرغب فى الاسلام ·

« وهو يخشى »

الكافرين أن يؤذوه فأنهم كانوا يؤذون الضعفاء حينما اسلموا وكانوا يريدون أن يجبروهم على الارتداد والخروج مما دخلوا فيه من هذا الدين القويم والمنهج المستقيم · ومع رغبته هذه وفى حالة خوفه تلك ·

« فأنت عنه تلهّى »

أى تعرض عنه وتتغفل عنه كأنك لم تسمع صوته ونداءه ومن هنا يؤخذ دروس لكل داعية يدعو للاسلام ولكل عالم اسلامى حنيف ·

الاول :ـ انه لايجوز الاعراض عمن سألك سوالا دينيا ولا التعبيس بوجهه مهما كان ظروفك فان كنت بحيث تستطيع انتجيبه فأجب والا فعليك ان تسوفه بكلام لطيف وان الاعراض عنه منهى قال تعالى : « واما السائل فلا تنهر · »

الثانى : أنه لايجوز فى الدعوة والتبليغ وتعليم الاسلام التفريق بين قوى وضعيف وفقير وغنى ووضيع وشريف ولا يجوز الاعراض عن أحد لاحد مهما كانت منزلته الرفيعة فى الدنيا وعند الناس بل ينبغى ان تتوجه لمن توجه اليك وأن كان فقيرا وان تتولى عن من استغنىعنك وان كان غنيا وقويا كما اوضح تعالى فى قوله · (وأصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا وأتبع هواه وكان أمره فُرُطا ··) سورة الكهف ·

الثالث :ـ ليس نفع الاسلام منوطا بالاغنياء او الاقوياء اكثر من الفقراء او الضعفاء بل انما ينتفع الاسلام بمن كان قلبه طاهـرا نقيا راغبا فى الاسلام وان كان فقيرا او ضعيفا ولا ينتفع الاسلام بمن كان له قلب خبيث وتكبر يستغنى عن الاسلام وان كان قويا او غنيـا فالانتفاع مربوط بالقلب العامر لا باصحاب القوة والمفاخر ٠

الرابع : ان اعراض الناس عن الايمان والاسلام وعدم انقيادهم لايضر الداعية شيئا فان الذى على الداعى هـو الذكـرى فقط فمن استجاب فلنفسه ومن أعرض فانما يضر نفسه وان الداعى قد أدى واجبه ونال أجره وثوابه « وما عليك الا البلاغ المبين) ٠ ومن الخطأ الذى وقع فيه العلماء انه حينما يقال لهم لماذا لاتعظ الناس يقولون ان الناس لايستجيبون ، فليقرأ هؤلاء قوله تعالى : (وقالت أمة لـم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا قالـوا معـذرة الى ربكم) فعليك أيها المسلم ان تذكر واما التذكر فلا تكلف أنت به بل ان شاء الله تعالى خلق وان لم يشأ لم يخلق وانما كلفت أنت بالذكرى فقط فذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين ٠

الخامس :ـ أنه لاينبغى للداعية الى الاسلام ان ينظر الى الاشخاص والاجناس ويفرح بالاغنياء والاقوياء حينما يستجيبون او يغتم حينما يعرضون ويتولون او ان يهتم بأن هذا جاء وذاك أبى وتولى وأقبل هذا وأدبر ذاك بل عليه أن يلقي قوله الحق وينشر دعوته بين الخلق فمن أخذ به فنعم ومن أعرض عنه فلا يضره أعراضه شيئا قـال تعـالى : « وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » ٠

وأن الله تعالى خصص لكل منزلا وعاقبة ومصيرا ٠٠

السادس : ان هذه الدعوة لاتختص باناس دون أناس ولا بقوم دون آخرين بل هى دعوة لمن استجاب فقيرا كان او غنيا وسبيل لمن سلكه قويا او ضعيفا وهداية لمن اهتدى بها شريفا او وضيعا كما قال تعالى :

« كلا انها تذكرة فمن شاء ذكره »

أى لاترجع لمثل هذا العمل فتفرق بين الاقوياء والضعفاء والفقراء والاغنياء فان هذه الدعوة تذكرة عامة فمن شاء ذكره وأخذ بها وهو الذى ينتفع بها وينبغى أن تتوجه اليه ومن لم يشأ فلا فائدة فيه وان اتعبت نفسك من ورائه وأتيت به الى الاسلام فان العبرة بحرارة القلب وحب الاسلام لا بالاشخاص ذوى المال او الجاه أو السلطان ٠

تنبيه

ان هذه الحادثة تدل على أن الرسول صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم كان يعمل فيما لم ينزل فيه وحى حسب اجتهاده ووفق المصلحة التى يراها ٠ فبعد ذلك كان الله تعالى يقر الحكم الذى أدى اليه اجتهاده او يبدل ويرشده الى حكم آخر فيقول بعض العلماء أن هذا يعتبر خطأ فى الاجتهاد وان الرسول صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم يخطىء والخطأ فى الاجتهاد ليس بذنب ٠ وانه حينما يقال أن الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم معصوم فمعناه بالنسبة الى المعاصى أنه لايصدر منه معصية قطعا واما بالنسبة الى الخطأ فمعناه أنه أما ان لايصدر عنه خطأ او اذا صدر عنه فينبه فورا من قبل الله

تعالى ولا يقرر على الخطأ بخلاف باقي المجتهدين وانهم لاينبهون على خطأهم ويستمرون عليه هذا ولكن لايخفى أن نسبة الخطأ الى الرسول شيىء لايليق بمقامه العزيز وجنابه الرفيع فالذى أراه ان الحكم الذى وصل اليه أجتهاده صحيح وليس بخطأ لانه أجيز من قبل الله تعالى أن يجتهد وحينما أجتهد فأدى اجتهاده الى حكم يكون ذلك الحكم صحيحا حسب المصلحة التى اصدر حكمه لاجلها فيكون تغيير الله تعالى لذلك الحكم نسخا وتبديل حكم حسن بأحسن منه وليس تخطئة للرسول أو تنبيها له على الخطأ . فهنا لم يكن حرص رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم على اسلام هؤلاء الاشراف من قريش لانهم أغنياء أو شرفاء بل لانه كان يظن أن الاسلام يقوي باسلامهم ولم يكن توليه عن ابن أم مكتوم لانه فقير او اعمى . بل لانه اعتقد أنه أضر الاسلام بقطعه كلامه مع هؤلاء والتشويش عليه حيث كان يعتقد أنه لو أدام الكلام معهم مترسلا ومتسلسلا لهداهم الى الحق واعتنقوه فبذلك يحصل قوة للاسلام ولكن ضيعه أبن أم مكتوم فعلى ذلك كان عبسته وتوليه عنه لمصلحة الاسلام واقباله على الاشراف للمصلحة نفسها فلم يكن ذنبا ولا خطأ بل حرصا على الاسلام كما قال تعالى : « حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم » ثم بعدما وصف الله تعالى مايدعو اليه الرسول من الاسلام وما أوحى اليه فى القرآن الكريم بأنها تذكرة أخبر عن هذه التذكرة بأنها جاءت من الله تعالى وأنها نزيهة ورفيعة ومطهرة من كل مايورث التغيير والتبديل والخلط والاختلاط فقال الله تعالى :

« في صحف مكرّمة مرفوعةٍ مطهرة »

مكرمة عند الله تعالى مرفوعة القدر مطهرة من الخلط والاختلاط وليس كالذى يأتى به الكهنة فانهم كانوا يأخذون أشياء من الجن الذين استرقوا السمع واخذوه من الملأ الاعلى ولكنهم خلطوا ذلك باكاذيب حسب هواهم وأباطيل حسبما تدعو اليه رغبتهم ومصلحتهم ولكن القرآن نزل وجاء محفوظا من هذا الخلط ٠

« بأيدي سفرةٍ »

ملائكة سفراء بين الرسل ورب العالمين ٠

« كرامٍ بررة »

أمناء من كل خلط وتبديل وتحريف ٠

« سؤال »

ما الحكمة فى أن الله تعالى وصف القرآن بهذه الصفات الجليلة وأخبر عنه بأنه من الله تعالى ٠

بدون تاكيد ودون أن يبرهن عليه بدليل ؟!

« الجـواب »

كثيرا مايوصف الله تعالى القرآن بمثل هذه الاوصاف الجليلة دون تاكيد وبرهان وذلك لان القرآن نفسه دليل على جلالته وصحته ونزاهته من كل نقص وعيب وأنه لايمكن صدور هذا الكلام الا من الله تعالى فان كلاما فاق كلام الشعراء والبلغاء والخطباء كلهم فى الفصاحة والبلاغة ولم يستطيع أحد أن يعارضه ولو بأقصر سورة منه ٠

مع شدة حرصهم على ذلك وأصبح يخبر عن الماضي وقصص المرسلين كما هو في التوراة والكتب السماوية ويخبر عن أمور المستقبل كما وقعت ويخبر عن أمور كونية وطبيعية يكشفها العلم كما أخبر القرآن عنه . فكلام كهذا يأتي به محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهو أمي بعيد عن كل دراسة وعلم وكتاب لايمكن الا عن وحي من الله تعالى . هذا وان كل من تفكر في القرآن وطبقه مع العلوم الكونية والتاريخية والنظم وقوانين الحياة لايبقى له مجال الا أن يذعن ويؤمن بان ذلك حق وما سواه باطل وانه من الله تعالى وأن محمدا رسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم فلذا جعل الله تعالى من ينكر هذا القرآن ولا يتبعه بأنه حريٌ بأن يتعجب منه ومن كفره ويلعن فقال الله تعالى :

« قُتِل الانسانُ ما أكفره »

حيث يسمع هذا القرآن الذى وصل الى حد من الكمال والجمال لايكفر به الا من بلغ أقصى حد من الكفر والانكار للحق والتولي عن النهج القويم والمنهج الواضح المستقيم .

فائدة

ان الانسان حينما يقرأ هذه الحادثة من القرآن الكريم يوقن أيقانا لاغبار عليه بأن هذا القرآن هو من الله تعالى وليس لمحمد صلى الله عليه وسلم دخل فيه وأنه رسول أمين فانه من البعيد جدا ان يأتي رجل بكتاب من عند نفسه فيسجل فيه ملامة على نفسه وتبقى هذه الملامة تتلى على مر السنين فلو لم يكن القرآن من الله تعالى لما سجل محمد

هذه القصة ولو لم يكن رسولا أمينا لحذف هذه القصة او على الاقل غيرها بعض التغيير فما اصدق محمدا صلى الله تعالى عليـه وسلـم فى رسالته واعجب به أمينا فى تبليغه فعليه الاف الصلاة والسلام من الله تعالى ذى الجلال والاكرام ونرجو شفاعته لنا فى حسن الختام .

معجــزتان

الاولى :

ان قوله تعالى في الاعمى « لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى » يخبر بأن هذا الاعمى يتزكى ويتطهر من الكفر والشرك وأنه يسمـع لدعوتك فتنفعه وتجلبه للاسلام فيكون مسلما صادقا ومؤمنا كاملافان لعل فى كلامه تعالى ليس للترجى بل للتحقيق . وقد حصل ذلك مثل ماأخبر فان هذا الاعمى وهو عبدالله بن أم مكتوم أسلم واصبح من صحابة رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم وقـد استخلفه الرسول على المدينة وللامامة مكانه فى مسجده الشريف مرتين حينما ذهب الى الجهاد وهذا أخبار عن المستقبل كما يقع فيكون معجزة .

الثانيـة :

مالى « وما عليك الا يزكى » يشعر بان هؤلاء الذين كان الرسول يعظهم آنذاك من صناديد قريش لايتزكون من الكفـر ولا يتطهرون بالايمان وقد وقع كذلك لان كلهم ماتوا على الكفر وهـم ، ابو جهل ، وعتبة بن ربيعة وابى بن خلف ، وأمية بن خلف ، وعباس بن عبدالمطلب فهؤلاء كلهم ماتوا على الكفر سوى عباس وان عباسا لم يكن مقصودا بالمناجاة والموعظة وانما حضر لاجل الرسول صلى الله

تعالى عليه وآله وسلم • حيث كان يحضــر اكثر مجالس النبى مــع الناس بغية أن يدافع عنه اذا حدث شيىء وهــذا ايضا اخبار عــن المستقبل كما وقع فيكون معجزة هذا والله أعلم •

« من أي شيء خلقه »

يحيط بالانسان ثلاثة اشياء كل واحد منها لو تفكر فيــه لكفاه للايقان والايمان بالله ووحدته واليوم الاخر :

احدهما : القرآن وقد ذكره الله وأشاد به ولام الانسان على عدم الانتفاع به قائلا « قتل الانسان ما أكفره » •

الثاني :ــ هو وجود الانسان نفسه فألفت الله تعالى نظر الانسان اليه فقال :

« من أي شيىء خلقه »

أى فليتفكر الانسان الى خلقته وليعلم من أى شيىء خلقــه الله تعالى ثم ذكر الشيى الذى خلقه منه فقال :

« من نطفةٍ خلقهُ فقدّره »

فالذى خلقه من هذه النطفة لقدير على أعادته فبعد ماخلقه تعالى من هذه النطفة [illegible]ى جعل له قدرا معينا مــن الحسن والجمــال والعقل والكمال [illegible] ذلك •

« ثمَّ السَّبيلَ يسَّرهُ »

أى ثم سهل له طريق الحياة فى هذه الدنيا وسلوك سبيل الخير والشــر •

« ثم أماته' فأقبره' »

ولم يترك جثته لنهش السباع أحتراما وتقديرا له فكان من الواجب عليه ان يتفكر فى خلقته هذه ويؤمن بخالقه ويشكر نعمته هذه الا أنه ترك هذا كله واتبع هواه وغفل عن مولاه ولم يؤد ماوجب عليه فلذلك ردعه الله تعالى فقال ٠

« ثم اذا شاء أنشره' »

أى ثم فى الوقت الذى يشاء مولاه أنشره وأحياه لغرض الحساب والجزاء والجنة والنار ٠ وقال تعالى :

« كلا لما يقض ما أمره' »

كلا : أى فليرتدع الانسان لانه « لما » أى الى الان (لما يقض) لم يؤد « ما أمره » الله تعالى به من توحيده فى ربوبيته وأتباع شريعته والاستقامة على طريقته ٠

الثالث : مايعيش الانسان معه طول حياته ويتمتع به ويجتني منه مايحتاج اليه من طعامه وأقواته وذلك كالنبات والحبوب والاشجار فقال تعالى

« فلينظر الانسان' الى طعامه »

والمعنى أن الانسان حينما لم يتفكر فى القرآن أو تفكر فيه فلم يخضع له ولم يسقه ذلك الى الايمان الكامل والعمل الصالح ولم يتفكر فى وجوده فيعرف بذلك خالقه ويشكره باتباع اوامره والانتهاء عن مانهى عنه فحينما لم يتفكر فى ذلك كله ٠

« فلينظر الانسان » أى فليتفكر وليمعن نظره .

« الى طعامه » كيف وجد ذلك وليعلم .

« أنّا صببنا الماء صبّاً »

أى أنزلناه من السماء بكثرة تكفى لاحياء الارض وظهور النبات فيها .

« ثم شققنا الأرض شقاً »

«ثم» أى بعد نزول المطر .

« شققنا الارض شقا » فبعد شق الارض .

« فأنبتنا فيها حباً »

أى انبتنا فى الارض حبا يقتات منه الانسان .

« وعنباً وقضباً »

« وعنبا » يتفكه به فى حالة كونه عنبا ويقتات منه حينما صار زبيبا ويشرب من عصيره ودبسه .

« وقضبا » أى أنبتنا فى الارض مايقضب أى يقطع ويجنى شيئا فشيئا وهو الرطب وهو مالايتجفف ولا يصير تمرا .

« وزيتوناً ونخلاً »

المراد به مايجفف ويصير تمرا .

« وحدائق غُلْباً »

« حدائق » أى بساتين « وغلبا » أى كثيرة وخلق من هذه البساتين

« وفاكهة وأبّا »

« فاكهة » يتفكه به الانسان « وأبا » أى مايقطع ويكون مرعى للانعام خلق الله كل ذلك ·

« متاعاً لكم ولأنعامكم »

فمن تفكر فى هذه الاشياء تفكيرا صحيحا وتدبر بعقل مستقيم وصل الى مقاصد ثلاثة وهى :

الاول : أن وجود هذا النظام البديع والخلق العجيب من هذه البحار الواسعة وتصاعد البخار منها فيشكل السحب الحاملة للماء من ذلك البخار ونزول المطر منها على الارض وانشقاق الارض بعد دخول الماء فيها وخروج النبات من ذلك الشق وظهور الحبوب والثمار المختلفة الانواع والفواكه المتنوعة والبساتين الكثيرة والمراعى الوسيمة لايمكن وجود هذا الصنع بدون صانع حكيم وخالق قادر عليم ومبدع قوي عزيز وهو الله تعالى · فيصل بذلك التفكير الى معرفة الله تعالى التى هى من أشرف المقاصد والى أن من خلق هذا لقدير على أن يحي الموتي وأن يحاسبهم ··

الثانى : ان من صنع هذا الصنع العجيب وخلق هذه الاشياء كلها ليتمتع بها الانسان لمنعم كبير يجب أن يشكر وأن يعبد ويطاع وأن لايعصى أمره ولا يرتكب ماهو نهي عنه ·

الثالث : أن من خلق هذا الخلق العجيب وأنشأ هذه النعم للانسان لايعقل أن لايضع له نظاما يسير عليه ودستورا يعمل به وشريعة يطبقها فى شؤونه وأن كل نظام يوجب ثوابا لمن أطاع وعقابا لمن

اضاعه فلابد من أن يأتى يوم يحاسب فيه الانسان وينال المطيع لشريعة الله ثوابه والمعرض عنها عقابه وذلك يوم القيامة وبهـذا التفكـير يؤمن بهذا اليوم ويسلك السبيل المستقيم حيث يعلم أن ذلك اليـوم لشديد وقد وصف الله تعالى شدته فقال :

« فاذا جاءت الصّاخّةُ »

أى الصيحة التى تصخ أى تصم الاذان لشدتها ثم قال تعالى ٠

« يوم يفرُ المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبتـه وبنيه »

«يوم» منصوب بفعل مفهوم من قوله جاءت الصاخة كانه قيل متى تجىء هذه الصاخة ٠ فقال تعالى تجىء «يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه » الترقى هنا من الادنى الى الاعلى فكأنه قال يفر المرء من أخيه بل وأمه بل وابيه بل وصاحبته أى زوجه بل وبنيه لان الانسان عادة يهتم بالولد اكثر من زوجه ثم بزوجه اكثر من الاب وبالاب اكثر مـن الام وبالام اكثر من الاخ هذه عادة الانسان وقد يشذ بعض الناس عن هذه الحالة حسب ظروف خاصة والشاذ لايعبأ به ولا يبنى عليه الامور ٠ ثم ذكر سبب الفرار منهم بقوله :

أى يوم اذ جاءت الصاخة لكل امرىء شأن أى حال يكفيه للانشغال به دون غيره فيصده مشغلته بنفسه عن المبالاة بأعز شخص عليه حينما يلتجأ اليه فى ذلك اليوم فيقول نفسى نفسى سوى محمد رسول الله تعالى صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم فانه يقول أمتى ثم بعدماذكر تعالى شدة هذا اليوم ذكر عاقبته ونتيجته فقال :

«وجوه يومئذٍ مُسفرة»

أى بشوشه تظهر عليها آثار الفرح · ثم قال تعالى ·

« ضاحكة مستبشرة »

« ضاحكة » لفرحها «مستبشرة» أى يظهر أثر الفرح فى بشرتها ·

« ووجوه يومئذ عليها غبرة »

أى يعلو عليها لون كالغبار ·

« ترهقها قترة »

«ترهقها» أى يسترها · «قترة» أى سواد ثم بين أصحاب هذه الوجوه بقوله تعالى :

« أولئك هم الكفرة الفجرة »

هم الذين كفروا أى لم يؤمنوا بالحق والذين فجروا أى خرجوا عن الحق وعدلوا عن الصراط المستقيم وهنا ينشأ سؤالان ·

الاول : أن الله تعالى ذكر أن في ذلك اليوم ينشغل كل امرء بنفسه ويفر من أعز شخص عليه وذلك يفيد أن كل انسان هناك مهموم ومغموم لافرح منه ولا مرور ثم ذكر أنه فى ذلك اليوم وجوه مسفرة ضاحكة مستبشرة ؟

الجواب على ذلك هو :ـ

أن فى هذا اليوم مراحل ففى المرحلة الاولى كل أنسان يغتم ويهتم ويفر من كل أحد لانشغاله بنفسه وذلك قبل الحساب وفى المرحلة

الثانية بعدما علم الناس حسابهم وتبين من يساق الى الجنة ومن يساق الى النار تستبشر وجوه مـن يساق الى الجنـة وتغبر مـن يسـاق الى النار ٠

السؤال الثانى :ـ وهى ٠

هو أن الله تعالى بين اصحاب الوجوه المغبرة والمسودة وذكر أنهـم هم الكفرة الفجرة ولم يبين أصحاب الوجوه المستبشرة من هؤلاء ؟

الجـواب :

أن الضد بالضد يعرف فأصحاب الوجوه المستبشرة هـم المؤمنون الصالحون اذن ٠

السؤال الثالث :ـ

قسم الله تعالى الوجوه آلي مستبشرة ومغبرة وفسر المغبرة بالكافرين والمستبشرة بالمؤمنين ولم يذكر هنا حال الفاسقين هل هم من المستبشرين أم هم من المغبرين ؟

ويجاب على هذا السؤال بنوعين هما :

الاول : أن هذه السورة مكية وان الانقسام فى مكة لم يكن الا بين المؤمنين والكافرين ولم يكن الفاسق موجودا فى مكة حيـث لـم تنزل الاحكام فى مكة حتى يوجد الفاسق فلذلك انحصر التقسيم فى كل السور المكية بين المؤمن والكافر ولم يذكر فيها حال الفاسق وانما حال الفاسق فى السور المدنيـة وبعـد ما أنـزلت الاحكام وفرضت الفرائض على المسلمين ٠

الجواب الثانى : قال تعالى : أولئك هم الكفرة ٠

وهم الكافرون وقال أيضا «الفجرة» وهم الفاسقون فذكر ان الكافر والفاسق كل منهما يغبر وجهه لانهما يساقان الى النار الا أن الكافر يساق اليها ليخلد فيها والفاسق ليبقى فيها بقدر فسقه وعصيانه فنستطيع أن نقول وقد فرق بينهما فى أول الكلام وذلك لان قوله تعالى : « وجوه يومئذ عليها غبره » المراد بها وجوه الفاسقين • والمراد بقوله (ترهقها قترة) وجوه الكافرين لان عاقبتهم افظع من الفاسقين كما أن السواد افظع من الغبار • والله اعلم •

« سورة التكوير »

« مكية نزلت بعد المسد وآياتها تسع وعشرون »

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا الشمس كوّرت • واذا النجوم أنكدرت • واذا الجبال سيرت • واذا العشار عطلت • وأذا الوحوش حشرت • واذا البحار سجرت • واذا ألنفوس زوجت • واذا الموؤدة سئلت • بأىّ ذنب قتلت • واذا الصحف نشرت • واذا السماء كشطت • واذا الجحيم سعّرت • واذا الجنة ازلفت • علمت نفس ما أحضرت •

(اذا الشمس كورت) من كورت الثوب اذا لففتها كناية عن الازالة لان الثوب اذا لف يذهب به الى مكان آخر غير مكانه الاصلى فالمعنى وقت ما أزيلت الشمس فلم تبق • (واذا النجوم انكدرت) يقال انكدر الماء اذا ذهب صفاءه فانكدار النجوم يراد به ذهاب ضوءها وهو كناية عن زوالها أى وقتما أزيلت النجوم (واذا الجبال سيرت)

اى وقت ماسيرت الجبال وأزيلت عن أماكنها (واذا العشار عطلت) العشار جمع عشراء وهى الناقة التى مضى على حملها عشرة أشهر وهى فى هذا الوقت أعز مال على صاحبها ويعتنى بها عناية كثيرة فالمعنى وقتما العشار عطلت وتركت ولم يعتن بها صاحبها لشدة هول ذلك الوقت (واذا الوحوش حشرت) اى وقت ماجمعت الوحوش للاقتصاص من بعضها لبعض او اجتمعت الوحوش قويها وضعيفها فى ذلك الوقت معا من شدة الهول ولم يخش بعضها من بعض رغم كثرة العداء بينها . (واذا البحار سجرت) أى وقتما اوقدت البحار فجعلت مملوءة بالنار بعدما كانت مملوءة بالماء (واذا النفوس زوجت) أى وقت ما أعيدت الارواح الى أبدانها فزوجت بها او اجتمعت النفوس الشريرة مع أقرانها والخيرة مع أمثالها (واذا الموؤدة سئلت) أىوقت ماسئلت البنت التى دفنت حية فسئلت (بأى ذنب قتلت) ودفنت وهى حية (واذا الصحف نشرت) أى وقت ماوزعت دفاتر الاعمال بين اصحابها وسلم لكل شخص دفتره (واذا السماء كشطت) أى وقت ما أزيلت السماء كما يزال الجلد عن الشاة المذبوحة (واذا الجحيم سعرت) اى وقت ما أوقدت الجحيم وهى جهنم (واذا الجنة ازلفت) اى وقت ماقربت الجنة من المؤمنين والعامل فى اذا الواقعة فى اوائل هذه الجمل كلها هو (علمت) فى قوله (علمت نفس ما أحضرت) اى وقت حدوث هذه الحوادث علمت كل نفس ما أحضرته من عمل خير أو شر أو خلط بين هذا وذاك وحوسبت على وفق ما أحضرته ونالت الثواب او العقاب حسب ذلك المحضر وذلك الدفتر .

تنبيـــه :

ان هذه الحوادث اثنتا عشرة حادثة ست منها قبل مجيء القيامــة وهي تكوير الشمس وانكدار النجوم وتسيير الجبال وتعطيل العشار وجمع الوحوش وتسجير البحار وست عند مجيء القيامة وهــي جمــع النفوس مع الابدان واحيائها وسؤال الموؤدة ونشر الصحف وكشط السماء وتسعير الجحيم وتقريب الجنة من المؤمنين • هــذا وان واو العطف لمطلق الجمع فلا يلزم أن يكون بين حدوث هذه الاشياء ترتيب فان كشط السماء قبل نشر الصحف وكذلك قبل سؤال الموؤدة وقبــل جمع الارواح مع الابدان بل ان كشط السماء قبل مجيء يوم القيامة فتكون الحوادث التي قبلها سبعا لا ستاً كما قيــل في بعض التفاســير هذا ثم بعدما ذكر هذه الحوادث العظيمة وتعجب من هــذه الحوادث بعض العقول البسيطة بل وانكرتها بعض النفوس المريضة وقالت كيف تزال هذه الشمس ملكة الكواكب والنجوم وكيف تذهب بهذه النجوم الراسخة في السماء وكيف تسير هذه الجبال الثابتة في الارض وكيف تعطل هذه العشار وكيف تحيا هذه الابدان بعدما بليت واصبحت تراباً ومن أين تجمع الوحوش وهي فانية وكيف يمتلىء البحار نيرانا بعدما كانت مياها وكيف وكيف •••• نعم بعيدة هذه الامور عــن العقول الضعيفة وقليلة الادراك والشعور فاراد الله تعالى أن يثبت هذه الامور وتنور الاذهان بحيث لاتستبعد هذه الحوادث ولا تراهــا مستحيلة فقال وعز من قائل :

فلا أقسم بالخنس • الجوارى الكنس • والليل اذا عسعس • والصبح اذا تنفس • انه لقول رسول كريم • ذي قوة عند ذى العرش مكين • مطاع ثم امين •

((الخنس) الكواكب التى ترجع من مدار الى مدار (الكنس) الكواكب التى تختفى مدة ثم تظهر بعد ذلك و (الجوارى) هى الكواكب التى تجرى وتسبح فى الفضاء (والليل اذا عسعس) أى أقبل وأدبر فيأتى ويذهب فى كل أربع وعشرين ساعة (والصبح اذا تنفس) أى ظهر وأضاء الكون بعدما كان ظلاما (انه) أى ان هذا القرآن الذى فيه هذا الاخبار عن حدوث هذه الحوادث لحق وانه أتى به رسول أمين من عند رب العالمين وان هذه الحوادث لتقع وان الساعة لآتية لا محالة أقسم بهذه الاشياء على صدقية الخبر بوقوع هذه الحوادث ولكنه ليس بقسم فى الحقيقة بل انه استدلال بهذه الاشياء على ان حدوث هذه الحوادث ليس بمستحيل بل هو ممكن وقريب من فهم أهل العقل والاعتبار هذا وان صورة الاستدلال هكذا •

ان هذه الكواكب التى تسير وترجع فى سيرها وتجرى فى الفضاء بحركاتها فتختفى وقتا وتظهر وقتا آخر وان هذا الليل الذى يقبل ويدبر ويسيطر على ضوء النهار والصبح الذى يتبين ويتضح ويثقب بنوره الظلام الموحش كل ذلك يشهد ويدل على امكان حدوث هذه الحوادث ومجىء يوم القيامة والحساب وذلك بوجوه :

الاول : ان هذا النظام العجيب وهذا الصنع البديع لا يتصور وجوده بدون صانع حكيم وقادر عليم وان الذى يستطيع أن يخلق هذا النظام ويقدر على هذا الصنع لقادر على أن يأتى بهذه الحوادث ويبدل هذا

الصنع بصنع آخر غير الذى كان وما ذلك عليه بعزيز فأنه هو يبدىء ويعيد ·

الثاني : انه من القواعد المتفق عليها أن كل ماله بداية له نهاية وان هذا الكون حيث ثبتت بدايته واحداثه من لدن حكيم عليم فلابد وأن تكون له نهاية وفناء ففناء هذا الكون لابد وأن يقع ·

الثالث : كما ذكرنا سابقا أن من خلق هذا النظام التكويني البديع لا يتصور منه أن لايضع لمن يعيش فى ظل هذا الكون نظاما تكليفيا ودستورا يفرض عليهم العمل به والحياة على ضوءه وان من مقتضى كل نظام اثابة المطيع له وعقاب المنحرف عنه وحيث لايوجد هذا فى الدنيا كليا فلابد وان يأتى يوم ينال فيه المطيع ثوابه والعاصى عقابه تحقيقا لعدل أحكم الحاكمين ·

الرابع : ان مايجرى فى هذا الكون كله عود على بدء واعادة بعد فناء ورجوع بعد زوال وايجاد بعد انعدام وما الحشر والحياة بعد الموت الا من هذا القبيل فلا يليق بالعاقل استبعاد ذلك فانه واقع وان الاخبار بهذه الامور هو من الله تعالى جاء به جبريل الى محمد كما قال (انه) أى القرآن الذى أخبر بحدوث هذه الكوارث (لقول رسول) بين الله وبين محمد وهو جبريل جاء به من عند الله (كريم) صفة رسول وهو جبريل ومعناه المحترم الذى له شرف من الله تعالى ثم وصفه بصفات أخرى فقال وعز من قائل (ذى قوة عند ذى العرش مكين) أى ذو مكانة وشرف عند الله تعالى (مطاع) يطيعه الملائكة (ثم) أى فى الملأ الاعلى (أمين) لايخون فى الرسالة ويؤديها بكل أمانة · أراد بذلك أن القرآن جاء به جبريل الذى كان معروفا بتلك الصفات فى ذلك الوقت

الى محمد وليس مثلما يأتى به الكهنة مما كان يسترقه الجن فيأتـون به الى الكهان ويخلطون به كثيرا من آكاذيبهم وأباطيلهم بل ان جبريل صاحب قوة لايستطيع الجن ان يدخل فيما يأتى به شيئا وأمين لايغير مايأتى به ولا يبدل فليس القرآن ككلام الكهنة من كلام الجن المخلوط باكاذيب واباطيل ثم قال تعالى :

« وما صاحبكم بمجنون »

أى وليس صاحبكم بمن استولى عليه الجن فيلقى اليه هذا الكلام وان هذا الكلام ليس من الجن كما تزعمون بل هـو مـن جبريل عليه السلام أتى به من الله تعالى الى محمد عليه السلام ٠

ملاحظـة :

أخبر الله تعالى عن القرآن بأنه من رسول كريم هو جبريل أمين أتى به من الله تعالى الى محمد دون أن يستدل على ذلك بدليل ويبرهن عليه ببرهان وذلك لان القرآن هو يدل بنفسه ويشهد على أنـه مـن الله تعالى وأنه ليس من قبيل أباطيل الكهنة ولا أكاذيب السحرةفأن من قرأ القرآن وتدبر فيه أيقن بدون شك على أنه من الله تعالى لانه من المتفق عليه أن محمدا لم يكن ممارسا لقراءة ولا كتابة ولا سحر ولا كهانة ولا شعر ولا خطابة وان هذا القرآن الذى جاء بـه أعجـز بلغاء العرب وشعرائها عن الاتيان ولو بمثل أقصر سورة منه بلاغـة وفصاحة رغم حرصهم على ذلك ٠

هذا من جهة ومن جهة أخرى ان هذا القرآن يخبر عـن أحـوال الرسل والامم السابقين كما هو مبين فـى الكتب السماوية السابقـة

وبما خفى الا على المختصين من الاحبار والرهبان دون اطلاع لمحمد على أى كتاب من هذه الكتب كما وانه يخبر عن أمور المستقبل ويكشفها فتقع كما أخبر وعن أمور كونية وطبيعية كشفها ويكشفها العلم كما أخبر عنه يوما بعد يوم وقد كان يدرك هذا أذكياء العرب فمنهم من آمن واتبع محمدا نتيجة أدراكه هذا ومنهم من أدرك الا أنه بقى على كفره عتوا وعنادا وعصبية واستكبارا يروى أن أبا جهل سمع هو وأحد أصحابه هذا القرآن من محمد (ص) فلما انطلقا قال له صاحبه ماذا تقول ياأبا حكم فى هذا القرآن فقال قد تسابقنا نحن وبنو هاشم ضيفوا فضيفنا وسقوا فسقينا حتى أصبحنا كفرسى رهان والان هم تنبؤا أفنتنبأ • نحن لانستطيع ذلك فكان أبو جهل يعلم حقية القرآن الا أنه لم يسلم للعصبية القبلية التى كانت بين قبيلته وبنى هاشم الذى كان رسول الله منهم •

ولكن عمر بن الخطاب حينما ذهب الى بيت أخته قال سمعت منكم همهمة فماذا قالت لم يكن شيىء فبعد مناقشة وضرب منه لها ولزوجها اعترفت بانها كانت تقرأ القرآن فطلب أن تريه فناولته فلما قرأ (طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ••• الخ) قال والله لايليق أن يكون هذا كلام البشر فدلونى على محمد فدلوه عليه فدخل عليه فى دار أبى الارقم فآمن فورا وأسلم •

وهكذا يشهد القرآن بنفسه على أنه من الله تعالى فلذا حين الاخبار عنه بأنه من الله تعالى لم يستدل عليه بدليل ولا برهان هذا وأشار تعالى بقوله (وما صاحبكم) الى تضليل من يتهم محمداً بالجنون فكأنه قال انه كان صاحبكم وكنتم تعترفون برجاحة عقله

وفطانة ذهنه وكنتم تستشيرونه فى أموركم فيرشدكم الى مافيه نجاحكم وصلاحكم فكيف تتهمونه بالجنون بعدما اعترفتم به هذا الاعتراف وشهدتم له برجاحة عقله طول صحبتكم له فان دل هذا على شيء فانما يدل على غوايتكم وضلالكم وعتوكم وعنادكم للحق .

ولقد رآه بالأفق المبين . وما هو على الغيب بضنين . وما هو بقول شيطان رجيم . فأين تذهبون . ان هو الا ذكر للعالمين . لمن شاء منكم ان يستقيم . وما تشاؤون الا أن يشاء الله رب العالمين .

(ولقد رآه بالافق المبين) اللام جواب لقسم محذوف أى بعزتى ولقد رآى محمد جبريل على صورته الاصيلة بالافق الواضح ذكر ذلك لان جبريل كان حينما يأتى الى الرسول صلى الله عليه وسلم يأتى فى غير صورته وكان الاكثر أنه يأتى فى صورة دحية الكلبى فربما يختلج بالبال أن يقال من أين يأتى به جبريل وانما يأتى اليه رجل فربما هو ليس بجبريل فقال ولقد رآه على صورته بالافق المبين فيعرفه فكان لايشتبه عليه حينما يأتى اليه فى صورة أخرى (وماهو على الغيب بضنين) أى ليس محمد على الوحى ببخيل فلا يكتم شيئا منه ولا يأخذ عليه أجرا وفى هذا دليل واضح فى أنه ليس كالكهنة لانهم كانوا لايخبرون أحدا بما عندهم الا مقابل أجر يسمى (حلوان الكاهن) هذا اذا قرىء بالضاد وأما اذا قرىء بالظاء فمعناه أن محمدا ليس على الوحى بمتهم بل هو ثقة فى أنه من الله تعالى لان ماكان يحيط بمحمد من حاله وما كان عليه من الخلق الرفيع

والصدق المعترف به مما يدفع عنه كل شبهة ولذلك ترى -(هرقل) حينما سأل وفد قريش عن محمد صلى الله عليه وسلم هل كان من آبائه ملك أو من يدعي الملك قالوا لا قال فهل هو من أشرافكم قالوا : نعم قال : هل يتبعه الفقراء أكثر او الاغنياء قالوا : الفقراء قال : هل يرجع عن اتباعه أحد ممن اتبعه قالوا : لا قال : هل يزيد أتباعه او يقل قالوا : يزيد قال : هل جربتم عليه الكذب قالوا : لا قال : لو كان فى آبائه ملك أو من يدعى الملك لقلت انه يريد ارث جده . وأما ما قلتم انه من أشرافنا فكذلك الانبياء يظهرون من البيوت الشريفة وأما ماقلتم من انه يتبعه الفقراء اكثر فكذلك الانبياء يتبعهم الفقراء اكثر من الاغنياء وأما قولكم ان أتباعه يزيدون فكذلك الانبياء يزيد أتباعهم يوما فيوما وأما ما قلتم لايرجع عنه أحد من أتباعه فكذلك الانبياء وأما قولكم انكم ماجربتم عليه الكذب الى الان فلا أظن أن من لم يكذب الناس طول أربعين سنة يكذب على الله بعد ذلك . وانه لنبى .

ولهذه الدلالات أخبر الله تعالى عنه بأنه ليس بمتهم دون برهان وحجة واتبعه بقوله (وما هو بقول شيطان رجيم) ثم بعد ماذكر ان هذا القرآن من الله تعالى وأن محمدا ليس ممن يتهم فى قوله انه أوحى الى قال (فاين تذهبون) أى أى طريق تسلكون سوى اتباع محمد فان كل طريق غير ذلك فهو طريق الضلالة وسبيل الغواية وهذه جملة تقال عند تخطئة المخاطب وبيان ضلاله والتعجب من سلوكه هذا المسلك بعد وضوح الحق وظهوره فان كون القرآن من الله تعالى وأن محمدا رسول كان غير خفى على أهل العقل والفطنة وأهل الحل والعقد .

ذكر القرطبى والخازن وغيرهما فى تفسير قوله تعالى (انــه فكر وقدر فقتل كيف قدر) فى سورة المدثر آنه حينما نــزل قــوله تعالى (حم • تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم • غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لا اله الا هو اليه المصير) فى سورة المؤمن • سمعه الوليد بن مغيرة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال والله سمعت من محمد كلاما ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن وان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أعلاه لمثمر وان أسفله لمغدق وانه ليعلو ولا يعلى عليه وما يقول هذا بشــر فقــالت قريش صبا الوليد والله ليصبون قريش كلها • وكان يقال للوليــد ريحانــة قــريش فقـــال أبــو جهـــل أنــا أكفيكموه فمضـى اليه حزينا فقــال له مــالى أراك حــزينا فقــال : ومــالى لا أحــزن وهـــذه قــريش يجمعــون لــك نفقــة يعينونــك بهــا عــلى كبــر سنك ويزعمون آنك زينت كلام محمد وتدخل على أبن أبى كبشه وابن أبي قحافة لتنال من فضل طعامهما فغضب الوليد وتكبر وقال أنا احتاج الى كسر محمد وصاحبه فأنتم تعرفون قدر مالى واللات والعزى مالى حاجة الى ذلك وانما أنتم تزعمون آن محمدا مجنون فهل رأيتموه قط يخنق قالوا لا والله قال : وتزعمون آنه شاعر فهل رأيتموه نطق بالشعر قط قالوا : لا والله قال : فتزعمون انه كذاب فهل جربتــم عليه كذبا قط قالوا لا والله قال : فتزعمون انه كاهن فهل رأيتموه تكهن قط ولقد رأينا للكهنة أسجاعا وتخالجا فهل رأيتموه كذلــك قط قالوا : لا والله وكان الرسول صلى الله عليه وسلم بينهــم يسمى الصادق الامين فقالت قريش للوليد فما هو ففكر فى نفسه ثم نظر فقال : ما هو الا ساحر أما رأيتموه يفرق بين المرء وزوجه وولده

ومواليه فأرضى بذلك أبا جهل ٠

فلما نفى الله تعالى عن القرآن جميع مايظنونه وينسبون اليه قال وعز من قائل (ان هو الا ذكر للعالمين) أى ذكر من الله تعالى ودين ونظام أنزله تعالى ليعمل به ويتبعه الناس كلهم ويطبقونه عقيدة وأخلاقا وعبادات وأحكاما وسياسة وادارة واقتصادا فأن فى ذلك الخروج من الباطل الى الحق ومن الضلال الى الهداية ومن الظلم الى العدل ومن الاعوجاج الى الاستقامة ولذا قال (لمن شاء منكم أن يستقيم) فانه لا استقامة الا بتبعية القرآن وتطبيقه على الفرد والمجتمع وفى جميع نواحى الحياة وحوائجها ومشاريعها ٠

تنبيهات :

الاول : سمى الله تعالى انقرآن ذكرا والمعنى أن كل مافيه من العقائد والاحكام انما هو ذكر والذكر عبارة عن تنبيه الانسان على شيىء يعلمه الا أنه غفل عنه لسبب ما وأشير بذلك الى أن كل مافى القرآن من عقائد وأحكام واخلاق ونصائح ليس شيئا غريبا عن الانسان وفطرته بل كل ذلك موافق للفطرة وللعقل السليم يدركه العاقل بأدنى تنبه والتفات اليه ٠

فالقرآن جاء لايقاظ الضمير الحى وتحريك العقول السليمة وتنبيهها على ماغفلت عنه بسبب غلبة التقاليد والعادات او الرغبات والشهوات او المصالح والمنافعالوقتية او خوف او طمع او غيرذلك ٠

فالسبب فى عدم أيمان الشخص بالقرآن ليس لخفائه على العقول ولا لغموضه عند الاذهان ولا لالتباسه وعدم ظهو حقيته وصدقه ولا لمجانبته وبعده عن فطرة الانسان او عقله بل انما ذلك لواحد من الامور الاتية لاغيرها ٠

الاول : العادات والتقاليد التى استورثوها من الاباء والاجداد لايستطيعون ان يتحرروا منها أو يستنكفون أن يخرجوا منها وهؤلاء ذكرهم الله تعالى فى سورة البقرة بقوله (واذا قيل لهم اتبعوا ماانزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا او لو كان ابائهم لايعقلون شيئا ولا يهتدون) ٠

الثانى : الكبر والاستعلاء الذى سيطر على بعض الاشخاص فمنعهم ذلك من اتباع صاحب الدعوة محمد صلى الله عليه وسلم او الداعية الى الاسلام من بعده وهؤلاء مثل أهل مكة الذين ذكرهم الله تعالى بقوله فى سورة الزخرف (وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) اى على رجل عظيم من احدى القريتين أرادوا مكة والطائف استنكفوا ان يتبعوا محمدا صلى الله عليه وسلم لانه لم يكن من عظمائهم ٠

الثالث : المنافسة القبلية او المنافرة العنصرية وذلك مثل أبى جهل حينما قال تسابقنا مع بنى هاشم حتى اصبحنا كفرسى رهان ثم هم تنبؤوا فهل نتنبأ والله لا أتبعه أى لا اتبع محمدا ٠

الرابع : الخوف من ضياع الرياسة او بعض المصالح التى يجدها بعض الناس من طريق الضلالة والغواية والكفر والالحاد وهؤلاء مثل أحبار اليهود ورهبان النصارى فأنهم لم يؤمنوا بمحمد وغيروا مافى التوراة والانجيل من أوصاف محمد والامر بالايمان به لما كانوا يجدون رياسة ومنافع فى بقائهم على دينهم المنسوخ وعقيدتهم الباطلة ٠

الخامس : الجهل والغباوة التى سيطرت على عقولهم فلا تتنبه للحق ولا تستسيغه وهؤلاء مثل من ذكرهم الله تعالى بقوله فى سورة

البقرة (ومثل الذين كفروا) اى مثل دعوتهم الى الحق (كمثل من ينعق بما لايسمع الا دعاء ونداء صم بكم عمى فهم لايعقلون) .

السادس : سيطرة بعض السادة والكبراء واضلالهم الناس لجلب مصالهم ومص دمائهم وأموالهم وتسخيرهم فى سبيل زعامتهم الدينية أو الدنيوية وهؤلاء مثل الذين ذكرهم الله تعالى فى سورة الاحزاب .

«يوم تقلب وجوههم فى النار يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا . وقالوا ربنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا . ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً .»

التنبيه الثانى :

انه انما ينتفع بهذا القرآن وبهذا التذكير من يشاء ويريد ويحب الاستقامة ومن لا فانه هو الذى حرم نفسه من الهداية والاستقامة وسلوك سبيل الخير والحق والرشاد .

التنبيه الثالث : ان الله تعالى لايجبر أحدا على خير أو شر ولا هداية أو ضلالة بل انه خلق الانسان وأعطاه حواسا يدرك بها المحسوسات وعقلا يدرك به المعقولات ونصب أمامه الادلة على الحق وارسل اليه الرسل وانزل عليه الكتب وذكر ماهو الحق والباطل وما هو الشر والخير ونبهه على الادلة والبراهين وأعطاه القدرة على سلوك سبيل الخير وسلوك سبيل الشر ثم أطلق عنانه امتحانا له فاذا أراد الخير يسره له واذا اراد الشر خلقه له وبذلك أبطل فكرة الجبر فقال (لمن شاء منكم أن يستقيم) حيث ربط الانتفاع بالقرآن والهداية وسلوك سبيل الخير بمشيئة العبد وارادته وانه مختار فى ذلك وليس مجبورا .

التنبيه الرابع : ان ارادة العبد سلوك سبيل الخير وغيره من الاعمال لاتكفى فى حصول ذلك بل انما يحصل ذلك حينما انضم اليه مشيئة الله تعالى وارادته وخلقه لذلك الشيىء وبذلك أبطل فكرة القدرية الذين يقولون ان أعمال العبد مخلوقة له ولا دخل لله تعالى فيه الا خلقه القدرة التى بها يخلق العبد عمله فقال (وما تشاؤون الا أن يشاء الله) أى لاتكفى مشيئتكم فى حصول ماتشاؤون الا أن يشاء الله حصوله فحصول العمل دائر بين مشيئة العبد له وبذلك يكون مثابا على الطاعة ومعاقبا على العصيان وبين مشيئة الله تعالى وبذلك يكون محتاجا الى الله تعالى دائما ولا يجوز له أن يغتر بعمله فانه لولا توفيق الله تعالى له لما استطاع شيئا بل يجب عليه أن يحمد الله تعالى ويقول الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله وأن يدعو لغيره بالهداية والتوفيق كما قال الرسول صلى الله تعالى عليه وآله وسلم (اللهم أهد قومي فانهم لايعقلون) فما أحلم هذا الرسول وما أرحمه • اللهم اهدنا وخلقنا بأخلاق الرسول ووفقنا للعمل الصالح المقبول •

ثم علل تعالى قوله أن مشيئة العبد لاتكفى الا بمشيئة الله وارادته فقال (رب العالمين) أى ان الله تعالى يربى العالمين ماديا ومعنويا فلا يحصل لهم شيىء بدون تربيته وتقديره الا أنه يجب على المرء القصد والاخذ بالاسباب ثم يتكل على الله فى خلق المسببات وذلك فى كل الامور أمور الدنيا والآخرة والمبدأ والختام •

سألت النفس عما أحضرت

فى هذه الدنيا وماذا قد جنت

وهل لها للآخر ذخيرة

في غيرها اذا السماء كشطت

وهل لنا الى الجواري طمـع"
في روضة مِن جنة قد أزلفت
فجاوبـت ودمعهـا يسبقهـا
أيا (حسين) ان مرماك علت
فارض بما أعده رب الـورى
لمثلك (اذا الجحيم سعرت)
لعله يرحم بـك فى هـذه
وفى التى فيها الجنان أزلفت

« سورة الانفطار »

« مكية نزلت بعد النازعات وهى تسع عشرة آية »

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا السماء انفطـرت • واذا الكواكـب انتثرت • واذا البحار فجرت • واذا القبور بعثرت • علمت نفس" ماقدمت وأخرت •

اذا فى هذه الآيات كلها بمعنى الوقت والعامل فيهـا علمت فى قوله تعالى (علمت نفس ••• الخ) فالمعنى وقت انفطار السموات وانتشار الكواكب وتفجير البحار وبعثرة القبور علمت كل نفس ماقد عملت وقدمت من عمل وما أخرت أى ماتركته ولم يعمـل والمـراد بانفطار السموات انشقاقها وعدم بقاء تلاصقها فـلا تمنع الصعود والدخول فيهـا كما قال (وفتحت السماء فكانت أبوابا) وانتثار الكواكب هو أن الجاذبية التى أمسكت كل كوكب فى مكانه المعين

فى الفضاء تسقط فيفنى بذلك انتظام الكواكب فيقع كلها على الارض والمراد بتفجير البحار ان الحواجز الموجودة بين البحار يزول فيختلط بعضها ببعض فتصير بحرا واحدا والمراد ببعثرة القبور فتحها واخراج الموتى منها والمراد بهذه الامور الاختلال الذى يحصل فى نظام هذا الكون وتبديل السموات غير السموات والارض غير الارض وعند ذلك يأتى يوم القيامة فيئول المعنى الى قوله اذا جاء يوم القيامة علمت كل نفس ماقدمت من عمل وما أخرت منه أى تعلم عاقبة ذلك العمل ونتيجته وتأخذ ثوابه او عقابه ٠

فائدة :

يعلم من عطف الكواكب على السماء والاثبات لكل منهما صفة غير ما للاخرى كالانفطار للسماء والانتثار للكواكب أن الكواكب غير السماء كما وان نسبة الانتثار الى الكواكب هنا والانكدار الى النجوم فى سورة الانشقاق لتسوق الذهن الى القول بأن الكواكب غير النجوم ويمكن أن نقول ان الجرم الذى يضىء بذاته يسمى نجما والذى لايضىء أو يقتبس النور من غيره كالقمر مثلا يسمى كوكبا والله أعلم وبهذا يعلم أن السموات السبع الطباق المحفوظة المذكورة فى القرآن غير النجوم والكواكب كما وأن العرش والكرسى غير المذكوراتجميعا الا ان العلم لم يصل الى كشف السماوات السبع والعرش والكرسى وعدم العلم بالشىء ليس دليلا على عدمه بل دليل على قصور العلم وعدم بلوغه الكمال (وما أوتيتم من العلم الا قليلا) ٠

سؤال :

لقد توالت هذه السور الخمس وفى كلها اخبار عن يوم القيامة وتذكير له فما السر فى ذلك وربما يقال أليس هذا املالا ؟

الجـواب :

ليس توالي السور فى التلاوة والمصحف دليلا على تواليها كلها فى النزول بـل انها لم تنزل كلها متوالية بل كـانت تنزلى واحـدة منها للتذكير بالاخرة تذكرة وايقاظا للقلوب وسوقا لهـا الى العمـل الصالح والايمان بالاسلام خوفا من ذلك اليوم وشدة أهواله • ثم بعد مدة وحينما غفلت القلوب واشتد الصراع بين الرسول(ص) ومعارضيه يجدد التذكير بالاخرة والوعيد بما فيها فتنزل اخرى تخويفا من العذاب للكافرين والوعد بالثواب للمؤمنين وذلك مثل المطر فانه كلما جفـت الارض أنزل الله تعالى عليها المطر فيحركها ويحييها ثم ينقطع المطر الى أن تجف الارض مرة أخرى فيعود المطـر لينزل ويحييها • الا انهـا جاءت متوالية فى المصحف لمناسبة يطول ذكرها هنا ويدركها من تدبر وتفكر ان شاء الله تعالى •

« ياأيها الإنسان ماغـرك بربـك الكـريم • الذي خلقك فسواك فعدلك • في اى صورة ماشاء ركبك •

بعدما ذكر الله تعالى شدة يوم القيامة وهذه الحوادث الجسام التى تقع فيها وأن كل انسان ينال نتيجة عمله ان خيرا فخير وان شرا فشر كان الجدير بالانسان أن يصرف كل جهده لعمل الخير وأن يجتنب عن الشر كله ولكن الانسان عكس الآية كليا او جزئيا فحاله هذا يدل على أن شيئا غرّه وخدعه اى جرأه على معصية ربه ومخالفة أمره فسالـه الله تعالى سؤال انكار وتوبيخ فقال (يا أيها الانسان) العاصى ربه والمنهمك فى الغفلة عن هذا اليوم وحساب الله تعالى على كل ماحصل منك من عمل ما الذى جرأك على ارتكاب المناهى ومقابلة ربك بالعصيان هذا الرب الكريم الذى لايليق بأن يعصى والجدير بأن لايخالف أمره

ولا يرتكب نهيه فانه ليس معنى الكريم السخي او الجوّاد حتى يقول المرء غرني كرمك وجودك كما قال ذلك بعض من قال بل المراد بالكريم العالي الشأن والرفيع القدر والعظيم السلطان فمن كان كذلك يجب ان يطاع ولا يجرؤ أحد على عصيانه ، فعظمة ذاته وعلو شأنه ورفيع قدره يكفي لان لايعصي العبد أمره ويمتثل شرعه وأن لايتجاوز حدوده وأن لايجرؤ على مالايحب ولا يقبل ولا يرضى به · (الذى خلقك فسواك فعدلك · في أى صورة ماشاء ركبك) بعدما ذكر الله تعالى أن علو قدره وعظمة شأنه يكفي لان لايجرؤ الانسان على معصيته ذكر أمورا أخرى أوضح وأدعى فى ان يمتثل الانسان أمره ولا يرتكب ماينهى عنه فقال (الذى خلقك) اى أوجدك من العدم الى الوجود (فسواك) جعلك مستوى القامة لا كمثل البهائم وذوات القوائم الاربع تمشي وهي منكوسة (فعدلك) وجعلك معتدل الاعضاء والحواس (فى أى صورة) أى فى صورة عظيمة حسنة جميلة (شاء) تلك الصورة (ركبك) وذلك كما قال (لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم) فكل هذه الامور تدعوك وتحثك وتفرض عليك أن لاتجرؤ على مخالفة ربك هذا ومقابلة عظمته ونعمه هذه عليك بالذنوب والآثام ثم بعد ذلك نفى أن يكون هناك مايدعو الى غروره وجرأته على الله تعالى فقال :

كلا بل تكذبون بالدين · وان عليكم لحافظين · كراما كاتبين · يعلمون ماتفعلون ·

(كلا) أى لاداعى ولا سبب يحثك ويعطيك الجرأة على معصية الله تعالى (بل) السبب هو انكم (تكذبون بالدين) أى بالجزاء فلا تعتقدون وجوده ولا تؤمنون بيوم الحساب · فلذلك ترتكبون ماترون

من الجرائم والآثام وما تعملون من الانحراف عن منهج الله القويم وعن الصراط المستقيم وان أعمالكم هذه لاتنسى بل هى مسجلة عليكم كلها صغيرها وكبيرها قليلها وكثيرها (وان عليكم لحافظين) أى عينا مراقبين عليكم يحفظون ويسجلون أعمالكم وكان هؤلاء المراقبون (كراما) أصحاب قدر ومنزلة وشرف (كاتبين) يكتبون ماتعملون فلا يتركون شيئا منه ولا يزيدون عليه فان منزلتهم تأبى عن ذلك كله ٠

فائدة :

فى هذه الآيات مايوجب الايمان بأن كل انسان عين عليه من يسجل ويكتب أعماله ويحفظ ذلك الى يوم القيامة فيبرزه يومئذ ويحاسب العبد وفق ماكتبه هؤلاء الكتبة الكرام ، الا أن هؤلاء الكتبة أين يسكنون وكيف يكتبون فلا يجب علينا الايمان به الا بقدر ماشرح فى حديث متواتر حفظ من حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم ٠

والذى يتعجب منه أن الناس سيما من يسمون المثقفين او المنورين لو قيل لهم أن أمريكا او روسيا أبتكرت جهازا يسجل كل مايقول أفراد بلده فى السر والعلن فى البيت والشارع وفى ٠٠ وفى ٠٠ يصدق فورا وبدون تردد ولكن حينما يقال له ان الله عَيَّنَ على كل انسان ملكا يسجل عليه أعماله ويكتب أفعاله ويحفظ ذلك الى يوم الحساب يتردد ويستبعد ويقول أين الملك وأين الكتابة وكيف ٠

أو اذا قيل له ان على رأس الابرة يمكن أن تجتمع الاف الميكروبات والجراثيم لايتلكأ ولا يتردد بل يخضع له ويكبره ولكن اذا قيل ان على كتفى الانسان ملكان على اليمين ملك يكتب الحسنات وعلى اليسار ملك يكتب السيئات فيعرض ألف سؤال وسؤال وليس قصدى فى هذا انكار العلم بل ان العلم موجود وانه هو الذى يثبت حقائق دينية وسيحقق

العلم قوله تعالى(سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق الا ان القصد انه يجب على المسلم أن يؤمن بالله اكثر من ايمانه باختراعات وابتكارات الدول المتقدمة ويؤمن بقول الله كما يؤمن بقول العلماء والدكاترة فان هؤلاء وعلمهم وقدرتهم من قدرة الله تعالى وخلقه فكيف به عالما وخالقا ومقتدرا وهو أحكم الحاكمين • فلله تعالى على عباده كراما كاتبين يكتبون أعمالهم وهم (يعلمون ماتفعلون) فلا يخفى عليهم شيىء ويسجلون ذلك حسب علمهم دون تغيير وتبديل وزيادة ونقصان •

وان لهذه الكتابة نتيجة وأن لهذا التسجيل لعاقبة وذكر الله تعالى تلك النتيجة بقوله •

ان الابرار لفي نعيم • وان الفجّار لفي جحيم • يصلونها يوم الدين • وما هم عنها بغائبين •

ان الذين يعملون البر فى الحياة الدنيا لفى نعمة الله ورحمته فى يوم القيامة وهى الجنة والذين اتصفوا بالفسق والفجور وانحرفوا عن قيم الاسلام واخلاقه لفى جحيم وهى النار وجهنم وبئس المصير •

تنبيه :

حينما يتلى هذه الآية الكريمة يمكن أن يرفع كل انسان رأسه ويقول انى من الابرار ولا تجد أحدا يعد نفسه من الفجار فيتوب الى الله ويصحح خطاه ويغير أعماله فلذلك يجب أن تعلم ان الابرار من هم والفجار من هم لتعلم حقيقة نفسك ومن أى صنف أنت فتتدارك بذلك موقفك ولا يضلك هواك أو الشيطان وأعوانه •

لذا نريد أن نبين لك الابرار ومن هم الابرار وبذلك يعرف

الفجار أيضا لان الضد بالضد يعرف فنقول ذكر الله تعالى تعريف الابرار فى ثلاثة مواضع من القرآن الكريم :

الاول : (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون) سورة البقرة الآية/١٧٧ ٠

الثانى : (يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا ٠ ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا انما نطعمكم لوجه الله لانريد منكم جزاء ولا شكورا ٠ انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا) سورة الدهر الآية ٧ ــ ١٠ فهنا ذكر بعبارة أقصر مايحمل الابرار من الصفات كلها فان قوله (يوفون بالنذر) يحتوى على جميع الواجبات الدينية العقيدية والعملية الإيجابية والسلبية ٠

الثالث : (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ٠ وما تنفقوا من شيىء فأن الله به عليم) سورة آل عمران الآية/٩٢ ٠

وهنا ذكر بصورة مختصرة اكثر وتنص هذه الآية على ان البار من صرف كل مايحب ويعز عليه من نفس ومال فى سبيل نشر دعوة الله واعلاء كلمته ونصب راية لا اله الا الله محمد رسول الله ٠

هذا هو البار ياأخى وقد عرفت صفاته وأوصافه فالفاجر من اتصف بعكس صفات البار جعلنا الله تعالى من الابرار ولا يجعلنا من الفجار (يصلونها يوم الدين) أى يدخل الفجار الجحيم يوم الجزاء

وهو يوم القيامة ثم سال عن يوم الدين وما هو تفخيما وتهويلا له فقال :

وما أدراك مايوم الدين • ثم ما أدراك ما يوم الدين • يوم لاتملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله •

أى شيء أعلمك ماهو حقيقة يوم الدين وشدته ولا يعرف حقيقته وشدته الا من وصله وسأل مرة أخرى عنه لزيادة التهويل فقال (ثم ما ادراك ما يوم الدين) لاتعرف ذلك ولا يمكن اعلامك به لانه شيىء من الوجدانيات ولا تعرف الوجدانيات الا بحصولها عند المرء ولكن نذكر لك حكم ذلك اليوم فوصفه بقوله (يوم لاتملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله) أى فى ذلك اليوم لايستطيع أحد أن ينفع أحدا وان يعمل لاحد شيئا مما يستفيد منه بل ان الامر لله وحده فى ذلك اليوم •

سؤال :

ان الامر كله لله فى الدنيا والقيامة وفى كل وقت فلم خصص ذلك اليوم بهذا الحكم ؟

الجواب :

الاجابة عن هذا السؤال بنوعين الاول لانه فى ذلك اليوم كل انسان يؤمن بأن الامر كله لله فلا يبقى من لايعتقد ذلك ولكن فى الدنيا من لايعتقد بالله فضلا عن أن يكون الامر له وهم الملاحدة الماديون • ومنهم من يرى ان الامر لله ولغيره وهم المشركون الذى يشركون مع الله تعالى أصناما أو الاسباب او غير ذلك •

الاجابة الثانية أنه فى الدنيا توجد الاسباب وتكون تلك الاسباب وسائط اعتيادية فى حصول المسببات ولكن فى الأخرة لايوجد اى سبب وانما الامر كله لله مباشرة وبدون سبب بل بأمر كن فيكون من الله رب العالمين ٠

اذا السماء انفطرت نفسى لها قد سكنت
يأتي يوم لاريب فيه اذا البحار فجّرت
ياحائراً في هذه اعمل لأخراك دنت
لاتدرى الا عندها نفسك ماذا كسبت
فاغفر لنا ياربنا اذا النفوس قد جنت
نفس (حسين) حالها ما قدمت بل أخرت
فارفق الهي شؤمها اذا القبور بعثرت

آمين

« سورة المطففين »

« مكية وهى آخر مانزل بمكة بعد العنكبوت وآياتها ست وثلاثون »

بسم الله الرحمن الرحيم

ويل" للمطففين ٠ الـذين اذا اكتالوا على ألناس يستوفون ٠ واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ٠

(ويل) مبتدأ وهى نكرة صح وقوعها مبتدئا لوصفه بالعظمة الدال عليها التنوين فالمعنى ويل أى عذاب عظيم أعد (للمطففين) جمع مطفف والمطفف من غش الناس بواسطة الوزن او الكيل وقد فسره الله تعالى بقوله (اذا اكتالوا على الناس) والمعنى أو وزنوا عليهم

بقرينة مايأتى اى حينما أخذوا حقوقهم من الناس كيلا او وزنة (يستوفون) أخذوه وافيا كاملا دون نقص بل زائدا (واذا كالوهم) وحينما أعطوهم حقوقهم كيلا (أو وزنوهم) ذلك الحق (يخسرون) ينقصونه ويعطونهم ناقصا فالتطفيف فى الكيل والوزن من الكبائر ولو كان بحبة واحدة وان عاقبته وخيمة • يحكى عن مالك بن دينار أنه حضر وفاة شخص فقال المحتضر : كأن على كتفى جبلين من النار فسال مالك عن حاله فقال كان لى كيلان كيل كبير اشترى به وكيل صغير أبيع به فهذا العذاب من ذلك الاثم •

الا يظن أولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم • يوم يقوم الناس لرب العالمين •

(الا يظن) أى ألا يعتقد اولئك الذين يطففون (أنهم مبعوثون) يحيون (ليوم عظيم) هو يوم الحساب •

سؤال :

ان الحكم بحرمة التطفيف والتخويف فيه بالويل الشديد لمن فعل هذا العمل الشنيع يتوجه الى المؤمنين أم الى المؤمنين والكافرين معا •

الجواب :

يتوجه الى المؤمنين فقط لان يكفوا عن ذلك ويمنعوا الناس عنه وذلك لأمرين •

الامر الاول : انه ورد أن هذه السورة نزلت قبل الهجرة بقليل حيث كان أهل المدينة يطففون فبعدما أخبروا بهذا الانذار تركوا التطفيف •

الامر الثانى : ان الاحكام العملية انما يخاطب بها المؤمنون فان الكافرين لم يلتزموا الاسلام حتى يخاطبوا به وباحكامه فالخطاب هنا للمؤمنين فاذن ينشأ هذا السؤال الآتى :

سؤال :

مامعنى الاستفهام فى قوله تعالى (الا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظم) ٠

الجواب :

من الامور المقررة أن كل استفهام من الله تعالى ليس على معناه الحقيقى فان الله تعالى لايخفى عليه شيىء حتى يستفهم عنه بل يحمل الاستفهام من الله تعالى على الانكار او التقرير او التوبيخ او غير ذلك مما يناسب المقام فهنا لايمكن حمله على التقرير لان معنى التقرير أنهم لايظنون أنهم مبعوثون والمؤمنون كانوا يعتقدون ويؤمنون بهذا اليوم والحساب فيه ٠ وأما حمله على الانكار فلا فائدة فيه لان المعنى أنهم يظنون فيكون أخبارا بما هو معلوم والاخبار بالمعلوم لغو فلذلك يجب حمله على التوبيخ فالمعنى انهم حينما يؤمنون بهذا اليوم كان من الواجب أن يحملهم هذا الايمان على عدم ارتكاب هذا الغش والخيانة فمن لم يحمله هذا الايمان على ذلك فأيمانه باطل ولا فائدة فيه لان فائدة الايمان العمل بمقتضاه فهو وعدمه سواء فصح حمل هذا الاستفهام على التقرير توبيخا لاحقيقة (ليوم عظيم) وذكر مبهما للتهويل والتفخيم وفسره بقوله (يوم يقوم الناس لرب العالمين) أى يوم يقوم الناس بين يدى رب العالمين لحسابهم وجزائهم حسب أعمالهم ان خيرا فبثواب جزيل وان شرا فبعذاب وبيل ٠

كلا إن كتاب الفجار لفي سجين ° وما أدراك ماسجين ° كتاب مرقوم ° ويل يومئذ للمكذبين ° الذين يكذبون بيوم الدين °

(كلا) أى فلينته المطففون عن تطفيفهم حيث (ان كتاب الفجار لفى سجين) صيغةمبالغة من السجنوحيث كانت العادة ان السجن يكون فى مكان أسفل من الارض كالسراديب والزنزانات جعل السجنكناية عن السفل والسفل كناية عن الخسة والدناءة فالمعنى ان كتابالفجار لسافل جدا أى لاشرف له ولا احترام بقرينة مايقابله من قوله تعالى (ان كتاب الابرار لفى عليين) وهذا كناية عن انحطاط حال الفجار ومقابله كناية عن رفعة حال الابرار (وما أدراك ماسجين) أى شيىء أعلمك ماهو السجين وما الذى عرفك به الجواب لاشيىء فنحن نعرفك به ونعلمك فقال تعالى (كتاب مرقوم) أى رقم وكتب فيه أعمال الفجار واضحا ومبينا (ويل يومئذ للمكذبين) أى عذاب عظيم يوم أن قام الناس لرب العالمين حاصل وممد (للمكذبين وفسرهم بقوله (الذين يكذبون بيوم الدين) اى لايؤمنون به ولا يصدقون بمجيئه ° ثم شدد الملامة على هؤلاء المكذبين فقال °

وما يكذب به الا كل معتد أثيم ° اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين °

اى لايكذب بيوم الحساب الا كل معتد والمعتدى هو المتجاوز عن الحق والمنحرف عنه والضال (اثيم) أى من أثم بانحرافه ومجاوزته عن الحق فان من لم يجد الحق وجاوزه نوعان نوع لايأثم بهذه المجاوزة ، وهو الذى لم تبلغه الدعوة الاسلامية ولم يذكر بالآيات ولم يدع الى الحق والايمان ، فهؤلاء غير آثمين اذا لم يدركوا الحق وضلوا عنه

وليسوا مكلفين حيث قال تعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا)
والنوع الثانى هم الذين يأثمون بالانحراف عن الحق والتجاوز عنه
وهم الذين ذكروا بذلك وبلغوا به وتليت عليهم آيات الله الكونية
والقولية الدالة على الحق الا انهم أعرضوا عن الآيات كلها كما قال
(اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين) أى اذا بلغوا بالحق وتليت
عليهم آيات الله تعالى قالوا هذه حكايات الاولين ولا أساس لها من
الصحة والآيات نوعان . قولية وهى آيات القرآن الكريم التى تتلى على
الناس ، وكونية وهى الامور الكونية التى تدل على الحشر والحساب
ويوم القيامة والتى يشير القرآن الكريم اليها فى مواضع كثيرةوذكرت
سابقا فالذى لم يبلغ ليس بآثم ولو كان معتديا او متجاوزا عن الحق
غير مهتد اليه الا أن المبلغ اسم مفعول يجب عليه أن يبلغ من لم يبلغ
فالامة الاسلامية هى المسؤولة عن تبليغ الامم الاخرى هذه الحقائق
الربانية وهذا الدين الاسلامى الحنيف والا فالامة آثمة بسبب ترك
هذا الواجب المهم .

كلا بل ران على قلوبهم ماكانوا يكسبون كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون . ثم انهم لصالوا الجحيم . ثم يقال هذا الذى كنتم به تكذبون .

(كلا) كلمة زجر وردع وتوبيخ فالمعنى فلينتهوا عن هذا القول
فان هذه الآيات ليست بأساطير الاولين بل أنها تنطق بالحق وتخبرنا
عما هو موافق للعقول السليمة وللفطرة الانسانية وان عدم أيمانهم
ليس لقصور تلك الآيات عن أثبات هذه الحقيقة (بل) ان السبب هو
أنه (ران) أى ستر وحجب (على قلوبهم ماكانوا يكسبون) من الذنوب
والآثام فان القلوب خلقت مستعدة لقبول الحق وادراكه وهى كالمرآة

تنعكس فيها الصور الواقعية والامور الحقة الثابتة الا أنها كلما أذنب المرء ذنبا أصبح ذلك الذنب نقطة سوداء يقلل من صفاء القلب وهكذا كلما ازدادت الذنوب ازدادت رقعة السواد حتى يعم القلب فيمنعه عن أدراك الحق والاهتداء اليه كما ان المرآة اذا استولى عليها الصدأ وأسودت لاتنعكس فيها الصور والاشكال كما أخبر عن ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيما ذكره القرطبى عن الترمذى عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال (ان العبد اذا أذنب خطيئة نكتت فى قلبه نكتة سوداء فاذا هو نزع واستغفر الله وتاب صقل قلبه فان عاد زيد فيها حتى تعلو على قلبه وهو الرين الذى ذكره الله تعالى فى كتابه (كلا بل ران على قلوبهم ماكانوا يكسبون) ولهذه الآية معنيان أخرآن :

الاول : بل ان ما أنهمكوا فيه من الشهوات واللذائذ وما تميل اليه النفس هو الذى أصبح حاجبا بينهم وبين الايمان بيوم الجزاء والعمل بمقتضى هذا الايمان من الكف عن المناهى والاجتناب عن المعاصى فلا يستطيعون تركها والتوجه للعمل الصالح .

الثانى : ان ما يكسبونه ويستفيدونه من منافع الدنيا والمصالح فيما هم عليه من طريق الضلالة والغواية هو الذى حجبهم عن الايمان والخروج عن هذه الضلالة (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) بعد أن زجرهم الله تعالى على أقوالهم هذا وخطئهم وبين ضلالهم فيما قالوا زجرهم مرة أخرى وخوفهم بسوء عاقبتهم ان استمروا على هذه الفكرة الباطلة والضلالة التامة فقال (كلا) أى فلينتهوا عن ضلالهم وكفرهم لانهم نتيجة هذه الضلالة لمنوعون عن لقاء ربهم وعن شرف الحضور لديه ونعيم الله تعالى يوم القيامة والجزاء (ثم انهم لصالوا

الجحيم) ربما يتسلى الكافر بالحرمان عن اللقاء والنعيم ويرضى بأن يبقى غير منعم اذا لم يكن معذبا ولذا نبههم الله تعالى بأن جزاءهم ليس هذا الحرمان فقط بل علاوة على ذلك انهم لصالوا اى لداخلوا الجحيم ويعذبون فيها بتحريق أجسامهم وتمزيق أبدانهم ثم انهم يضم لهم الى هذا العذاب الجسمى العذاب النفسى ذلك بأن يخاطبوا خطاب التكدير والتبكيت والتنديم والاهانة كما قال تعالى (ثم يقال) لهم وهم فى النار (هذا الذى كنتم به تكذبون) فى الدنيا وكنتم لاتؤمنون به وتستهزئون بالذى آمن به وصدقه واجتنب بذلك عما خضتم فيه من الشهوات المحرمة واللذائذ المنكرة وبهذا يجمع الله لهم بين العذاب الجسمانى والعذاب النفسانى وما أشد ذلك على المرء وأقساه وذلك لانهم جمعوا فى الدنيا بين الشهوات المحرمة الجسمية والنفسية فعوقبوا بمثل مافعلوا والله عزيز حكيم وعلى مايشاء قدير وفى الختام نذكر تصريف (لصالوا الجحيم) فأصله لصاليون الجحيم لصاليون جمع صال أسم فاعل من الصلى بمعنى الدخول فحينما أضيف الى الجحيم سقط النون بالاضافة فصار لصاليو الجحيم التقى الساكنان الواو ولام الجحيم فحذف الواو فصار لصالى الجحيم حذف الياء لالتقاء الساكنين أيضا فصار لصال التبس بالمفرد فضم اللام للدلالة على واو الجمع فصار لصال الجحيم وكتبت الواو لذلك أيضا وهذه قاعدة صرفية ذكرتها للعلم بمدى عمق اللغة العربية فى تصاريفها .

فائـــدة :

قال بعض العلماء ان لكل شيء كيلا وميزانا فمن غش فيه فهو مطفف ويستحق هذا الوعيد فاللسان ميزان فاذا ذكرت به مساوىء الناس دون محاسنهم وتركت مساوئك وذكرت محاسنك فقط فقد

طففت والعين ميزان فاذا رأيت بها عيوب الناس دون عيوبك فقد طففت والقلب ميزان فاذا أحببت لنفسك الخير وكرهت الشر ولم تحب به لغيرك من المسلمين ولم تكره الشر لهم فقد طففت ولذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم (لايؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه المسلم مايحب لنفسه ويكره له مايكره لنفسه) وهكذا فقس كل شيء وطبق تكن مسلما كاملا ٠

(كلا إن كتاب الابرار لفي عليين ٠ وما أدراك ما عليون ٠ كتاب مرقوم ٠ يشهده المقربون)

ان سياق القرآن الكريم هو أنه كلما ذكر حال العصاة والكافرين وعذابهم يأتي بعد ذلك بذكر الصالحين والمؤمنين ونعيمهم وثوابهم والعكس بالعكس فهنا بعدما ذكر الفجار وحالهم أتبعه بذكر حال الابرار وما أعد لهم من النعم والتكريم فقال (كلا) أى فلينته الكافرون عن زعمهم بأنه لاثواب للصالحين كما أنهم زعموا ان لاعقاب على الفاسقين فلينتهوا عن هذه العقيدة الباطلة حيث (ان كتاب الابرار لفى عليين) جمع عليّ بتشديد اللام وكسر العين صيغة مبالغة من العلو كما أن السجين صيغة مبالغة فى السجن فالمعنى ان كتاب الأبرار لفى مكان عال جدا والعلو كناية عن الشرف والقدر والسعادة كما أن السجن كان كناية عن السفل والسفل كناية عن الاهانة والخسة والشقاوة أى ان كتاب الابرار لفى مكان يسعد ويشرف به صاحبه ثم فسر العليين بقوله (وما أدراك ماعليون) فانه أعلى من فهم الانسان له فأنا أعلمك به فانه (كتاب مرقوم) أى كتاب سجل فيه أعمال الابرار (يشهده) الملائكة (المقربون) لفرحهم بما سطر فيه من الاعمال

الحسنة والخصال الحميدة ثم فصل ما للابرار من النعم هنالك كما فصل من قبل ما أعد للفجار من النقم فقال :

ان الأبرار لفى نعيم • على الأرائك ينظرون • تعرف فى وجوههم نضرة النعيم • يسقون من رحيق مختوم • ختامه مسك وفى ذلك فليتنافس المتنافسون • ومزاجه من تسنيم • عيناً يشرب بها المقربون •

(ان الابرار لفى نعيم) جاءت النعيم نكرة للتعظيم أى لايدرك كنهه الا من أدركه ووصل اليه ، ثم عرف هذا النعيم ببعض الامور المعلومة عند الانسان فقال (على الأرائك ينظرون) أى ينظرون على الاسرة الموضوعة لهم الي المناظر الجميلة والوجوه المليحة والجو الصافى والعيون الجارية فى البساتين الزاهرة فعلى الارائك متعلق بينظرون قدم عليه لرعاية السجع والاهتمام فان النظر على الارائك الذ من النظر جلوساً على الفراش او الارض (تعرف) أى تدرك أيها المخاطب وتحس (فى وجوههم نضرة النعيم) أى البشاشة التى تظهر على وجه الانسان حينما ينعم ويتلذذ بالنعم (يسقون من رحيق) شراب وخمر خالص (مختوم) حتى لاتمسه الايدى ولا يخالطه ماليس منه (ختامه) مايختم به (مسك) وهو أعلى أنواع العطر ليطيب شمه كما طاب ذوقه (وفى ذلك) أى وفى تحصيل ذلك النعيم وهذا التكريم (فليتنافس) فليتسابق (المتنافسون) أى الذين يتسابقون فى الامور والاجور فان كل مايتسابق فيه الانسان بالنسبة الى هذا النعيم كلا شيىء فان هذا النعيم نعيم محض لايخالطه شيىء من الكدورة بخلاف

نعيم الدنيا فأنه ملأه الاذى والآلام كما وان هذا النعيم دائم باقلايزول ولكن نعيم الدنيا موقت يفنى ويزول · (ومزاجه من تسنيم) من عادة الذين يشربون الخمور أنهم يخلطون ويمزجون بها الماء ليخفف من شدته فمزاج خمور المؤمنين فى الجنة وما يخلطون بها هو ماء فى نهاية العلو من الصفاء والطهارة والحلاوة (عينا) مفعول به لفعل مقدر تقديره أعنى بالتسنيم عينا (يشرب بها) أى منها (المقربون) الرجال الصالحون المقربون من الله تعالى ولـذلك سميت تسنيما لان التسنيم من السنام بمعنى العلو وهذه العين عالية القدر فى المنزلة من اللذة والحلاوة الموجودة فيها ·

سؤال :

ان هذه الخمر اذا كانت مسكرة فكيف يسكر المؤمن فى الجنة وان لم تكن مسكرة فما لذتها ؟

الجواب :

ان لذة الخمر وهىالسرور والفرح الذىيجده الشارب فى الخمر عند السكر موجود فى الجنة الا أن الحال فى الجنة أن شارب الخمر يجد هذه اللذة دون زوال للعقل أو أن يصيبه مايصيب الشارب فى الدنيا من اللغو فى الكلام وزوال الشعور كما قال تعالى فى سورة الواقعة (يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين لايصدعون عنها ولا ينزفون) ·

ثم بعد ماذكر الله تعالى حال الفجار وعذابهم فى الاخرة وذكر حال الابرار وثوابهم فى الجنة ذكر حال الفاجرين مع المؤمنين فى الدارين الدنيا والآخرة · فقال :

ان الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون • واذا مروا بهم يتغامزون • واذا انقلبوا ألى أهلهم أنقلبوا فكهين • واذا رأوهم قالوا أن هؤلاء لضالون • وما أرسلوا عليهم حافظين • فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون • على الأرائك ينظرون • هل ثوب الكفار ماكانوا يفعلون •

(ان الذين أجرموا كانوا) أى فى الدنيا (من الذين آمنوا يضحكون) يستهزؤون بهم (واذا مروا) أى الكفار (بهم) أى بالمؤمنين (يتغامزون) ينظر بعضهم الى بعض بأطراف العيون والجفون سخرية واستهزاء بهم (واذا انقلبوا) اى رجعوا (الى اهلهم) وبيوتهم (أنقلبوا فكهين) متلذذين بما فعلوا واستهزؤوا بالمؤمنين فكأنهم ربحوا شيئا عظيما وكسبا حسنا (واذا رأوا) أى الكفار (هم) أى المؤمنين من بعيد أو قريب (قالوا) فيما بينهم (ان هؤلاء) أى المؤمنين (لضالون) أى عادلون عن الطريق الحق والسبيل المستقيم (وما أرسلوا) أى وما أرسل الله ولا غيره هؤلاء الكافرين (عليهم) على المؤمنين (حافظين) أى مراقبين يسجلون أعمالهم ويحفظون عليهم ماهم فيه بل انما يعملون ذلك دون حق لهم عليهم ولمجرد تعنتهم وغلوهم فى الكفر والضلال فهكذا كان الحال بين الكافرين والمؤمنين فى الدنيا وأما فى الآخرة فينقلب الامر وينعكس كما قال (فاليوم) أى يوم أن نال الكفار عقابهم والمؤمنون ثوابهم ففى ذلك اليوم ينقلب الامر وتنعكس الآية حيث هنالك (الذين آمنوا من الكفار يضحكون) من سوء ماوقعوا فيه (على الارائك ينظرون) الى حالهم وهم فى النار يعذبون • ثم بعدما ذكر جزاء الكفار على سخريتهم بالمؤمنين استفهم

استفهام استهزاء وتضليل فقال (هل ثوب الكفار) أى هل أخذ الكفار ثوابا على (ماكانوا يفعلونه فى الدنيا من السخرية والاستهزاء بالمؤمنين وجواب هذا الاستفهام هو (كلا) بل عذبوا نتيجة ذلك وأدخلوا جهنم وبئس المصير وأستفهم هذا الاستفهام حيث كان الكافرون يرتقبون ثوابا نتيجة عملهم هذا وسخريتهم من المؤمنين فنالو، خلاف ما انتظروا وذلك هى الندامة العظمى والحسرة التى لاحسرة فوقها حفظنا الله تعالى آمين وغفر لنا ورحمنا انه ارحم الراحمين ٠

تنبيه :

ان هذه الآيات سارية المفعول وموجود معناها فى زمان الرسول الاكرم الى يوم القيامة فتجد فى كل زمان شرذمة ضالة وأناسا جهلة لايرون من الحياة الا الاكل والشرب ولا يعرفون للقيم قيمة ولا للاخلاق وزنا أضلهم الشيطان ووكلهم فى تنفيذ خطته وهؤلاء هم شياطين الأنس يسخرون من المؤمنين ويستهزئون بهم ويتهمونهم بالرجعية والخرافة وغير ذلك من اصطلاحات تتغير الفاظها بمرور الزمان ولكن المعنى واحد والمفهوم نفس المفهوم فعلى المؤمن أن لايضيق صدره ولا يحزن قلبه وأن لايتكاسل عن الدعوة الى الحق والارشاد الى الخير فان أمامه المستقبل الزاهر والنعيم المقيم كما وأن أمام الكافرين المستقبل المظلم والعذاب الاليم وانه فى الآخرة تنعكس الآية وتتبدل الحالة حينما يدور المجرمون فى جهنم كحمار الرحى ويعذبون ويقعد المؤمن على أسرة موضوعة على شرف الجنان المشرفة على أهل النار فيضحكون من حال الكافرين ويشكرون الله تعالى على ما أوتوا من الفوز العظيم والنعيم المقيم جعلنا الله تعالى منهم أجمعين والحمد لله رب العالمين ٠

«حسين» باللسان قد تطفف
وبالعين وبالقلـب وبالانـف
اذن أدخلت في سجين ربـى
فلا تبك دموعاً بل تأسف
!! أمضيت مـن عمر ملء
بانكار واجحاد وسفسف
فنفس قد دنت نحو الخطايا
وقلب للمناهى سار رفرف
فلا تطمـع بجنات وحـور
وعيش بالهنا ملء بأف أف
فللفجار عـد الله نـاراً
جلوداً تنضج والشعر تنتف
فعلين ربـى للـذين
الى العدل وللاحسان يأنف
الا فى هـذه الدنيـا تعفف
فلا تبخس بشىء أو تطفف
فللرحمن ألطـاف خفيـة
وكم بالعبد بالخير تلطـف

« سورة الأنشقاق »

مكية نزلت بعد الانفطار وهى خمس وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا السماء انشقت • وأذنت لربها وحقت • واذا الأرض مدت • وألقت مافيها وتخلت • وأذنت لربها وحقت •

(اذا السماء انشقت) اذا بمعنى الوقت وفى العامل فيها هنا أقوال والاصح منها أن العامل فيها (كادح) فى قوله تعالى (يا أيها الانسان انك كادح الى ربك كدحا) قدم عليه لانه اذا قيل اذا السماء انشقت ••• الخ يتيقن السامع أن وراء ذلك خبرا عظيما وأمرا هاما فيفتح كل أذنيه ويصغي اليه فيقع الجواب فيهما أحسن وقوع (وأذنت لربها) أى أطاعت السماء لامر ربها بانشقاقها (وحقت) وجعلت مستحقة ومستعدة لذلك الانشقاق (واذا الارض مدت) القول فى العامل فى اذا هذه كالقول فى اذا السابقة و (مدت) معناه زيد فى حجمها وأبعادها وذلك بانضمام الكواكب اليها أو بتخلخلها او بهما جميعا (وألقت مافيها) أخرجت مافيها من الموتى والكنوز والذخائر (وتخلت) أصبحت خالية مما فيها من المذكورات (وأذنت لربها وحقت) وأطاعت لامر ربها بهذا التمدد والتخلى والتفرغ مما فيها (وحقت) وجعلت مستعدة لذلك كله • فاذا تغيرت السماء هذا التغير وتبدلت الارض هذا التبدل •

ياأيها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه • فأما من أوتى كتابه بيمينه • فسوف يحاسب حسابا

يسيراً • وينقلب الى أهله مسروراً • وأما من أوتى كتابه وراء ظهره • فسوف يدعو ثبورا • ويصلى سعيرا • انه كان فى أهله مسرورا • انه ظن أن لن يحور • بلى ان ربه كان به بصيرا •

(يا أيها الانسان انك كادح الى ربك كدحا) أى راجع الى ربك رجوعا شاقا فملاقيه وهنا مظنة سؤال وهو أنه اذا رجع الانسان الى ربه فماذا يكون فأجاب الله تعالى عن ذلك وفصل حال الانسان وقسمه الى قسمين قسم يؤتى كتابه اى سجل أعماله بيمينه وقسم يؤتى كتابه بشماله ومن ورائه وذكر حال القسمين فقال (فأما من أوتى كتابه) بيمينه ومن أمامه (فسوف يحاسب) ذلك الشخص (حسابا يسيرا) سهلا (وينقلب الىأهله مسرورا) فرحا من سهولةالحساب معه ومايؤول اليه حاله من دخول الجنة والنجاة من العذاب والحساب السهل هو مجرد عرض أعماله دون مناقشة حيث روى من حديث عائشة أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال : (من حوسب عذب قالت السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها قلت يارسول الله أليس قد قال الله تعالى (فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا) قال : ليس ذلك الحساب انما ذلك العرض • من نوقش الحساب يوم القيامة عذب) ذكره القرطبى وقال أخرجه البخارى ومسلم والترمذى وقال حديث حسن صحيح • ثم بدأ بذكر حال القسم الثانى فقال (وأما من أوتى كتابه وراء ظهرهفسوف يدعو ثبورا) أىيقولياويلاه وياثبوراه ويتمنى أن يموت فلا يحيى ولكن أنى له ذلك بل (ويصلى) اى ويدخل (سعيرا) جهنم •

سؤال :

قد ذكر في الآيات الاخـرى أن الكتاب يؤتى للسعـداء باليمين وللاشقياء بالشمال فكيف التوفيق بينهما وبين هذه الآية التي تفيد أن كتاب الاشقياء يؤتى من ورائهم ؟

الجواب :

أن الملائكة حينما يأتون لتوزيع الكتب يأتون السعداء من الامام ويؤتونهم كتابهم بيمينهم ويفرحون برؤيتهم اما الاشقياء فيأتون اليهم من الخلف حيث يكرهون أن ينظروا الى وجوههم المسودة القبيحة فيمد الشقي شماله الى الوراء فيتسلم كتابه بشماله من ورائه ٠

ثم ذكر الله تعالى سبب دخول الشقي الى السعير فقال (انه كان) في الدنيا (في أهله مسرورا) مبتهجا ومتوغلا فيما يشتهيه غير خائف ولا محزون وذلك حيث (انه ظن أن لن يحور) أي كان لايعتقـد الحساب والجزاء ويعتقد أنه لا حياة بعد الموت وأنه لن يحور أي لـن يرجع الى الله تعالى للحساب في يوم الحساب ٠ ثم رد الله تعالى على عقيدته هذه قائلا (بلى) تأكيدا عـلى أنه يرجع و (ان ربه كـان به بصيرا) عالما باعماله وعقائده فيعاقبه على ذلك وينتقم منه انتقاماً شديدا ٠

فائـدة :

ان المؤمنين كانوا في الدنيا خائفين محزونين مـن خـوف يوم الحساب كما قال تعالى في سورة (سال سائل) في وصفهم (والذين هم من عذاب ربهم مشفقون) فبدل الله تعالى خـوفهم أمناً وحـزنهم مرورا ولكن الفاسقين كانوا في الدنيا مسرورين غير خـائفين مـن

عذاب الله تعالى فبدل الله أمنهم خوفا وسرورهم حزنا ولذا قيل ان الله تعالى لايجمع على عبده خوفين فمن خافه فى الدنيـا لايخافه فى الآخرة ولا يجمع عليه أمنين فمن أمنه فى الدنيا خافه فى الآخرة ٠

فلا أقسم بالشفق ٠ والليل وما وسق ٠ والقمـر اذا اتسق ٠ لتركبن طبقاً عن طبق ٠ فمالهم لايؤمنون ٠ واذا قرىء عليهم القرآن لايسجدون ٠

(فلا أقسم بالشفق) وهى الحمرة التى تبقى بعد غروب الشمس على الافق مدة (والليل وما وسق) اى ماجمعه الليل فضم كل حبيب الى حبيبه وجنس الى جنسه (والقمر اذا اتسق) اذا امتلأ نوراً وصار بدرا وجواب القسم هو قوله (لتركبن طبقا عن طبق) لتدخلن حالا بعد حال شدة بعد رخاء ورخاء بعد شدة طفلا ثم صبا ثم كهولة ثـم شيبا وضعفا وقوة وهكذا تتغير عليكم أحوال الدنيا وتتبـدل أحـوال الناس وكل هذه الامور تدل على قدرة الله وعلى مجىء يوم القيامـة فاذا تفكر الانسان فى هذا الكون وفى هذه الاحوال يصدق كل ماأخبر به القرآن ويؤمن به وينقاد لاوامره ونواهيه فلذا قال تعالى (فمالهم لايؤمنون) بالله وقدرته وبيوم القيامة ومجيئه (واذا قرىء القـرآن لايسجدون) أى ومالهم اذا قرىء القرآن لايسجدون أى لاينقادون لما يخبر به وما يأمر به وينهى عنه وهذا الاستفهام استفهام تعجب وانكار من عدم ايمانهم وعدم انقيادهم للقرآن بعد وضوح الحجـة وقـوة البرهان أشار الله تعالى فى هذه الآيات الى أن حال الانسان مما يليق أن يتعجب منه وذلك لان أمامه شيئين كل واحد منهما يكفى لو تفكر فيه لان يؤمن بالله واليوم الآخر أو لان ينقاد لهذا الدين وماجاء بـه الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ٠

فالامر الاول : هو غروب الشمس وحدوث الحمرة التي تبقى فوق الافق بعد غروبها وهجوم الليل والظلمة بعد ذلك وجمعه للاشياء فيجتمع فيه كل شيىء الى قرينه وينضم الى عرينه ثم ظهور القمر بهذا النور الذى يخفف كثيرا من وحشة الانسان والوجود بعد الفناء والفناء بعد الوجود والتطور والتحول الذى يحدث في الاشياء دائما وباستمرار فمن تفكر فى هذا النظام وفى هذا الصنع يؤمن بأن لهـذا الصنـع البديع من خالق عليم وحكيم وقدير وان هذا الصانع القدير الـذى خلق هذا الصنع العجيب لايصعب عليه أن يعيد الحياة بعد المـوت . كما وأن من صنع هذا النظام الكـونى لايتصور أن لايضـع نظامـا تكليفيا للناس ويحاسب الناس على وفقه وان لذلك يوما لابد وأن يأتى لينال كل صاحب خير ثواب خيره وكل أهل شر عقاب شره فالذى لايتفكر فى هذا الكون أو لايسوقه هذا الخلق والتعمير وذاك التبديل والتغيير الى الايمان بما ذكر لحرىّ بأن يتعجب منه وأن يلام على ذلك فلذلك قال تعالى (فمالهم لايؤمنون) .

الامر الثانى : هو هذا القرآن الذى أتى به أمى بعيد عن كـل قراءة ودراسة وخطابة وشعر وكتاب وأعجز جميع البلغاء عن الاتيان بمثل أقصر سورة منه والذى يخبر عن الماضى والمستقبل كما هـو ويخبر عن أمور كونية وطبيعية ويأتى العلم بعـد ذلك فيكشف كـل ما أخبر عنه القرآن ويصدقه فمن تفكر فى هذا القرآن وتدبره علم وايقن أنه من الله تعالى وأنه ليس من صنـع البشر فالـذى لايوصله التفكر فى هذا القرآن الى الانقياد له والامتثال لاوامره ونواهيـه وحكمه ومواعظه لحري بأن يتعجب منه وينكر عليه حاله هـذا ولذلك قال تعالى (واذا قرىء القرآن لايسجدون) .

حكم شرعى :

حكم شرعى : من وصل فى تلاوة القرآن الى قوله لايسجدون يسن له عند الشافعية ويجب عليه عند الأحناف أن يسجد سجدة التلاوة فان لم يكن فى الصلاة فذاك وان كان فى الصلاة سجد هو ومن تبعه اذا كان اماماً ثم بعد السجود يرجع الى ماكان فيه من الصلاة واذا لم يكن اماما سجد هو ثم رجع الى مافيه من الصلاة هذا بالنسبة للقارىء واما السامع فيسجد ان لم يكن فى الصلاة وان كان فى الصلاة فيسجد لتلاوة نفسه وامامه فقط ولا يسجد لتلاوة غير امامه ، وكيفية السجود اذا لم يكن فى الصلاة أن يرفع يديه ويكبر وينوى سجود التلاوة ثم يسجد ثم يقوم من السجدة فيسلم وان كان فى الصلاة يسجد ناويا ويقوم الى مافيه من الصلاة ولا يسلم ويشترط لهذه السجدة مايشترط للصلاة من وضوء وطهارة بدن وثوب ومكان واستقبال للقبلة وتوجد فى القرآن ثلاثة عشر موضعا آخر غير هذا الموضع يسجد المرء عند تلاوته وقد كتبت عنده علامة السجدة فى كل واحد من هذه المواضع فى القرآن الكريم فتنبه له عندما تتلو القرآن واسجد سجدة التلاوة فى كل موضع فان فى ذلك لاجراً عظيما • هذا وان المأموم لايسجد ان لم يسجد الامام الا بعد الفراغ من الصلاة •

بل الذين كفروا يكذبون • والله أعلم بما يدعون • فبشرهم بعذاب أليم • الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون •

(بل الذين كفروا يكذبون) بكل مايدل عليه هذه الادلة وهذا القرآن (والله أعلم بما يوعون) أى يكتمون فى قلوبهم من عداوة

لاهل الايمان وانكار الدين الاسلامى ومحاولاتهم لاطفاء هـذا النور وصد الناس عن العمل به فعقابا على كفرهم هذا وتكذيبهم وأعمالهـم ضد المؤمنين (فبشرهم) يامحمد (بعذاب أليم) مؤلم موجع لايدرك كنه آيلامه الا من ابتلى به **كما يفيد ذلك** التنكير الـدال عـلى التعظيـم والتضخيم والتهويل ·

سؤال :

ان البشارة خبر يتضمن ماينفع ويفيد ويسر به من يخبر فكيف أطلقت هنا على مايحزن به الكافرون الذين أخبروا بذلك فى قولـه « فبشرهم بعذاب اليم » ·

الجواب :

ان هذا انذار وليس بشارة الا أنه سمى بشارة تهكما لهم وسخرية بهم لانهم كانوا ينتظرون بشارة على أعمالهم وعقيدتهم فكأنه قال هذه بشارتكم التى كنتم تنتظرونها فى الدنيا الا انها على عكس ماكنتـم تنتظرون وذكر الانذار بلفظ البشارة لزيادة أحزانهم وأيلامهم فانـه حينما تقول لاحد أبشرك يفرح كثيرا ويفتح قلبه وأذنه لما يأتـى ويسمع بعد ذلك ويبشر بـه فـاذا جاءت البشارة بما يسوءه يحـزن حزنا أكثر من أن تقول له أبتداء أنذرك بهذا فان فى الاول ازالة لمـ طمع وأقامة لما يسوءه مكانه وفى الثانى اقامة لما يسوء فقط فيكـون أشد أيلاما وتحزينا وهذا مايسمى عند علماء النفس بالصدمة النفسية فما أبلغ هذا القرآن ·

ثم بعد ماذكر الله تعالى بأن للكافرين عذابا أليما وأمر رسوله بأن يبشرهم بهذا أورث ذلك شيئين :

الاول : أن الكافرين الذين كانوا يكذبون ثم اسلموا وآمنوا وصدقوا وانقادوا لهذا القرآن ربما يظنون أن هذا الوعيد لكل من كذب سواء تاب بعد ذلك وآمن أولا فتطمينا لقلوبهم ودفعا لوهمهم قال تعالى (الا الذين آمنوا ... الخ) فالمعنى ان من كان يكذب ثم آمن لايصيبه هذا العذاب وهو منجي منه بهذا الايمان بعد التكذيب فان الاسلام يجب ماقبله .

الثاني : ان الكافر المكذب حينما يسمع هذه البشارة التى تتضمن الوعيد فى أكبر صورة يستولى عليه اليأس ويعتقد أنه حيث كذب لاينجو من هذا العذاب الاليم فلا يؤمن بل يزيد فى التكذيب والكفر فتطميعا لهم وجلبا لقلوبهم ووعدا بالعفو عما مضى ان آمنوا قال تعالى (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) أى فهؤلاء يغفر الله لهم ماسبق ويعفو عنهم مامضى بل (لهم أجر غير ممنون) أى غير مقطوع على هذا الايمان والعمل الصالح .

سؤال :

ان من الكافرين من يتوب ويؤمن ويموت بعد قليل ولا يمكنه الاتيان بأى عمل صالح فهل له هذا الاجر حسب هذه الآية أم لا ؟

الجواب :

نعم ان له هذا الاجر لان الرسول (ص) أخبر أن الاسلام يجب أى يمحو ما قبله من كل ذنب والذى يموت بعد الايمان بقليل كما أنه لم يتمكن من العمل الصالح لم يتمكن أيضا من العمل القبيح فيكون كالمعصوم فيستحق هذا الاجر أو أن الآية فيمن عاش بعد الايمان زمانا يسعه العمل الصالح فيه .

سؤال آخـر

ان الآية أفادت أن هذا الاجـر لمـن آمن وعمل الصالحات والألف واللام الداخل على الجمع يفيد الاستغراق والعموم ولا يستطيـع أحد من المؤمنين أن يعمل كل الصالحات فمن الذى يستحق هذا الاجر ؟

الجـواب :

ان مجرد الايمان هو سبب للنجاة والفـوز بالجنة وان الجنـة ونعيمها لاتفنى ولا تزول ولا تنقطع فاذا دخلها المرء كان أبديا فيها فكل من آمن كان له هذا الاجر الغير المقطوع أى غـير المنتهى وغـير الزائل الا أنه من عمل كل الصالحات يلقى هـذا الاجر دون عـذاب ومن أتى ببعض الصالحات وترك بعضا أو أتى بالسيئات فيحاسب فان زادت حسناته سيئاته فله هذا الاجر دون عذاب وكذا ان ساوت حسناته سيئاته أما من زادت سيئاته حسناته فيكون له هذا الاجر بعد ان يرى مايستحق من العذاب حسب سيئاته ان لم يعف عنه ربه ولم يغفر لـه فكل مؤمن له هذا الاجر ان عاجلا أو آجلا ، فالآية محمولة على من نال الاجر دون عذاب وهو من عمل كل الصالحات التى تمكن منها ومالايمكن لايكلف بها وعلى من نال هذا الاجر بعد العذاب او العفو رزقنـا الله تعالى الايمان الصادق الكامل والاعمال الصالحة انه رحيم قدير .

فعنـدما تشقق السمـاء
والأرض في عمومها بطحاء
والنجم قد نثرها رب الورى
وكو رالشمس فنى الضياء
سيسعـد ويعتلي المطيـع
مكانة من دونها الجوزاء

يستلم الكتاب باليمين
صراطه عريضة بيداء
ويخسر الذين فى قلوبهم
حقد على شريعة سمحاء
يستلمون كتبهم كأعسر
ويعتلى فوقهم الحمقاء
تضرعاً يدعو «حسين» ربنا
أنل أباه جنة فيحاء
واجعل الهي حشرنا فى نخبة
فيه النبى وآله العصماء

(٨)

« سورة البروج »

« مكية نزلت بعد الشمس وآياتها اثنتان وعشرون آية »

بسم الله الرحمن الرحيم

والسماء ذات البروج • واليوم الموعود • وشاهد ومشهود •

(والسماء ذات البروج) فى السماء اثنتا عشرة مجموعة من الكواكب تبقى الشمس فى الدورة السنوية مقابل كل مجموعة ثلاثين يوما ويسمى كل مجموعة برجاً ويرى الناظر كأن الشمس تدخل فى هذه البروج وتتحرك فيها وتقطع كل برج فى ثلاثين يوما فيقال دخلت الشمس فى برج كذا وخرجت من برج كذا والبرج فى اللغة للقصر فكأنها قصور تسكنها الشمس وهى ملكة النجوم وتسمى كل برج

باسم شيىء لان كل مجموعة تشكل صورة مثل صورة ذلـك الشيىء فالاول يسمى برج الحمل لانه وقع على صورة الحمـل ولـد النعجـة والثاني بالثور لانه في شكل ذكر البقرة والثالث بالجوزاء لانه في صورة بنت والرابع بالسرطان لانه في صورة ذلك الحيـوان المائـي المسمى بالسرطان والخامس بالاسـد لانـه في صورتـه والسادس بالسنبلة لانه كسنبلة الحنطة في الشكل والسابع بالميزان لانـه في صورة الميزان والثامن بالعقرب لانه في شكل عقرب رفعت ذنبها الى ظهرها والتاسع بالقوس لانه في صورة قوس السهم والعاشر بالجدى لانه في صورة ولد المعز والحادى عشر بالدلو لانه في صورة دلـو الماء والثاني عشر بالحوت لانه في صورة السمك وكـل ثلاثة بـروج تشكل فصلا من الفصول الاربعة فبالنسبة لديارنا مدة مرور الشمس بالحمل والثور والجوزاء هو الربيع وبالسرطان والاسد والسنبلة هو الصيف وبالميزان والعقرب والقوس هو الخريف وبالجدى والدلو والحوت هو الشتاء هذا وان هذه البروج على هذه الاشكال واضحة في السماء يراها الانسان في الليالى الغير المقمرة وفي مكان لاضوء فيه الا انه لايرى كلها الا اذا راقب الانسان السماء سنة واحدة لان ستة منها بالليل فوق الافق وستة منها تحته ·

(واليوم الموعود) الاقوال في معنى اليوم الموعود كثيرة والاصح ان المعنى اليوم المعين لكل أمر فأن كل أمر له يوم معين يوجد هذا الامر في ذلك اليوم ولا يوجد في غيره فهذا الثمر في يوم وذاك في آخر وذاك الزرع في يوم وذاك في آخر ولكل من الصيف والخريف والشتاء والربيع يوم معين وهكذا لكل ماينبت ويولد ويوجد ويثمر ويـزرع ويحصد و ··· و ··· وغير ذلك يوم معين ·

(وشاهد ومشهود) فى تفسيره أقوال والاصح أن المعنى وكل راء ومرئى فيدخل فيه كل الموجودات لان كلا منها اما راء او مرئى وجواب القسم محذوف هو أن كل معتد ينال عقابه وكل عاص يذوق عذابه ، أقسم الله تعالى بهذه الاشياء ظاهرا ولكنه فى الحقيقة استدل بها على وجود الثواب والعقاب ومجىء يوم الحساب وصورة الدليل هكذا • ان خلق هذه السماء الرفيعة بدون عمد ترونها وخلق هذه الشمس الكبيرة فى الجرم والمضيئة للعالم وايقافها فى هذا الفضاء وخلق هذه البروج التى تسير الشمس بحذائها فتحدث بذلك الفصول الاربعة فى كل عام وان وجود يوم معين لكل شيىء وتخصيص ذلك الشيىء به فيوجد فيه ولا يوجد فى غيره ووجود هذه الموجودات الكثيرة التى لايحصى عددها وكل منها أما مدرك أو مدرك وراء أو يرى أو يتصف بكلا الامرين أى يرى ويرى فهذا الصنع العجيب والنظام البديع لابد وان يكون له صانع حكيم ومبدع قدير وعليم • ومن يقدر على ايجاد هذا العالم العظيم لايصعب عليه احياء الموتى وأن يحيى العظام وهى رميم • وان من صنع هذا النظام لايتصور أن يترك الناس سدى ولا يضع لها نظاما يعملون به وشريعة يدينون بها ودستورا يعدلون به وان من شأن النظام أن يثاب من يطيعه ويعاقب من يضيعه وحيث لايوجد هذا فى الدنيا كليا فلابد من أن يأتى يوم يلقى فيه الصالح ثواب صلاحه والطالح عذاب سيئاته وجرائمه تحقيقا لعدل الله وذلك يوم الحساب ويوم القيامة • هذا وان كثيرا ماينتقم الله من بعض المجرمين فى الدنيا قبل أن يعاقبهم فى الاخرة وبرهن على ذلك بحال أمة سابقة تسمى بأصحاب الاخدود أهلكت لسوء عملها ودمرت لضلالها ولعنت بظلمها وتجاوزها عن الحق وعن دين الله والايمان بالله رب العالمين فقال :

قتل أصحاب الأخدود • النار ذات الوقود • اذ هم عليها قعود • وهم على مايفعلون بالمؤمنين شهود • وما نقموا منهم الا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد • الذى له ملك السموات والأرض والله على كل شىء شهيد •

(قتل أصحاب الاخدود) أى أهلك ولعن اصحاب الاخدود ونالوا عذابهم فى الدنيا قبل الاخرة وان عذابهم فى الاخرة أشد وأبقى • فقبل أن نبدأ بتفسير الآيات نود أن نبين أنه من هم اصحاب الاخدود وكيف كانت قصتهم •

« قصة أصحاب الاخدور »

ورد فى ذكر هذه القصة ثلاث روايات أصحها ماهو فى صحيح مسلم عن صهيب (رض) أن رسول الله (ص) قال : كان ملك فيمن كان قبلكم ، وكان له ساحر فلما كبر قال للملك انى قد كبرت فابعث الىّ غلاماً اعلمه السحر فبعث اليه غلاما يعلمه فكان فى طريقه اذا سلك راهب فاجتمع به وسمع كلامه فاعجبه فكان كلما أتى الغلام الساحر مر بالراهب وقعد اليه فاذا أتى الساحر ضربه على التأخير واذا رجع مر بالراهب فقعد اليه فاذا أتى الى أهله ضربوه فشكا ذلك الى الراهب فقال له : اذا خشيت الساحر فقل حبسنى أهلى واذا خشيت أهلك فقل حبسنى الساحر فبينما هو كذلك اذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس فقال الغلام : اليوم أعلم أن الساحر أفضل أم الراهب ؟ فأخذ حجرا وقال اللهم ان كان أمر الراهب أحب اليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضى الناس فرماها فقتلها فمضى الناس فأتى الراهب فأخبره فقال له الراهب أى بنى أنت اليوم أفضل منى

قد بلغ من أمرك ما أرى وانك ستبتلى فان ابتليت فلا تدل علي وكان الغلام يبرىء الاكمه والابرص ويداوى الناس من سائر الادواء فسمع جليس الملك وكان اعمى فأتاه بهدايا كثيرة فقال ماها هنا لك أجمع ان أنت شافيتنى فقال الغلام : انى لا أشفى أحدا انما يشفى الله فان آمنت به دعوته فشفاك فآمن جليس الملك بالله تعالى فشفاه الله فأتى الملك فجلس اليه كما كان يجلس كل يوم فسأله الملك من رد عليك بصرك قال ربي فقال أو لك رب غيرى قال ربى وربك الله فأخذه وعذبه ولم يزل يعذبه حتى دل على الغلام فجيىء بالغلام فقال له الملك أى بنى قد بلغ من سحرك تبرىء الاكمه والابرص وتفعل وتفعل فأجابه الغلام ، أنا لا أشفى أحدا انما يشفى الله فأخذه ولم يزل يعذبه حتى دل على الراهب فقيل له أرجع عن دينك فأبى فوضع المنشار فى مفرق رأسه فشقه حتى وقع شقاه ثم جيء بالغلام فقيل له أرجع عن دينك فأبى فدفعه الى نفر من أصحابه فقال لهم : اذهبوا به الى جبل كذا وكذا فاصعدوا به فاذا بلغتم ذروته فان رجع عن دينه والا فاطرحوه فذهبوا به وصعدوه الجبل فقال : اللهم اكفنيهم بما شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشى الى الملك فقال له الملك مافعل أصحابك فقال : كفانيهم الله فدفعه الى نفر من أصحابه فقال اذهبوا به فأحملوه فى قرقورة فتوسطوا به البحر فأن رجع عن دينه فنعم بها والا فاقذفوه ، فذهبوا به فأحملوه فى قرقورة فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فانكفأت بهم السفينة فغرقوا وجاء يمشى الى الملك فقال له الملك مافعل أصحابك فقال : كفانيهم الله انك لست بقاتلى حتى تفعل ما آمرك به فقال الملك : وما هو ؟ قال الغلام : تجمع الناس فى صعيد واحد وتصلبنى على جذع ثم خذ سهما من

كنانتي ثم ضع السهم فى كبد القوس ثم قل باسم الله رب الغلام ثم أرمنى فانك ان فعلت ذلك قتلتنى فجمع الملك الناس فى صعيد واحد وصلب الغلام على جذع وأخذ سهما من كناتة الغلام ووضعه فى كبد القوس ثم قال بسم الله رب الغلام ورماه فأصاب السهم صدغه فرفع يده الى صدغه موضع السهم فمات فردد الناس : آمنا برب الغلام ، آمنا برب الغلام ، آمنا برب الغلام . فأتى الملك فقيل لـه أرأيت ماكنت تحذر والله قد نزل بك حذرك قد آمن الناس ، فأمر بالاخـدود فى أفواه السكك فحذت وأضرم فيها النيران وقال من لم يرجع عن دينه فاقحموه أو قيل له اقتحم ففعلوا حتىجاءت أمرأةومعها صبىفتقاعست عن الاقتحام فقال لها الغلام ياأمه أصبرى فانك على الحق . أنتهى .

ذكر ذلك القرطبىوالخازن والامام الرازى مع أختلاففىعباراتهم هذا ولنبدأ بتفسير الآيات الكريمة بأذن الله تعالى .

(قتل أصحاب الاخدود) الاخدود الخندق (النار) عطـف بيـان للاخدود أى أخدود النار وخندقها حيث حفروا خندقا وملؤها بالنار ليلقوا فيه من لم يرجع عن الايمان بالله (ذات الوقود) صفة النار اى جمعوا لها وقودا كثيرا من الخشب والحطب والحشائش وغـير ذلك (اذ هم عليها قعود) اذ ظرف لقتل أى قتل وأهلك أصحاب الاخـدود فى الوقت الذى كانوا قاعدين على مكان مشرف على النار (وهم على مايفعلون بالمؤمنين شهود) وفى الحالالذى كانوا ينظرون الىمايفعلون بالمؤمنين من القائهم فى خندق النار واحراقهم فيه وكان هلاكهم فى تلك الحالة بأن رجعت النار عليهم فأحرقتهم ونجا المؤمنون من شرهم وذكر هنا معان أخرى ولكن هذا هو الذى يرتاح له البال لان القصة أوردت ليكون وعدا لمؤمنى مكة بالنجاة ووعيدا لكفارها بالهلاك فان

لم يكن المعنى كما أخترنا لايكون وعدا ولا وعيدا • ثم ذكر الله تعالى سبب غضب أصحاب الاخدود على المؤمنين واقدامهم على مافعلوا بهم فقال (وما نقموا منهم الا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد) أى وما كان سبب غضبهم عليهم الا لان المؤمنين آمنوا بالله العزيز الغالب على أمره الحميد المستحق لان يحمد ويؤمن به ويعبد وان من غضب على ذلك ومنع الناس منه يستحق اللعن والقتل فى الدنيا والاخرة والاهلاك من الله تعالى فلذلك أهلكهم (والله عزيز) لايغلبه أحد (حميد) جميل صفاته وفعاله فكل مايفعل من الثواب والعقاب جميل (الذى له ملك السموات والارض) فمن كان كذلك ويملك كل موجود وبيده كل شيء فكيف ينقم الناس على من آمن به وعبده وكيف يعذبهم ويحرقهم بالنار كما وان من له هذه القدرة العظيمة وبيده ملكوت السموات والارض لايعجز عن الانتقام واهلاك من عادى المؤمنين به لانهم آمنوا به (والله على كل شيىء شهيد ، فلا يخفى عليه جرائم المجرمين وضلال الكافرين فيعاقبهم على كفرهم وضلالهم وعلى عدائهم لمن آمن به وايذائهم لهم لامحالة وان عقابه يكون فى الدنيا والاخرة معا او فى الاخرة فقط حسب مايريد ويختار •

تذكرة :

قال القرطبى فى تفسيره (رض) قال علماؤنا : أعلم الله تعالى المؤمنين من هذه الامة فى هذه الآية ماكان يلقاه من وجد قبلهم من الشدائد ، يؤنسهم بذلك وذكر لهم الرسول صلى الله عليه وسلم قصة الغلام ليصبروا على مايلاقون من الأذى والآلام والمشقات التى كانوا عليها ، ليتأسوا ويقتدوا بمثل هذا الغلام فى صبره وتصلبه فى الحق

وتمسكه به وبذله نفسه في سبيل اظهار دعوته ودخول الناس في الدين مع صغر سنه وعظم صبره وكذلك الراهب صبر على التمسك بالحق حتى شق بالمنشار وكذلك كثير من الناس لما آمنوا بالله تعالى ورسخ الايمان فى قلوبهم صبروا على الطرح فى النار ولم يرجعوا فى دينهم · انتهى ماقاله القرطبى وهكذا يجب أن يكون المؤمنون فى أيمانهم واسلامهم والتمسك بدعوته فهل كذلك المؤمنون اليوم ؟ كلا ومن المؤسف أننا غير ذلك فانا لله وانا اليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ·

ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق ·

بعد أن ذكر الله تعالى عذاب المجرمين فى الدنيا وخوف الذين كفروا من أيذائهم للمسلمين بذكر ماجرى على أصحاب الاخدود من المصيبة التى أصابتهم فاهلكتهم ذكر انه علاوة على عذابهم فى الدنيا قد أعد الله تعالى لكل من آذى المسلمين على اسلامهم والمؤمنين على ايمانهم عذابا يوم القيامة هو أشد من عذاب الدنيا فقال وعز من قائل (ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات) بمعنى الذين عذبوا المؤمنين والمؤمنات ليعيدوهم الى الكفر وآذوهم بسبب أن آمنوا وتمسكوا بالاسلام أعد (لهم عذاب جهنم وعذاب الحريق) فيها ان لم يتوبوا عن كفرهم وعن ايذائهم للمؤمنين وكذلك بعد أن ذكر الله تعالى وعده بالنصر للمؤمنين الذين صبروا على الايمان وتحملوا الاذى فى سبيل التمسك بدينهم كما نصر مؤمنى اصحاب الاخدود باهلاك اعدائهم ذكر حالهم فى الآخرة أيضا من الثواب الجزيل والنعيم الافضل فقال جل جلاله :

ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الأنهار ذلك الفوز الكبير ٠

(ان الذين آمنوا) بما جاء به الرسول وقادهم هذا الايمان الى العمل (وعملوا الصالحات لهم جنات) أى أعدت لهم يـوم القيامـة جنات من صفتها أنها (تجرى مـن تحتها) أى مـن تحت أشجـارها (الانهار) اى السواقى لسقيها لكى لا يتعبوا فى سقيها (ذلك) دخولهم فى هذه الجنات (الفوز الكبير) الفلاح العظيم والسعادة التى لاسعادة بعـدها ٠

سؤالان :

الاول : ماهى الاعمال الصالحات التى تدخل الجنة ؟

الجواب : ان طبائع الناس مختلفة وعقولهم متباينة كما وانهـا قاصرة عن أدراك كل ماهو صالح وما هـو حـق فالذى يحسنه بعض العقول يقبحه الاخرون والذى يقبحه البعض يحسنه من عداهم فلذلك لايمكن للانسان أن يعرف الصالح من غيره ويضبط الحسن من القبيح فلذلك احتاج الناس الى بيان لذلك من الله تعالى وتمييزه بين الصالح والفاسد والحسن من القبيح ومن هنا احتاج الناس الى شريعة مـن الله تعالى فأرسل تعالى الرسل ليبلغـوا شـريعته ويميزوا بين الخير والشر والحسن والقبيح والصالح والفاسد حسب ما أمر الله تعالى به فالاعمـال الصالحات ما اعتبرها الله تعالى صالحة وما تكـون حسب شريعته وحسب ما أمر الله وما عداها غير صالح وان عده كـل الناس صالحا فميزان العلم بصلاح العمل وفساده هو الشرع لاغير وان مـن يقول ان العقل يدرك الحسن من القبيح والصالح من الفاسد فلا أقف فى ضده وأنما أقول له نعم انما يدرك ذلك العقل الكامل لاكل العقول

وهو عندالله تعالى اذ له العلم الكامل والشامل لا لغيره ، ثم لو فرضنا ان بعض عقول البشر يدرك ذلك ولكن ماذا يفعل عندما ذهب بعض العقول الى خلافه ومن الصعوبة أن ينقاد عقل لعقل وناس لناس فبقيت الحاجة الى شرع من الله تعالى حيث ينقاد له الناس كلهم ولا يستنكف من الانقياد له الا من ضل فضل الى النار .

الثاني : قد ربط الله تعالى الفوز بالجنة بالايمان والاعمال الصالحة فان قلنا ان الايمان بما ذكر سهل لمن آمن ، ولكن من الذى يستطيع أن يعمل الصالحات كلها وقد ثبت أن العصمة للرسل فقط ؟

الجواب : ان الآية في حق من يفوز بالجنة دون حساب وهم الذين يعملون الصالحات كلها واضحة وأما من عداهم ممن خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا فهم يفوزون بهذا الفوز اما بدون عذاب ان زادت حسناتهم سيئاتهم أو بعد الحساب ان تساوت أو بعد ماتطهروا من الذنوب بالعذاب ان زادت سيئاتهم ولم يحفهم الله تعالى برحمته فثبت أن مجرد الايمان أو مع بعض الصالحات سبب لدخول الجنة والفوز بها ان عاجلا أو آجلا بلا عذاب او بعد العذاب فيكون التقدير ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كلها لهم جنات بدون حساب وتفيد أن غيرهم لهم الجنات بعد الحساب .

ان بطش ربك لشديد . انه هو يبدىء ويعيد . وهو الغفور الودود . ذو العرش المجيد . فعال لما يريد .

(ان بطش ربك لشديد) بعد أن ذكر الله تعالى عذابه في الدنيا والآخرة لمن كفر به وآذى المؤمنين حذر الناس جميعا من عذابه وعقوبته فقال (ان بطش ربك) أى ان أخذ الله تعالى لمن أخذه وعاقبه لشديد لا عقاب أشد من عقابه فليحذر الناس من أخذه وعقابه

بالاجتناب عن المعاصى والبعد عما يوجب سخط الله تعالى وعن أيذاء المؤمنين ثم أثبت شدة أخذه بقوله (انه هو يبدىء ويعيد) فمن كان كذلك فأخذه شديد جدا (انه هو يبدىء) أى هو الذى ينشىء أيجاد كل موجود ويوجده (ويعيد) أى هو الذى يعيد كل موجود يعود بعد فنائه فمثلا هو الذى ينبت النباتات ثم يجعلها حطاما ثم يعيده بعد ذلك مرة أخرى وهذا البدأ والاعادة يتكرر امام عيوننا كل سنة أو فى أقل منها وكل شجر يورق ويثمر ثم يجف ويتيبس ثم يعيده الله تعالى الى الايراق والاثمار وهذه أيضا نراها ونعيش معها الى غير ذلك مما يجرى فى الكون ولو تفكر الانسان فى الكون يرى كل شىء كذلك ايجادا وافناء واعادة بعد أفناء ولكن الانسان غافل عن هذا التفكير ولا تليق به هذه الغفلة ولذلك ذم الله تعالى الغافلين عن التفكير فى ملكوت السموات والارض قائلا (وكأين من آية فى السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون) سورة يوسف . ثم بعدما ذكر ان بطش الله لشديد وأثبت ذلك بقوله انه هو يبدىء ويعيد اهتز قلب المؤمن وخاف من مقته وعذابه فهدأه الله تعالى من روعه وقلل منخوفه فقال (وهو الغفور الودود) غفور للمؤمنين وان مغفرته لهم لوده لهم واحسانه اليهم فقط وليس لشيىء آخر من حاجته الى مغفرتهم أو كما يقول بعض الناس ان ثواب المطيع واجب على الله تعالى (ذو العرش المجيد) اى هو صاحب الحكم والمجد والعظمة فيستطيع أن يعذب الكافرين ويثيب المؤمنين وذلك ليس جبرا عليه ولا واجبا بل هو (فعال لما يريد) أى يفعل ذلك بارادته واختياره ولا يوجد جبر أو قهر ولا وجوب عليه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ثم لما ذكر الله تعالى الرسول والمؤمنين بقصة اصحاب الاخدود وبين ما للكافرين

من عذاب فى الدنيا والاخرة وما للمؤمنين من نصر فى الدنيا وثواب يوم القيامة وذكر مايدل على قدرته على ذلك بما ذكره بعده من صفات القهر والرحمة ذكرهم ايضا بما جرى على فرعون وثمود نتيجة تمردهم على الله تعالى ورسوله وذكر ذلك تسلية للرسول والمؤمنين ووعدا لهم بالنصر والثواب ووعيدا للكافرين بالدمار والعذاب فى الدارين فقال :

هل أتاك حديث الجنود • فرعون وثمود • بل الذين كفروا في تكذيب •

والله من ورائهم محيط • بل هو قرآن مجيد • في لوح محفوظ •

(هل أتاك حديث الجنود فرعون وثمود) قد أتاك نبأ ماجرى على فرعون وثمود فتسل بذلك فأنه يصيب الكافرين من قومك مثل ما أصابهم وكان عليهم أن ينتهوا عن كفرهم وتمردهم وأن يؤمنوا حينما سمعوا بهذه الامم وأخبروا بما أصابهم ولكنهم لايؤمنون (بل الذين كفروا) مستمرون (فى تكذيب) لك ولكن لاتحزن على كفرهم ولا تأس على تمردهم فأنهم ينالون عقابهم (والله من ورائهم محيط) أى ان مثل الله تعالى فى قدرته عليهم كمثل جيش أحاط بقوم لايفلتون من سطوته فكذلك هؤلاء لاينجون من سطوة الله تعالى وسوف يأتيهم يومهم الذى يحيط بهم ويعذبهم فلا يكونن أحد فى شك من هذه الاحاطة بهم فأن هذا الخبر ليس من قبيل أخبار الكهنة وأهل العرافة والقيافة وغير ذلك مما يصدق مرة ويتخلف أخرى (بل) هذا الخبر (هو قرآن مجيد) (فى لوح محفوظ) أى قرآن فى لوح حفظ من الجن والشياطين من ادخالهم الاكاذيب والاباطيل فيه كما كانوا

يدخلونها فى أخبار الكهنة والسحرة والمشعوذين • هـذا وان قصـة فرعون قد أشير اليها فى سورة النازعات وسنبين لك قصة ثمود فـي سورة الشمس ان شاء الله تعالى •

لأقسم بالسما ذات البروج
اذ الانسان ذو عقل لجوج
هـداه الله للخـير يسقـه
لـروضات ملىء بالأريـج
ليعمـل صالحاً ويطيـع رباً
يجنبه مـن النار الأجيـج
فيركض دائماً نحـو المعاصي
ويستبـدل نعيماً بالضجيج
«حسين» يكتب خـير الكلام
ويعمل مثل يأجوج ومأجوج
بفـوز يطمع والفـوز خير
ويستدعي بأدعيـة الحجيج

« سورة الطارق »

« مكية آياتها سبع عشرة نزلت بعد سورة البلد »

بسم الله الرحمن الرحيم

والسماء والطـارق • وما أدراك ما الطـارق • النجم الثاقب • ان كل نفس لما عليها حافظ •

(والسماء والطارق) الطارق من يأتي ليلا سمى النجم به لانه يظهر ليلا (وما أدريك) ما الذى أعلمك (ما الطارق) ان الطارق

ماهو ؟ والمعنى انك لاتعلم ذلك لان العرب ماكانـوا يسمون النجـم بالطارق قبل نزول القرآن لان هذا الاسم للنجم حـدث بعـد نـزول القرآن لان القرآن هو الذى سماه به كما قال تعالى (النجم الثاقب) أى ان الطارق هو النجم الذى يثقب ظلام الليل بنوره (ان كل نفس لما عليها حافظ) ان قرىء لما بتشديد الميم فان نافية ولما بمعنى الا أى لاتوجد نفس الا وعليها حافظ يحفظ ويسجل اعمالها لتحاسب يوم القيامة حسب ماحفظه وسجله هذا الحافظ وان قرىء بتخفيف الميم فان مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن المقدر تقديره ان الشأن ان كل نفس لعليها حافظ والتأنيث باعتبار ان الشيى عبارة عن النفس ومآل كلا التقديرين واحد وهو أن كل نفس من نفوس البشر عليها حافظ ومراقب يسجل ويحفظ أعمالها .

تنبيـه :

أقسم سبحانه وتعالى ظاهرا بالسماء والطارق على ان كـل نفس لما عليها حافظ ولكنه بـرهن تعـالى وامتـدل بالسماء والطارق على هذا الخبر وصدقه وحقيته ، وصـورة الدليـل أن هـذه السماء الرفيعة الواقفة فى الفضاء وهذه النجوم التى تسير وتسبح فى هذا البحر المتلاطم من الجو ووضع كل واحد من هـذه النجوم بخاصيـة وعمل وحركة وتدبير لامر الكون وكونها مسخرة ودائبة عـلى عملهـا فهذا النظام يشهد ويدل على أنه لابد وأن يكون لهذا الصنع صانـع حكيم وخالق قدير عليم وهو الله وأن الله الذى يقدر على خلق هـذا النظام ليسهل عليه جدا احياء الانسان بعد الموت ولا يصعب عليه وان الحكيم الذى صنع هذا النظام الكونى لايليق بحكمته أن لايضع نظاما تكليفيا لمن سخر له هذه السموات وهذه النجوم وهـذا الكون وهـو

الانسان بل وضع له نظاما تكليفيا وشريعة وفرض عليه العمل بها والحياة على ضوئها وتعليماتها ومن شأن كل شريعة أن يثاب الممتثل والمطبق لها ويعاقب المنحرف والتارك لها وللعمل بها وحيث لايوجد هذا الثواب والعقاب كليا فى الدنيا فلابد أن يأتى يوم يحيا فيه البشر كله وينال كل صاحب خير ثواب خيره وكل عامل شر عقاب شره تحقيقا لعدل الله تعالى وأن كل انسان لابد وأن يكون عليه مراقب يسجل عليه أعماله ويحفظها لذلك اليوم ليحاسب ويثاب أو يعاقب حسب ذلك المسجل المحفوظ ليكون حجة عليه ٠

فلينظر الأنسان مم خلق ٠ خلق من ماء دافق ٠ يخرج من بين الصلب والترائب ٠

(فلينظر الانسان مم خلق) فليتفكر الانسان وليتذكر أنه من أى شيىء خلق (خلق من ماء دافق) أى وجد من ماء يخرج بتدفق وحركة (يخرج من بين الصلب والترائب) يخرج هذا الماء الذى يتولد منه الانسان من ماء الرجل الذى يخرج من الصلب ومن ماء المرأة الذى يخرج من ترائبها أى اضلاع صدرها فمجموع الماء الذى يخلق منه الانسان يخرج من بين صلب الرجل وترائب المرأة أو ان كلا من المائين يخرج من بينهما وهذا يعرفه الاطباء الاخصائيون بالجنس ٠ أمر الله تعالى الانسان أن يتفكر فيما خلق منه وهو هذا الماء الرقيق الضعيف النتن المهين لأمرين :ـ

الامر الاول :

أنه بعدما تفكر الانسان فى خلق السموات والنجوم فلم يهتد الى معرفة الخالق وقدرته والى أنه حينما قدر على هذا الخلق فعلى اعادة الانسان بعد الموت أقدر فاذا لم يهتد بهذا فليتفكر فى ماخلق منه هذا

الانسان العجيب والذى هو اعجب من كل مخلوق أنه خلقه الله تعالى من هذا الماء الذى ذكرناه ووصفناه فمن قدر علـى خلق الانسان من هذا الماء وتربيته في ظلمة الرحم لقدير على ان يخلقه مرة أخرى وفى ظلمة القبر من مواده الاصلية واعادة الحياة اليه وبذلك التفكير يصل الانسان الى الاعتراف بأن يقول (إنه) أى الذى خلقه من هـذا النوع من الماء (على رجعه) على خلقه مرة أخرى واعادته الى الحياة بعد الموت (لقادر) لمستطيع ٠

الامر الثانى :

ان الانسان اذا طغى وتكبر واستبـد وظلم الناس وعصى ربـه فليتفكر فى أصل خلقته مم خلق ليعلم ضعفه وحقارته أمام الله تعالى وعدله فبذلك يرجع عن كبريائه واستبداده وغطرسته لانه يعلم أن الذى خلقه من هذا الماء لقادر أن يعيده ويحاسبه عـلى هـذا التكبر والظلم والاستبداد والعصيان والخروج عن شريعة خالقه ٠

حكايــة :

يحكى أن احد الامراء مر بساحة كان يلعب فيها الصبيان فلما رأوه تفرقوا كلهم خوفا منه الا صبيا واحدا وقف فى مكانه ولم يفر فلما وصله الامير قال : الا تعرفنى ولماذا لم تفر مثل زملائك قال : بلى أعرفك قال : من أنا فاجابه : لقد كنت نطفة قذرة وتمشى وفى بطنك عذرة وتموت وتصير جيفـة مـذرة فلماذا أفر منـك ولمـاذا كبريائك هذه فتعجب الامير من جرأته وذكائه ومشى حافظا لنصيحته فلم يتكبر بعد ٠

انه على رجعه لقادر ٠ يوم تبلى السرائر ٠ فماله من قوة ولا ناصر ٠

(انه على رجعه لقدار) ذكرنا تفسيره (يوم) منصـــوب بفعـــل محذوف يدل عليه انه على رجعه لقادر فالتقدير يرجعه (يوم تبلى) أى تكشف (السرائر) المخفيـــات مـــن الاعمال والعقائد والنيـــات (فماله) أى ليس للانسان فى ذلك اليوم (من قوة) تنقذه من عذاب الله (ولا ناصر) تنصره وتنجيه ان استحق العقاب • ثم ذكر الله تعالى دليلا ثالثا أنفى من الاولين لاستبعاد الانسان وتعجبه من الاحياء بعد الموت فقال :

والسماء ذات الرجـع • والأرض ذات الصدع • انه لقول فصل • وما هو بالهزل • انهم يكيدون كيداً • واكيد كيداً • فمهل الكافرين أمهلهم رويدا •

(والسماء ذات الرجع) الرجع المطـــر أى ان السماء التى تاتى بالمطر وان المطر يتكون من ماء البحر فأن ماء البحـــر لينحمى فيصير بخارا فيصعد ويصير سحابا ثم يبرد فيعود ماء وينزل الى الارض فهذا اعادة بعد الفناء فان الماء فنى وصار بخارا ثم فنى البخار وصار ماء فكل ذلك اعادة الى أصل الشيىء بعد فنائه وما القيامة الا اعـــادة الانسان الى أصله بعد فنائه وموته (والارض ذات الصدع) المـــراد بالصدع النباتات فان الصـــدع بمعنى الشق والنبـــات يشق الارض فيخرج منها فسمى صدعا • أستـــدل الله تعـــالى بالارض التى تنبت النباتات على عدم استحالة الاحياء بعد الموت لان النباتات كلها تخرج من الارض فتعلو وتزيد وتثمر ثم تجف وتيبس وتصير حشيشا وتموت وتضربه الرياح فتذهب وتبلى ثم يخرج ذلك النبات فى الربيع عـــلى بذره كما كان ، اليس هذه حياة بعد موت واعـــادة بعد فناء فكذلك الانسان خرج من الارض لان الاقوات والاطعمة كلها تخـــرج مـــن

الارض والنطفة من النباتات ثم تصير أنسانا ثم يموت ويعود ترابا فاذا أعيد على بذره وأصله من التراب بعد الموت حيا فلا عجب فيه ولا حق للانسان في ان يستبعد ذلك فاذا تفكر الانسان فى النباتات وفى المطر وفى كل شيىء وعلم أن كل شيىء عود على بدأ واعادة بعد فناء وتبديل وتغيير وتحول من حال الى حال ثم العود الى أول الحال ليصدق بالحياة بعد الموت ويقول (انه) القرآن الذى يقول بالحياة بعد الموت (لقول فصل) فاصل بين الحق والباطل (وما هو بالهزل) بل هو حق وصدق ثم بعدما ذكر الله تعالى هذه الدلائل التى كل واحد منها يكفي لان يؤمن به ويقتنع به الانسان الا أن كفار مكة أصروا على كفرهم وتكذيبهم للرسول فى الاخبار عن الاحياء بعد الممات والحساب بعد الوفاة وكانوا يريدون في كل المحاولات صد الناس عن الايمان بالرسول وبما جاء به فبذلك حزن قلب الرسول صلى الله عليه وسلم وضاق صدره فسلاه الله تعالى وصبره ووعده بالنصر عليهم فقال (انهم يكيدون كيدا) لصد الناس عن دعوتك ولايذائك وأيذاء من تبعك ولطمس عقيدتك وشريعتك ودينك الذى أنزل الله تعالى (وأكيد كيدا) وانى اقدر تقديرا لنصرك عليهم ولخذلانهم ولاعلاء كلمتك ولسلطان عقيدتك ودينك فلا تحزن وأصبر فأن النصر لك والهزيمة لهم (فمهل الكافرين) فاذا كان الامركذلك امهل الكافرين وأصبر مدة (أمهلهم رويدا) أمهالا قليلا فانه يقع بهم مايخذلهم ويخزيهم وقد وقع ذلك فى حرب بدر وحنين وفتح مكة وقد أنجز الله وعده ونصر رسوله تنفيذا لما قال (هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) وهكذا سجية الكافرين يعملون دائما لطمس معالم الاسلام ولصد الناس عن الاسلام ولاذلال الاسلام والمسلمين • الا أن العاقبة

للمسلمين ان عملوا بصدق واستقاموا وصبروا وما انحرفوا عن حقيقة الاسلام حيث وعدهم الله بذلك فقال (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) فاليوم حينما نرى الاسلام والمسلمين في ذلة فانما هو لابتعادهم عن الاسلام وانحرافهم عنه او لامتحانهم كما قال تعالى (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله الا ان نصر الله قريب) وقال أيضا (أم حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) وقال أيضا (ماكان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب) فهذا أمتحان فطوبى لمن نجح وياخسارة لمن رسب فخسر الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين (ربنا لاتزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة أنك انت الوهاب)

والسماء والطارق وخالق الحقائق
سيأتي يوم فيه عجائب الدقائق
ربي سيبعث فيه جميع ذى الخلائق !
نار سعيرة لمن للشر من ملاحق
(حسين) يدعو ربه ويرتجي من خالق
جنات عدن تملاء (١٠) بوردة الشقائق

« سورة الأعلى »

مكية نزلت بعد التكوير وآياتها تسع عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح اسم ربك الأعلى (١) الذي خلق فسوى (٢) والذى قدر فهدى (٣) والذى أخرج المرعى (٤) فجعله غثاء أحوى (٥)

(سبح) كثيرا مايرد فى القرآن الكريم هذه الالفاظ كثيرة وهو فعل أمر من التسبيح وسبح فعل ماض منه ومضارعه يسبح وسبحان فما معنى هذه الالفاظ فنقول ان هذه الالفاظ مشتقة من السبح وهو المشى على الماء ثم أستعمل مجازا فى سرعة السير لان السابح يسرع فى مشيه على الماء قال الشاعر فى مدح فرس له :

وتصعدنى فى غمرة بعد غمرة
سبوح لها منها عليها شواهد

فسبوح بمعنى سريع المشى وقال تعالى (كل فى فلك يسبحون) أخبارا عن الشمس والقمر بانهما يجريان جريا سريعا فى فلكهما ثم استعمل فى البعد لان المشى السريع سبب للبعد والابتعاد من المكان الذى مشى منه الماشى ثم استعمل فى النزاهة لان من ابتعد عن شيىء تخلص وتنزه منه فسبح الله أى نزهه وسبحه أى نزهه وسبحان الله أى النزاهة لله (فسبح اسم ربك) أى نزه اسم ربك وليس المعنى على الحقيقة لان اسم الله ليس غير منزه فتنزهه بل معناه اعتقد بنزاهة اسم ربك هذا . وقد تكلم المفسرون على كلمة الاسم هنا وكل ذكر له معنى . ولكن الذى يرتاح له البال ان الاسم فى الاصل بمعنى العلامة وسمى الاسم أسما لانه علامة على مسماه ويعرف به والذى يعرف الله تعالى به هو العالم والموجودات وان هذه الموجودات لاتكون الا بالقدرة القاهرة فالقدرة التى من أثرها هذه الموجودات هو اسم الله اى علامة على وجوده وعظمته فالمعنى هنا اعتقد بنزاهة قدرة الله تعالى عن أن تعجز عن أى شيىء أراده . وحيث ان هذه السورة نزلت بعد التكوير وان الله تعالى أخبر فى أولها بأن الشمس تكور وتزال والكواكب تنتثر وتزول والجبال تسير وتصير هباء منثورا وان العشار

تعطل والوحوش تجمع والبحار تملأ نارا بعــدما امتــلاءت ماء وان الارواح ترجع الى أبدانها والمؤودة تحيا وتسئل عن سبب قتلها وينتقم من قاتلها وأن صحف الاعمال توزع والسماء تقلع والجحيم تسعــر والجنة تدنو من المؤمنين وأن كل أنسان يجــزى حسب عمله فحينما يسمع الانسان هذه الحوادث العظيمة وهذا الانقلاب فى هذا الكون يتعجب من ذلك ويحتار سيما وان العقول المريضة والقاصرة تستبعد ذلك ولا تؤمن بهذا الانقلاب الكوني وهذا التحول الوجودى فلذا قال تعالى (سبح اسم ربك الاعلى) اى اعتقد بنزاهة قدرة ربك الاعلى عن ان تعجز عن احداث هذه الحــوادث العظيمة وان تقلب وتغير هــذا الكون وتبدل السموات بغير السماوات والارض غير الارض فأن قدرة الله تعالى لاتعجز عن أى شيىء أراده سبحانه وتعالى ثم برهن عــلى كمال هذه القدرة وأنها لاتعجز عن مثل هذه الامور فقال (الذى خلق فسوى) أى خلق كل شيىء فسواه على الحالة والصورة التى أرادها والكمية والكيفية التي خصص لها (والذى قدر فهدى) أى الــذى عين لكل شيىء مقدارا واموراً واعمالا فبعد ذلك هدى كل شيى الى ماهو منتخصصه وما يقوم ويبقى ويعيش به وما هو من عملهوماخلق من أجله (والذى أخرج المرعى) أى الذى أنبت هذه النباتاتالمتعددة التى لاتحصى فجعله مرعى للانسان والحيوان والحشرات وكل ذى روح (فجعله) أى فبعد مدة جعل هذه النباتات كلها (غثاء) حشيشا يابسا (أحوى) أسود فتضربه الرياح وتزول وتصير ترابا ثم بعــد ذلك ترجع هذه النباتات وتنبت مرة أخرى وفى كل سنة يتكرر هــذا الخلق والفناء وهذا الموت والاحياء فالذى يقدر على خلق مثل هــذه الاشياء وهى أمور بديهية معلومة للعيان ولا ينكرها أحــد لايصعب

عليه هذه الحوادث العظيمة وهذا الانقلاب الكونى والاحياء بعد الموت والجمع والحساب بعد الفوت فان مايجرى فى الدنيا وتعيشون معه وترونه كله بدأ وأعادة وتغيير وتبديل وايجاد وافناء ثم اعادة وابداء مرة أخرى وما هذا التبديل الكونى والحياة الاخرى الا نوع من مثل ماترونه يحدث ويجرى دائما وبصورة مستمرة . ثم أخبر الله تعالى سابقا فى سورة التكوير بأن هذا القرآن نزل به جبريل الى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وان الرسول بشر سيما وأنه أمى اختلج بباله ورأى من الصعوبة أن يحفظ هذا القرآن ويتعلمه فان من لم يتعلم فى الصبا كيف يتعلم فى الكبر فقال تعالى :

سنقرئك فلا تنسى ﴿٦﴾ الا ماشاء الله انه يعلم الجهر وما يخفى ﴿٧﴾

(سنقرئك فلا تنسى) أى انا نحن نقرئك هذا القرآن فتتعلمه وتحفظه فى قلبك فلن تنساه أبدا (الا ماشاء الله) أن ينسيك مايوحى اليك فتنسى ذلك الشيىء بارادة من الله تعالى وذلك لحكمة أرادها الله تعالى وذلك مثل ماصلى صلاة العصر مرة ركعتين فسلم فقال له أحد الصحابة أقصرت الصلاة يارسول الله أم نسيت قال صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم : كل ذلك لم يكن أى لم تقصر ومانسيت قال الصحابى : بل بعض ذلك كان ثم سأل الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم الحضور فقالوا : قد صليت ركعتين فقام وصلى ركعتين أخريتين ثم سلم تتميما للصلاة ثم سجد سجدتين للسهو فأنساه الله تعالى ذلك لتشريع أن من نسي شيئا من الصلاة فتذكره منقريب بنى على مافعل ولا تستأنف ولكن اذا طال الفصل فيستأنف الصلاة ويؤديها كاملة

ولتشريع سجدتي السهو لمن حصل منه خلل غير مبطل للصلاة · وامثال ذلك جرى ومذكور في كتب الحديث والسيرة (انـه يعلم الجهـر وما يخفى) فلا يصعب عليه اقرائك لما أوحى اليك وأن يقدرك عنى حفظه فلا تنساه الا ما أراد هو أن تنساه ولا حرج في ذلك عليـك لانه انما يكون ذلك لحكمة وبارادة من الله تعالـى وبذلـك استعـد الرسول لقراءة القرآن وحفظه فحفظه ولم ينسه ·

ثم ان الله تعالى وصف القرآن في سورة التكوير بأنه ذكـر فعلم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم أن من واجبه أن يذكـر بـه الناس ويبلغه اليهم ويعظهم به فصعب ذلك عليه حيث فكر في نفسه كيف يعظ هذا القوم الجاهلين وكيف يذكر هؤلاء الغافلين وكيـف يدعو هؤلاء المنكرين الى اتباع القرآن واتباعه ان هذا الامر صعب جدا ولا يتصور منهم التذكر ولا الانقياد لهذا القرآن فلا فائدة لهذا التذكير ولا ينفعهم الوعظ والارشاد فقال تعالى تطمينا له وتبشيرا بنجاحـه ·

ونيسرك لليسرى ﴿٨﴾ فذكـر ان نفعت الذكـرى ﴿٩﴾ سيذكر من يخشى ﴿١٠﴾ ويتجنبها الأشقى ﴿١١﴾ الذي يصلى النار الكبرى ﴿١٢﴾ ثم لايموت فيها ولا يحى ﴿١٣﴾

(ونيسرك لليسرى) ونسهل لك الطـريقة السهلة لاداء هـذا الواجب فلا تيأس بل (فذكر ان نفعت الذكرى) ان مخففة من الثقيلة فتعمل في ضمير الشأن المقدر وتقديره [فذكر (انه)] أى ان الشأن أنه تنفع الذكرى ثم فصل كيفية نفع الذكرى فقال (سيذكر) يتعظ وينقاد لامرك ويؤمن بك (من يخشى) أى من يخاف العاقبة السيئة من الكفر والفسق والفجور والاثام (ويتجنبها الاشقى) يبتعد عـن

الذكر (الاشقى) الذى بلغ من الشقاوة حدا لاينفعه الموعظة حيث لايخشى عاقبة ولا يستحى من فاحشة ولا يرعوى عن الضلالة ثم أنذر من كان بهذه الصفة فقال (الذى يصلى) يدخل (النار الكبرى) الاكبر من كل نار (ثم) بعد الدخول فيها (لايموت فيها) ليستريح منها ولا يحيا حياة طيبة يستفيد منها بل يحيا حياة الموت خير منها ويتمناه صاحبها كما قال تعالى فى سورة الفاطر الآية ٣٦ (والذين كفروا لهم نار جهنم لايقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك يخزى كل كفور) ٠

قد أفلح من تزكى ٠ (١٤) وذكر اسم ربه فصلى ٠ (١٥)

قد فسر بعض المفسرين (من تزكى) بمن أدى زكاة فطر رمضان وفسر (ذكر اسم ربه فصلى) بمن كبر يوم العيد فصلى صلاته وهذا لاينسجم مع حقيقة الدين فان الدين ليس زكاة الفطر وصلاة العيد فقط وليس الفلاح مربوطا بهما فقط كما لايخفى وفسره بعضهم (من تزكى) بمن أدى الزكاة وفسر (وذكر اسم ربه) بالاذان والاقامة فصلى الصلوات المفروضة وهذا كالاول فان الدين ليس عبارة عن الزكاة والصلاة فقط وليس الفلاح مربوطا بهما فحسب بل ان الفلاح مربوط باجتناب المناهى كلها واداء الواجبات كلها والا فمن الناس من يؤدى زكاة الفطر ويكبر فى العيد ويصلى صلاته ثم يخوض فيما يريد ويقول قد ضمنت لى الفلاح على القول الاول ٠ ومن الناس من يؤدى زكاة ماله ويصلى الفرائض الخمس ثم ينهمك فى كل مايريد ويقول قد ضمنت لنفسى الفلاح على القول الثانى ٠ فالصحيح ان (من تزكى) معناه تطهر من كل ماينهى عنه الاسلام ويترك كل ذنب واثم ومعصية فبذلك يتخلى عن الرذائل كلها ومعنى (ذكر اسم

ربه) أى ذكر قدرة وعظمة ربه (فصلى) فخشع وتضرع اليه وأدى كل ما أمر به وأوجب عليه وبذلك يتحلى بالفضائل فيحصل لـه الفـلاح الكامل وهو الفوز بالنعيم دون عذاب وحساب وأما من تخلى عن بعض الرذائل وتحلى ببعض الفضائل فهو يحاسب ويعامل معه وفق الحساب فان زادت حسناته أو ساوت سيئاته فهو فى الجنـة دون عـذاب وان نقصت فيعذب بقدر مازادت سيئاته ليتطهر فيدخل الجنة وهذا للمسلم أما الكافر فيدخل فى جهنم دون حساب كما قال تعالى (أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامـة وزنا . ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتى ورسلى هزوا).

ثم بعد ماذكر الله تعالى أن طريق الفلاح هو التطهر عن مخالفة الشرع المبين والايمان بقدرة الله المتين والخشوع له باداء ماوجب عليه فى الدين ذكر حال المخاطبين وهل سلكوا هذا السبيل فنفى ذلك وذكر سبب عدم السلوك لهذا السبيل المستقيم فقال :

بل تؤثرون الحياة الدنيا ١٦ والآخـرة خير وأبقى ١٧
ان هذا لفي الصحف الاولى ١٨ صحف أبراهيم وموسى ١٩

(بل تؤثرون) تختارون (الحياة الدنيا) فلذلك أنحرفتم عن هذا السبيل بسبب الخوض فى شهوات الدنيا ونسيتم كمالات الآخرة واخترتم اللذات الفانية فتركتم سبيل اللذات الباقية وقد أخطأتم فى هذا الاختيار فان الحال هو (والآخرة خير) من الدنيا لانها نعمـة محضة لا كدورة فيها ولا تعب بخلاف نعم الدنيا فلا تحصل الا بتعب ولا تصفو عن الكدرات والغصص كما وان نعم الآخرة (أبقى) فأنها لاتزول ولا تفنى بخلاف نعم الدنيا فانها مؤقتة بوقت قصير مدة بقاء الانسان فيها والتى لاتتجاوز الا سنين معدودة كل حسب ما قدر له

من أمد الحياة فيفرق بينه وبين الدنيا هادم اللذات ومفرق الجماعات وهو الموت (ان هذا) الوعظ والارشاد السابق من الفلاح بالتخلي والتحلي وان الآخرة خير وأبقى من الدنيا موجود (لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى) على نبينا وعليهما الصلاة والسلام ذكر الله تعالى هذا لأمرين :

الاول :

أن يكون معجزة لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فانه على بعده من الكتب والقراءة والعلم بالتوراة والانجيل والصحف وكونه أمياً يخبر بما في صحف ابراهيم وموسى كما هو الموجود فيها فلو لم يكن هذا وحيا من الله تعالى كيف أمكن له الاخبار بذلك فثبت أنه وحي وأنه رسول .

الثاني :

أن المشركين كانوا يعتزون بابراهيم عليه السلام واليهود كانوا يعتزون بموسى عليه السلام وكان صراع الرسول مع هاتين الطائفتين فيقول تعالى فهذا مايقوله صحف ابراهيم أيها المشركون وما يقوله صحف موسى أيها اليهود وان مايدعو اليه محمد هو ماكان يدعو اليه ابراهيم وموسى فلو صدقتم في اعتزازكم بهما لآمنتم واتبعتموه كما أمركم أبراهيم وموسى في كتابهما ولكنكم لاتصدقون في اتباعهما الا فيما تهوى اليه انفسكم وفيما يجلب اليكم المنفعة في الدنيا وما أظلم من كان كذلك كما قال تعالى (أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزى في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون) هكذا كان اليهود يعملون بالتوراة فيما يوافق هواهم ويتركون العمل به فيما عدا ذلك

ولذلك لعنهم الله تعالى فى القرآن ونحن فى حين أننا نلعنهم ونكرههم فقد عملنا ماعملوا وأتصفنا بما اتصفوا بـه حيث تركنـا العمـل بالقرآن في كل مايخالف هوانا ونستعمله حسب مصالحنا وقد تركناه ورآءنا ظهريا・وجعلناه نسيا منسيا・ وصدقفينا قولالرسول(صلىالله تعالى عليه وسلم (لتتبعن سنن من قبلكم حتى لو دخلوا حجـر ضب لدخلتموه قالوا : أو اليهود والنصارى قال : فمن) فنقول : الاهـل نستحق اللعن كما لعنوا الجواب : نعم الا قليلا ممن رحمه الله تعالى وقليل ماهم فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ・ ربنا لاتزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب ・ ولا يخفى مناسبة هذه السورة مع ما قبلها فأنها أيضا ذكر فيها مجيىء يومالقيامة والحياة بعد الموت وان هذا القرآن أنزل الى الرسول ليفصل به بين الناس فقابل مع كل فقرة من السابقة المناسبة لها من اللاحقةكالنسبة للتكوير والله تعالى أعلم ・

سبحت ربى باسمـك الاعـلى — كـى تحشرنى بخـير أولـى
ربـــى خلقــت جمعـا كثـيرا — بينــت لهـم طـريق الهـدى
ففيهـم جمـع كثـير هــدى — وفيهــم جمـع كثير غـــوى
ربــى جنبنى مــن قلت فيهـم — بــل تؤثرون الحيــاة الدنيـا
وهيىء لنـا فــى هــذي خيرا — وفى الآخــرة خـيراً وأبقـى
واهــد مــن رين عــلى قلبـه — فانــت الهـادى وفيـك الغنـا
كــن « ياحسين » ممن هــداه (١٩) وسبـح باسـم ربـك الاعـلى

« سورة الغاشية »

مكية نزلت بعد الذاريات وآياتها ست وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

هل أتاك حديث الغاشية ・ وجوه يومئذ خاشعة ・

عاملة ناصبة • تصلى ناراً حاميـة • تسقى من عـين آنية • ليس لهم طعام الا من ضريع • لايسمن ولا يغنى من جوع •

(هل أتاك) الاستفهام ورد للتقرير فيكون المعنى قـد أتـاك (حديث الغاشية) أى خبر الغاشية وهى القيامة سميت بها لانها تغشى الناس بهولها جميعا الا من شاء الله تعالى /وان هـذه السورة نزلت بعد الذاريت وقد أخبر تعالى فى ألذاريات بمجىء يوم القيامة الا أنه لم يذكر هناك تفصيل حال الناس فى ذلك اليوم كما وقد سبقت هذه السورة سورة الاعلى وقد ذكر فيها أن القيامة تأتى ولم يفصـل فيها أيضا أن أحوال الناس كيف تكون فلذا قال تعالى (هـل أتاك حديث الغاشية) وفصل فيما بعد بأن أحوال الناس تكون فيها نوعين :

الاول : فى بؤس وشقاء كما قال (وجـوه يومئذ) أى يـوم أن جاءت الغاشية (خاشعة) ذليلة (عاملة) وعملها جر السلاسل التى قيدوا فيها (ناصية) متعبة من ذلك العمل (تصلى) أى تدخـل تلك الوجوه (نارا حامية) شديدة الحرارة فأن حرارة نار جهنـم تفـوق حرارة نار الدنيا بسبعين درجة (تسقى) اذا عطشت وطلبت المـاء (من عين آنية) أى حارة شديدة يغلى ماؤها فتقطع الامعـاء حـين يشربونه (ليس لهم طعام) فى جهنم (الا من ضريع) هو شوك تأكله الابل ناعما (لابسمن) ذلك الطعام (ولا يغنى) أى لايدفـع شيئا (من جوع) •

الثانى : فى نعمة وسعادة كما ذكرهم الله تعالى بقوله :

وجوه يومئذ ناعمة • لسعيها راضية • في جنـة عالية • لاتسمع فيها لاغية • فيها عين جارية • فيهـا

سرر مرفوعة • وأكواب موضوعة • ونمارق مصفوفة • وزرابي مبثوثة •

(وجوه يومئذ ناعمة) بشوشة (لسعيها) جزاء سعيها الذى وهبها الله تعالى لهم (راضية) مغتبطة بذلك الجزاء ، ثم فصل ذلك الجزاء الذى رضيت منه تلك الوجوه فقال جل وعلا (فى جنة عالية) فى جنة مرتفعة مكانها او مرتفعة منزلتها ورتبتها او مرتفعة فى المكان والمنزلة والرتبة معا (لاتسمع) تلك الوجوه أو أنت أيها المخاطب (فيها) أى فى هذه الجنة (لاغية) نفسا لاغية تلغو أى تتكلم بالكلام الذى يكرهه السامع وهذا كناية عن عدم وجود اللغو والكلام البذىء فى الجنة كما قال تعالى (لايسمعون فيها لغوا ولا تأثيما الا قيلا سلاما سلاماً) (فيها) أى توجد فى الجنة (عين جارية) والمراد بالعين الجنس فتشمل العيون الكثيرة الموجودة فى الجنة • ووصف العين بالجارية لان من العيون مالاتجرى كعين زمزم والجارية أصفى من الراكدة وأجمل (فيها سرر) جمع سرير وهو التخت للقعود عليها (مرفوعة) من رفعة السمك او الرتبة او كلتيهما (وأكواب) للماء (موضوعة) قريبة من المؤمن تنالها الايدى بدون تعب (ونمارق) جمع نمرقة وهى التى يستند ويعتمد عليها الجالس من الوسائد (مصفوفة) على تلك الاسرة (وزرابى) فرش ثمينة (مبثوثة) مفروشة على الاسرة او فى الغرفة او فى الموضعين معا • ثم بعد ما ذكر الله تعالى ما أعد للمجرمين فى جهنم وما يتمتع به المؤمنون فى الجنة تعجب الكفار من ذلك وانكروا وقالوا من آين هذه الجنة العالية والعيون الجارية وكيف صنعت تلك السرر المرفوعة والاكواب الموضوعة والنمارق المصفوفة والزرابى المبثوثة فقال تعالى :

أفلا ينظرون الى الأبـل كيف خلقت • والى السماء كيف رفعت • والى الجبال كيف نصبت • والى الأرض كيف سطحت •

(أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت) ليعلموا عظمة قـدرة الله تعالى وان من له هذه القدرة التى خلق بها هـذا الحيوان العجيب فى الدنيا لايصعب عليه خلق هذه الاشياء فى الآخرة (والى السماء كيف رفعت) فمن خلق هذه السماء الرفيعة فى الدنيا لقدير علىخلق هذه السرر المرفوعة فى الآخرة ولا يصعب عليه ذلك (والى الجبال كيف نصبت) فمن نصب هذه الجبال فى الدنيا هو الذى ينصب هذه الاكواب الموضوعة ويخلق هذه الاشياء فى الآخرة (والى الارض كيف سطحت) فالذى خلق هذه الارض وخلق فيها أنواع النبـات والثمار والعيون والحيوانات لايصعب عليه أن يخلق ماذكر من النعم للمؤمنين والنقم للكافرين فى الآخرة •

ملاحظـة :

أراد الله تعالى بالابل عالم الحيوان كله فالمعنى ان الذى قـدر على خلق هذه الحيوانات المتعددة والعجيبة فى الدنيا لقدير أن يخلق هذه الاشياء فى الآخرة أيضا وأراد بالسماء العالم العلوى كله مـن الافلاك والنجوم والكواكب والشموس والاقمار فمن استطاع أن يخلق هذا العالم العظيم العجيب فى الدنيا لايصعب عليه خلق هذه الاشياء فى الاخرة وأراد بالجبال العالم المتوسط بين العالم العلوى والعالـم السفلى وأراد بالارض هذه الكوكبة التى يعيش عليها الانسان وما فيها من عيون وأنهار ونبات وأشجار وحبوب وثمار ومن فرش وبسط ووسائد متنوعة فلم لايتفكر المنكرون فى هذه الاشياء كلها وان من

قدر على خلقها فى الدنيا لايصعب عليه أن يخلق هذه الاشياء فى الجنة يوم القيامة وبذلك يهتدون الى الحق فيؤمنون ولا يتعجبون منه ولا ينكرونه ، وخص من عالم الحيوان الابل بالذكر لان فائدة الحيوان أما الركوب عليها او الحمل عليها او الاكل من لحمها او الشرب من حليبها والابل فيها هذه الفوائد كلها فلذلك نابت مناب الحيوانات كلها وليس غيرها مثلها فى هذه الامور كلها ·

تنبيـــه :

ليس المراد بالنظر فى هذه الاشياء مجرد النظر والرؤية بالعين فأن ذلك يشترك فيها الانسان والبهائم بل للنظر درجات فالنظر بالعين ثم الكشف والتحليل فالامر بالنظر فى كيفية خلق الابل بالنسبة للعامى هو أن ينظر اليها والى جسمها وقوتها فى الحمل وغير ذلك وبالنسبة للخاصة هو تشريح جسمها ليدرك مافيها من عظم وعصب ورباط وكيف ربط بعضها ببعض وما يجىء عليها من أمراض وما يفيدها من علاج فيكون هذا أمرا بتعلم الانسان علم تشريح الابدان لتعلم الطب وعلاج الامراض والوقاية منها والامر بالنظر فى كيفية خلق السماء هو كشفها والاطلاع على مافيها من العجائب التى تدل على عظمة قدرة الخالق فيكون أمرا بتعلم التشريح للافلاك والعروج اليها والامر بالنظر الى كيفية خلق الجبال هو نقبها وثقبها وحفرها للوصول الى ماتحتها من المعادن وغيرها وبالنظر الى الارض الامر بتعلم علم الارض وكشف طبقاتها واخراج معادنها والتطلع على مافيها من نباتات وأشجار وادراك منافع تلك الاشجار والنباتات ومن جراء هذه الاكتشافات العظيمة يتحير المرء ولا يبقى له مجال الا الاعتراف بوجود خالق عظيم وان قدرته لقديرة على كل شيى فيؤمن بكل ما أخبر

بــه هذا القرآن الكريم ويتحقق مضمون قوله تعالى (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) ثم بعــدما أخبر الرسول بمجيء يوم يحاسب فيه الناس ويجزون فيه حسب أعمالهــم واخبرهم بحال المجرمين والمؤمنين فى ذلك اليوم أصر الكافرون عــلى كفرهم وعنادهم ولم يزدهم هذه المواعظ والتذكير والانذار والتبشير الا عتوا ونفورا فصعب ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلــم وضاق صدره الشريف وكاد أن يترك الوعظ والتذكير لما حصل عنده من شبه اليأس من الناس فلذلك سلاه الله تعالى وحثه على التذكير والوعظ والانذار والتبشير فقال تعالى :

فذكر انما أنت مذكر • لست عليهم بمسيطر • الا من تولى وكفر • فيعذبه الله العــذاب الأكبر • إن الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم •

(فذكر) اى فداوم على تذكير الناس ووعظهم ولا تيأس منهم فان فيهم من يتعظ ومنهم من لايتعظ ولا يضيق صدرك بعدم ايمان من لم يؤمن فانه ليس من وظيفتك وواجبك أن يؤمن الناس بل (انما أنت مذكر) أى واجبك مقصور على التذكير فقط وبه تخرج من المسؤولية واما ايمانهم وعدم ايمانهم فلست مسؤولا عنه كما و (لست عليهــم بمصيطر) اى انما أرسلت لتذكيرهم بالايمان ولم تكلف بأن تأتى بهم الى الايمان بالقوة والسيطرة والجبر وان هذه الآية تدل بوضوح على أن الاسلام لايجبر أحدا عــلى الايمــان والدخــول فى الاســلام فالاسلام دعوة يجب على كل مسلم أن يدعو اليها فمن أسلم فمرحبا به ومن لا (فلا اكراه فى الدين) وقال تعالى فى آية أخرى (أفأنت

تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) ولو كـان فى الاسلام جبر عـلى الايمان لما رضى المسلمون الاولون حينما يفتحون البلاد أن يبقى أهلها على دينهم ويعطوا الجزية أى مقدارا من المال للدولة الاسلاميـة وذلك مقابل ماتقوم به لهم من الخدمات والمشاريع العامة فهذا سماحة الاسلام ورحمته على الناس لايرغم الناس عـلى خـلاف عقيـدتهم ولا يجبرهم على ترك دينهم بخلاف المبادىء الاخرى التى تسوق الناس الى الدخول فى مبدأهم جبرا وقهرا وانذارا يالقتل او الحرمان من الحياة على خلاف ذلك ٠

سـؤال :

اذا كان الاسلام لايجبر أحدا على الدخـول فيـه والايمان بـه والدخول فى هذه العقيدة فلماذا تلك الحروب التى أقامها المسلمون ضد الشعوب وأهل الملل الاخرى ؟

الجـواب :

ان حروب الاسلام لم تقم لاكراه الناس على الاسلام او للاستيـلاء على أوطانهم وبلادهم بل انما كان المسلمون يثيرون نار الحرب عـلى من كان يريد الهجوم عليهم او القضاء على دعوتهم فكانوا كلما تريد فئة أن تهجم على المسلمين يقيم المسلمون حربا ضد عدوانهم ولصد هجومهم فالحروب الاسلامية كلها دفاعية وليست عدوانية وهجوما من عندهم أبتداء لان الله تعالى يقول (وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا) أى لاتقاتلوا مـن لايقاتلكم (ان الله لايحب المعتدين) أى الذين ينشئون الحرب ظلما وعدوانا ٠ قد يقال ان هذه الآية منسوخة بآية القتال قلنا قد فات هذا القائل أن قوله تعالى (ان الله لايحب المعتدين) خبر والخبر لايعتريه النسخ بالاتفاق ٠ نعم قد

وقعت حروب هجومية من جانب المسلمين الا أنها ليست خطأ الاسلام بل انما هو خطأ من قام بتلك الحروب وعدم تطبيقه للاسلام او انحرافه عنه وذلك لتأويل وقع منه او غير ذلك هذا وقد قال بعض العلماء • ان الكفر داء يجب ازالته فاجازوا الحروب الهجومية لذلك الغرض ولكن يناقض تأويلهم هذا قبول الجزية من المنقادين ومن الذين سيطروا عليهم فالقول بنسخ مثل هذه الآيات بآية القتال خطأ لان آية القتال ورد فى حق المقاتلين ايضا حيث يقول تعالى (وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة) فكان هذا القتال دفاعيا أيضا لا عدوانيا ثم بعد ما قال تعالى ليس لك أن تجبر الناس على الايمان ولست بمسيطر عليهم كأن قائلا يقول فالانسان مخير بين الايمان وعدمه وليس وراء ذلك شيء فاذن فلماذا يؤمن ولماذا يأتى الى الاسلام ولذا قال تعالى (الا من تولىّ وكفر فيعذبه اللهالعذاب الاكبر) فالمعنى حينما حكمنا بعدم الاكراه على الايمان وانما هنالك تذكير وارشاد وانذار وتبشير فليس معناه أن من لم يؤمن ليس عليه شيء وليس عليه عتاب ولا يلحقه ضرر • بل ان الذى تولى عن الايمان وكفر بما تذكره به فيعذبه الله العذاب الاكبر فى الآخرة وهو الاحراق بالنار فانه لا عذاب أكبر من هذا ثم كأن قائلا يقول فمتى واين وكيف يعذبهم هذا العذاب فقال تعالى (ان الينا أيابهم) أى رجوعهم لايستطيعون الخروج من قبضتنا (وان علينا حسابهم) فنجازيهم وفق هذا الحساب ونعذبهم ذلك العذاب •

خاتمة :

قال محمد عبده رحمه الله (ان الفطرة سائقة بنفسها الى الاعتقاد

بصانع قادر وهى ميسرة بذاتها الى الاذعان بأنه قادر على انشائها فى خلق آخر ترى فيه شقاء او نعيما وانما قد تتحكم الغفلات وتتغلب الاهواء فتحتاج النفوس الى مذكر يردها الى ماكان عساه تنسأق اليه غرائزها ولهذا سمى الله هذا النوع من الاستدلال تذكيرا وقوله انما أنت مذكر تحديد للامر الذى بعث الله لاجله (ص) وهو تذكير الناس بما نسوه من أمر ربهم ولبس فى سلطانه عليه السلام ان يخلق الاعتقاد فيهم ولا من المفروض عليه أن يقوم رقيبا على قلوبهم فقال ولست عليهم بمسيطر انتهى ..

أقول فما كان أنقباض الرسول من عدم ايمانهم لما كان يحب أن يكون له الجبر على الايمان وقهرهم على الاسلام بل حرصا عليهم وحبأ فى نجاتهم من الجهل والضلالة فى الدنيا والعذاب فى الآخـرة كما قال تعالى (عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم) فما أرحم هذا الرسول الاعظم صلى الله تعالى عليه وسلم وحشرنا تحت رايته آمين والحمد لله رب العالمين .

نفسى لعقـلى دائما للائمـة ... تسوقه الى المناهى القائمـة
أجبتها للوجـه انى أبتغـي ... لكى يكون من وجوه ناعمـة
وأطمـع فى نمرق مصفوفة ... فى جنـة وبثـت الزرابيـة
واعتلى مـن سرر مرفوعـة ... واجتنى من القطوف الدانية
يوم يكون الفاسق فى مهمه ... من الجحيم والعيون الآنيـة
والكافـرون وجههـم مغبرة ... ترهقها قترة فى الغاشيـة
«حسين» يدعو ربـه لحفظه ... من الضريع والمياه الحاميـة

ـ سورة الفجر ـ

ـ مكية ـ

ـ نزلت بعد الليل وهى ثلاثون آيـة

بسم الله الرحمن الرحيم

« والفجـر »

ـ والفجر ـ المراد به بياض الصبح الذى ينتشر فوق الافـق فيزيد شيئا فشيئا حتى يذهب بالظلام كله ، وقد فسره بعضهم بفجر يوم الجمعة أو يوم عرفة أو اليوم الاول من ذى الحجة او اليوم الاول من محرم وكل هذه التفاسير لايدخل فى القلب لان كل ما نرى مما أقسم الله تعالى به فى القرآن هو من المظاهر الكونية ومن عجائب خلقه ، فهو كما قلنا هو الفجر مطلقا وهو البياض المنتشر ... الخ .

« وليال عشر »

ـ وليال عشر ـ فسر أيضا بالليالى العشر من ذى الحجة او بالليالى العشر من شهر محرم الحرام ، أو بالليالى العشر الاخير من شهر رمضان المبارك ، ولكن ذلك ايضا غير مقبول لانها ليست من المظاهر الكونية والذى يرى أن المراد بها عشر ليال مطلقا دون التقييد بشهـر دون شهر ، وهى اما الليالى العشر الاوسط من كل شهر ، فان القمر فيها يتم ويصير بدرا ويعطى من الجمال مايدل على عظمة قدرة الله تعالى وعجيب صنعه ، واما المراد به كل عشر ليال من الشهر ، العشر الاول والعشر الاوسط والعشر الاخير فان حالة الهلال فى كل عشر تختلف

عن العشر الآخر فان الهلال في العشر الاول يزيد من المحاق الى التربيع ، وفي العشر الاوسط ، من التربيع الى البدر ، ثم ينتقص من البدر الى التربيع وفي العشر الاخير ينتقص من التربيع الى المحاق والاختفاء تحت ضوء الشمس ٠

« والشفع والوتر »

ـ والشفع والوتر ـ فسروهما أيضا بما لايدخل في المظاهر الكونية التي تدل على عظمة قدرة الله تعالى وعجيب صنعه والذى يرى أن من فسره بكل ماهو شفع وما هو وتر من المخلوقات فيدخل فيه كل موجود لانه اما شفع أو وتر أصاب ولنا أن نقول أن النباتات والاشجار اما هو من فصيل بذرة ذات فلقتين او من فصيل ذات فلقة واحدة فيكون القسم بالقسمين ٠

« والليل اذا يسر »

ـ والليل اذا يسر ـ قيد الليل باذا يسر لان معناه اذا ذهب منه بعض ، فانه في ذلك الوقت يقل فيه تاثير ضوء الشمس من جانب المشرق او المغرب فيظهر كل نجومه وكواكبه فينكشف جماله التام وكانه بساط أسود كبير جدا ، نشر عليه الدرر واللئالي بتنظيم رشيق وميزان دقيق فيتمجب منه الانسان ، ويرى فيه بديع صنعه تعالى ٠ وعجيب خلقه وعظيم قدرته ٠ هذه الايمان في الحقيقة دلائل وبراهين على أن الله تعالى وان أمهل فانه لايهمل وأن كل ظالم ينال عقاب ظلمه وكل مسيء يجني مرارة اسائته في الدنيا او في الاخرة أو في كلتيهما معا ٠ وصورة الدليل كما ذكرنا مرارا هي أن نقول : ان هذا الفجر الذى يقضي على ظلام الليل الدامس وكل عشر ليال

التى يظهر فيها الهلال بنوع دون النوع الذى ظهر فى عشر آخر وكل شفع من المخلوقات والوتر منها او كل نبات ينبت من بذرة ذات فلقتين او من ذات فلقة واحدة . وان هذا الليل الذى حينما ذهب بعضه يظهر فيه تلك النجوم والكواكب كالدرر المنتشرة على بساط أسود كالمسك الازفر ، ان هذه الامور التى ذكرت وهذا الصنع العجيب المدهش ليدل دلالة واضحة بأن كل ظالم ينال عاقبة ظلمه وأن كل مسيىء يجني مرارة اسائته وذلك لان هذا الصنع العجيب والنظام التكوينى البديع لايمكن أن يوجد بدون صانع عليم وقادر حكيم وهو الله وان من صنع هذا النظام لايتصور أن يترك الانسان سدى ولا يضع له نظاما تكليفيا يعمل به ، وان صاحب كل نظام يثيب العامل بنظامه ويعاقب المنحرف عنه ، فاذن لابد أن يأتي يوم ينال فيه الظالم عقاب ظلمه والمسيء نتيجة اسائته تحقيقا لعدل الله تعالى وهو يوم القيامة

« هل فى ذلك قسم لذي حجر »

ـ هل فى ذلك ـ والاستفهام للتقرير أى ان فى ذلك المذكورات

ـ قسم ـ لبرهان واضح ودليل ساطع .

ـ لذى حجر ـ اى لذى عقل ، سمى العقل حجرا لانه يحجر أى يمنع صاحبه من سفاسف الامور وقبائح الاعمال ومظان الضرر والهلاك ، ويمنعه من انكار الحقائق وتصديق الاباطيل ففى هذه الاشياء لدليل لكل ذى عقل على أن الظالم يلقى مرارة ظلمه والمسيء يجني عاقبة اسائته وأن كثيرا من الناس يلقون عقابهم فى الدنيا قبل أن يلقوا عذابهم فى الآخرة وذكر تعالى من هؤلاء الناس أمما أنزل الله تعالى عليهم العذاب فى الدنيا قبل الآخرة فقال .

« ألم تر كيف فعل ربك بعاد »

ـ ألم تر كيف فعل ربك بعاد ـ أى ألم تعلم مافعل ربك بعـاد علما حاصلا بالاخبار يساوى العلم الحاصل بالرؤية والعيـان فى التيقن والثبات .

« أرم ذات العماد »

ـ أرم ـ اسم البلدة التى كان يسكنها قوم عاد ، فالمعنى عـاد سكان ارم ، كما تقول عرب البصرة وذلك لانه وجد قـومان يسميان بعاد ، العاد الاولى التى كانـت تسكن ارم ، والعـاد الثانيـة التى تسكن يمن .

ـ ذات العماد ـ أى ذات الاعمدة والمراد بها الابنيـة العاليـة الرفيعة المتينة .

« التي لم يخلق مثلها في البلاد »

ـ التى لم يخلق مثلها ـ أى لم يخلق مثل هذه البلدة التى كان يسكنها عاد التى كانت تسمى أرم .

ـ فى البلاد ـ أى لم توجد بلدة أخـرى تشابها فى الحضـارة والعمـران .

« وثمود الذين جابوا الصخر بالواد »

ـ وثمود ـ أى ألم تر كيف فعل ربك بقوم كانوا يسمون قوم ثمود.

ـ الذين جابوا الصخر بالواد ـ أى نحتوا صخور الجبال وبنوا فيها البيوت والمساكن لهم .

« وفرعون ذي الأوتاد »

ـ وفرعون ـ وكيف فعل ربك بفرعون ٠

ـ ذي الاوتاد ـ أى صاحب الخيم الكثيرة التى تنصب على الاوتاد أو كان له أوتاد يضرب بها الناس ٠

« الذين طغوا في البلاد »

ـ الذين طغوا فى البلاد ـ أى تجاوزوا الحد فى البلاد حيث ظلموا كثيرا وكفروا بالله تعالى وعادوا رسوله ولم يعملوا بدين الله وانحرفوا عن شريعته ٠

« فأكثروا فيها الفساد »

ـ فاكثروا فيها الفساد ـ أى فبسبب طغيانهم وعدولهم عن أمر الله تعالى اكثروا الفساد فى الارض وهكذا كل من يترك الحكم بشرع الله تعالى فانه يبث ويكثر الفساد في الارض ٠

« فصب عليهم ربك سوط عذاب »

ـ فصب عليهم ربك ـ يامحمد

ـ سوط عذاب ـ وأهلكهم ، أضاف الى العذاب النازل عليهم الصب لكثرته فكأنه كالمطر الكثير الذى ينزل بكثرة وأضاف اليه السوط لشدته ، فكان يؤلم كما يؤلم السوط حينما يضرب به ٠ وذكر الله تعالى أحوال هذه الامم وعدا للمؤمنين بالنصر ٠ ووعيدا للمشركين بالخذلان ٠ وتسليا للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ، فالمعنى لاتحزن يامحمد فان كل قوم عتت عن أمر الله وعادت الرسول

الذى أرسل اليها فان مصيرهم الهلاك والدمار ، وأن الله تعالى لايخفى عليه شيىء حيث :

« ان ربك لبالمرصاد »

ـ ان ربك لبالمرصاد ـ أى ان حال ربك كحال الذى يكون فى المرصاد وينظر ويراقب الناس فلا يخفى عليه شيىء فكذلك لايخفى على الله تعالى شيء ، وان قومك سينالهم ماتال الاقوام الآخرين من العذاب ، وقد نالهم ذلك فى حرب بدر وحنين والاحزاب والفتح وهذا وعيد لكل من انحرف عن دين الله وخالف شريعة الله ، فانه لابد وأن ينال عقابه فى الدنيا او فى الاخرة أو فيهما معا والله على كل شيىء قدير ، هذا ولقد ذكرنا بعضا من قصة فرعون فى سورة النازعات وسنذكر قصة ثمود فى تفسير سورة الشمس أن شاء الله تعالى فبقى أن تذكر هنا قصة قوم عاد باذن الله تعالى .

ـ قصة قوم عاد ـ

ان عادا هو اسم الرجل الذى تنسب اليه قبيلة عاد وكانت هذه القبيلة تسكن أرض الاحقاف من بلاد العرب بين حضرموت والربع الخالى وعمان ، قبل بعثة ابراهيم عليه السلام . وهذه الارض الان كثبان من الرمل ليس فيها حيوان ولا ماء ولا نبات مع أنها كانت فى عهد عاد من جنات الدنيا كما وصف القرآن الكريم . وكان هؤلاء الناس يعبدون الاوثان كما كان يفعل قوم نوح عليه السلام . فأرسل الله تعالى اليهم رسولا منهم اسمه هود ، وكان له مالهم من بسطة الجسم وملاحة الوجه وكان من أوسطهم نسبا واكملهم عقلا ، فدعا

قومه الى عبادة الله تعالى وتوحيده والعمل بشريعته فلم يستجيبوا له وكذبوه ، وانتفخت أوداجهم وقالوا من أشد منا قوة فبدأ هو يخوفهم ويحذرهم ويهددهم ويتوعدهم بعذاب من الله تعالى ويضرب لهم المثل بقوم نوح عليه السلام وبما جرى عليهم من اغراقهم بالطوفان بسبب تكذيبهم نبيهم • وذكرهم أيضا بما أنعم الله تعالى عليهم من نعم الدنيا فقد أسكنهم أرضا خصبة ذات أنهار وزروع وجنات وثمار ودعاهم أيضا الى التفكير والتبصر فى هذه الاصنام التى يعبدونها من دون الله تعالى وأنها لاتنفع شيئا ولا تضر وأنها خلق من مخلوقات الله تعالى فالذى يستحق العبادة هو الله تعالى وحده الذى هيأ لهم ماهم فيه من نعيم ورغد من العيش وأن الله تعالى هو الذى يقدر على الاحياء والاماتة والنفع والضر وبين لهم أنهم اذا تابوا واستغفروا ووحدوا الله بالعبادة فان الله يتوب عليهم وينزل عليهم من السماء مطرا كثيرا متتابعا يصلح أرضهم ويروي زرعهم ويكثر غلتهم فيزيد مالهم ويحسن حالهم وترتقى معيشتهم ، فيعزون ويقوون فوق عزهم وقوتهم وبين هود وأكد لهم أنه لايبغى هو من وراء هذه الدعوة والموعظة أجرا منهم كما ولا يريد رياسة عليهم ولكنه يفعل ذلك بأمر من الله تعالى وانما أجره على الله تعالى وحده • فانقسم قوم عاد فريقين ، فريق قليل العدد آمنوا بهود عليه السلام واتبعوه ، وفريق كثير العدد كذبوا هودا ولم يؤمنوا به ولم ينظروا فيما جاء به من البينات والمعجزات وان هذا الفريق أغلظ لهود عليه السلام وعاداه ورماه بالحمق والسفاهة لانه يريد أن يصرفهم عما كان يعبده آباؤهم من الاصنام الى عبادة اله آخر لم يعبده آبائهم • الا أن هودا عليه السلام لم يغلظ لهم كما أغلظوا له ، بل لاينهم ولاطفهم وتكلم معهم بأسلوب

حسن كله أدب واحترام وتقدير لعلهم يرجعون الى عقولهم وأكد لهم أنه ليس الا رسولا أرسله الله تعالى اليهم فبلغهم رسالات ربه ولا يبغي من وراء ذلك دنيا يصيبها من مال أو جاه أو سلطان ولكن القوم بالغوا في معاندته ورموه بالجنون وفساد في العقل لكي يصرفوا عنه من اتبعه ، فلم يطق هود على ذلك صبرا وضاق به الامر فانتقل من الملاينة والملاطفة وأنذرهم أنهم ان أصروا على كفرهم وعنادهم واستمروا على عبادة اوثانهم فان عذاب الله سيقع بهم . الا أن هذا الانذار لم ينفع فيهم أيضا بل بقيت قلوبهم مغلقة لم تنفتح لدعوة نبيهم ، وزادوا في التحدى وطلبوا منه استهزاء أن يدعو ربه أن ينزل عليهم العذاب الذى يهددهم به ويتوعدهم بنزوله فأخبرهم هود عليه السلام بأن العذاب لقريب وأنه سينزل بهم لا محالة لانحرافهم عن الحق وعدم الايمان برسول الله وعدم اتباعهم لشريعة الله الواحد القهار . فأصيبوا بعد ذلك بأن أمسك الله تعالى عنهم المطر فأصابهم جهد شديد فعاد اليهم هود عليه السلام ودعاهم الى عبادة الله تعالى وحده ونبذ عبادة الاصنام لعل الله أن يكشف عنهم ماوقعوا فيه من الكرب والجهد وأن يحييهم بالمطر فما ازدادوا الا عتوا ونفورا واستكبارا ولم يفدهم هذا الانذار ولا التبشير ، فأرسل الله تعالى عليهم الريح العقيم فاستمرت سبع ليال وثمانية أيام متتابعة فأهلكتهم وأبادتهم وأصبحت أجسادهم كأنها أعجاز نخل خاوية وماتوا غير مأسوف عليهم ونجا هود ومن معه من المؤمنين وانتقلوا الى حضرموت وعاشوا فيها ، وفي حضرموت مات هود عليه السلام ودفن فيها وليس مدفونا في فلسطين كما يدعى اليهود ذلك ، وعاد هذه التى أهلكت ليست بالتى كانت تسكن اليمن ـ انتهى ـ

وان هذه الرواية موافقة لما في الخازن والقرطبي والرازي رضي الله تعالى عنهم وعنا أجمعين ·

« فأما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن »

بعدما ذكر الله تعالى مافعل بعاد وثمود وفرعون نتيجة طغيانهم وظلمهم وتكبرهم وانحرافهم عن الحق وعدم اتباعهم لرسول الله والتمسك بشريعة الله تعالى ليعتبر بهم كل طاغ فيخرج عن طغيانه وكل ظالم فيترك ظلمه ، وبعد أن ذكر أن الله لبالمرصاد يراقب أعمال عباده فلا يخفى عليه شيء فينتقم منهم على ماجنوا من كل ذنب وأثم واجرام ليخاف العصاة من هذا الرب العليم بحالهم فيجتنبوا مما لايرضى به ولا يحبه فكان الجدير بالانسان أن يعتبر ويخاف ويجتنب طريق الاعتساف ويعتدل الى سبيل الحق والانصاف الا أن الانسان فعل بعكس ذلك فلم يعتبر ولم يخف فأشار تعالى الى هذا الحال المنكر في الانسان فقال وعز من قائل ـ فأما الانسان اذا ما ابتلاه ـ أي امتحنه ربه ، ـ فاكرمه ونعمه ـ فوهب له الكرامة والقوة والنعمة في الدنيا ليشكر ربه ويعبد خالقه ويتواضع لله فيحسن الى خلقه ويعدل بين عباده ، وينهمك في عبادته واطاعته ، الا انه بعكس ذلك فعل ، فكفر وبطر وتجبر وتكبر وخالف وعصى وفجر ونظر الى الناس نظرة استحقار واستعباد ـ فيقول ربي اكرمن ـ استكبارا بذلك على الناس لاتحدثا بنعمة الله تعالى وكأن مايفعل بالناس من الظلم والجور والاستعباد هو من حقه فان الله اكرمه ، فهذا حال الانسان المنحرف حينما أنعم الله تعالى عليه ، فبدلا من أن يشكر ربه ويطيع أمره ويتواضع لخلقه يكفر ويتجبر ويرى ذلك من حقه وحقا له ·

« وأما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن »

ـ واما اذا ما ابتلاه ـ أى وأما اذا امتحنه خالقه ، ـ فقدر ـ أى فضيق عليه وقلل ، ـ رزقه ـ ليصبر على ما ابتلاه به ربـه الى أن ينجح من الامتحان فيبدل فقره بالغنى وضعفه بالقوة الا انه لم يصبر بل جزع وكفر واعترض على الله ، ـ فيقول ربى أهـانن ـ وهتكنى ولم يحترمنى وهكذا مما تسمع من الفقراء والجهلاء من باطل الكلام ، فهكذا الانسان يرى اكرام الله تعالى فى الغنى والقـوة والجاه والسلطان ، واهانته فى الفقر والضعف الا أن ذلك خطـأ عظيم من الانسان فكثير من الاغنياء وذى القوة والسلطان ملعون عند عند الله تعالى ، وكثير من الفقراء والضعفاء هم أحبـة الله تعالى وأولياءه فليس الغنى والقوة علامة الاكرام ولا الفقر أو الضعف دليلا على اهانة الله تعالى له بل كل ذلك امتحان فمن نجح فى هـذا الامتحان فهو محبوب عند الله تعالى من الطرفين ومن رسب فهو مهان عند الله تعالى من الفريقين ، فالغني الذى يشكر نعمة الله تعالى فيصرف ماله وقوته فى الحق وللحق وفى سبيل الله تعالى ويكسبه من الحلال ويصرفه فى الحلال ويعطى منه حق الله تعالى ويخدم به الفقراء والمساكين وسبل الخير فهو من أولياء الله تعالى ومكرم عنـد الله تعالى ، وأما من جعل ماله وقوته وسيلة للتجبر على الناس والاستعلاء عليهم او كسب ذلك من الحرام أو لم يؤد منه حق الله تعالى وحقوق الناس فهو مهان عند الله ذليل عنده فى الدنيا والاخـرة ٠ والفقير الذى يصبر على فقره ويرضى بقضاء ربه ولا يجزع ولا يعترض على الله ولا يعاتب ربه فهو مكرم عند الله تعالى ومقبول والذى يجزع

ويكفر ويعترض ويعاتب ربه فهو مهان في الدنيا والآخرة · فالعبرة ليست في الغنى والفقر ولا في القوة والضعف بل العبرة بالاستقامة على طريقة الله واتباع شريعته والاسترشاد برشده والاهتداء بهديه ثم رد الله تعالى على هؤلاء الذين يفتخرون بغناهم وقوتهم ويرون أنهم مكرمون عند الله تعالى دون سواهم فقال جل جلاله :

« كلا بل لاتكرمون اليتيم »

ـ كلا ـ ليس كما تقولون وان الله لم يكرمكم ولم يحترمكم لان اعمالكم ليست أعمال المكرمين عند الله وأخلاقكم ليست أخلاق المحبوبين الى الله ، ـ بل ـ أعمالكم بعكس ذلك فانكم ، ـ لاتكرمون اليتيم ـ فالمكرم لليتيم هو المكرم عند الله تعالى ·

« ولا تحاضون على طعام المسكين »

ـ ولا تحاضون ـ أى لاتحثون أنفسكم وغيركم ـ على طعام المسكين ومن كان كذلك فليس بمكرم عند الله تعالى ·

« وتأكلون التراث أكلاً لماً »

ـ وتاكلون التراث ـ أى تمنعون حصص ذوى قرباكم من الميراث فلا تعطونهم ، ـ اكلا لما ـ أى اكلا شديدا أو أكلا لما أى جمعا بين الحلال والحرام ومن فعل ذلك فليس مكرما عند الله تعالى :

« وتحبون المال حباً جماً »

أى حبا كثيرا ولذلك ترتكبون كل شيء وتسلكون كل سبيل بغية تحصيله دون الفرق بين السبل الشريفة وغيرها والسبل الحقة وما

سواها فمن كان بهذه الصفات فليس بمكرم عند الله تعالى بل مهان عنده ، وان بلغ من الغنى ما بلغه قارون ، ومن القوة ما بلغه فرعون وشداد ، وان ما أعطاه ربه وأمده فيه فهو غضبمن الله وليس رحمة منه كما قال تعالى (ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم) ، (خير لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثماً ولهم عذاب مهين) · ثم بعد ذلك نهاهم عن هذه الفكرة الخاطئة وعن هذه الاعمال السيئة وأنذرهم بالعاقبة السيئة فقال عز من قائل :ـ

« كلا اذا دكت الارض دكاً دكاً »

ـ كلا ـ أي فلينتهوا من هذه الكبرياء بسبب المال وعن السيئة من هذه الاعمال ، ـ اذا دكت الارض دكا دكا ـ أى زلزلت الارض زلزالا بعد زلزال :

« وجاء ربك والملك صفاً صفا »

ـ وجاء ربك ـ أى وجاء أمر ربك بالحساب ، ـ والملك ـ وجاء الملائكة ، ـ صفا صفا ـ أى صفا بعد صف ينتظرون الأمر ليأخذوا من حقه الجنة الى الجنة بتكريم وتقدير · ومن يستحق النار الى النار باهانة وتحقير ·

« وجيء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الانسان وأنّى له الذكرى »

ـ وجيء يومئذ بجهنم ـ أى أظهرت جهنم فيراها كل انسان فكأنها جيء بها ففى ذلك الوقت يتندم الانسان ولا تفيده الندامة هذه ويتحسر ولا تفيده الحسرة تلك كما قال تعالى ـ يومئذ ـ أى فيوم اذ

كان كذا وأصبح الحال كما ترى ـ يتذكر الانسان ـ بأن ماقاله الرسل ودعاة الاسلام كان حقا ، وأن ماكانوا عليه من مبادىء واعمال وعقائد غير الاسلام كان باطلا ويتندمون ولكن ـ أنى لهم الذكرى ـ أى أنى يفيدهم هذه الذكرى وهذه الندامة ولاجل هذه الحسرة الشديدة والندامة البالغة الى النهاية ٠

« يقول ياليتني قدمت لحياتي »

ـ يقول ياليتنى قدمت ـ من الاعمال الصالحة ومن الايمان الحق ٠

ـ لحياتى ـ لانتفع به فى حياتى هذه فى الآخرة ، أو قدمت فى حياتى فى الدنيا مايفيدنى اليوم الا أن هذا التمنى لايفيده شيئا سوى الحسرة والندامة ٠

« فيومئذ لايعذب عذابه أحد »

ـ فيومئذ لايعذب عذابه ـ أى مثل عذاب الله ، وأحد ـ فاعل أى لايعذب مثل عذاب الله أحد بل ان عذابه أشد من عذاب كل احد ٠

« ولا يوثق وثاقه أحد »

ـ ولا يوثق وثاقه ـ اى لايوثق مثل وثاق الله ، ـ أحد ـ أى ان وثاق الله أشد من وثاق كل أحد فلا يستطيع أحد الانفلات ولا التخلص منه وهذا على قراءة : (لايعذب ولا يوثق) بكسر الذال والثاء ، على صيغة المبنى للفاعل وأما اذا قرىء بفتح الذال والثاء على صيغة المبني للمفعول فالمعنى لايعذب مثل عذاب هذا الانسان أحد

ولا يوثق مثل وثاقه أحد من الناس بل لكل أحد عذابه الخاص ووثاقه الخاص أو لايسرى عذاب أحد الى أحد ولا يؤخذ أحـد بجريمة أحـد ولا تزر وازرة وز ر أخرى أو المراد كلا المعنيين فانه لاتضاد بينهما هذا ، ثم على عادة القرآن الكريم من أنه يأتى بالوعد بعـد الوعيـد وبالعكس • ويأتى بحال المؤمنين بعد حـال الفاسقين وبالعكس ، لمـا انتهى هنا من ذكر حال الانسان الفاجر المنحرف أتبعه بذكـر حـال المؤمن الممتثل لامر الله ، العامل وفق أمره والمجتنب عما نهى الله تعالى عنه فقال تعالى :

« يا أيتها النفس المطمئنة »

بالايمان والراضية بما قضى الله تعالى له من الفقـر والغنى والصابرة عند الفقر والشاكرة عند الغنى والعاملة فيما وهبه الله تعالى حسب ما أمر •

« ارجعي الى ربك راضية مرضية »

ـ ارجعى الى ربك ـ أى الى لقاء ربك ، راضية ـ من جـزاءه الكريم وثوابه الجزيل ، ـ مرضية ـ من قبل الله تعالى لحسن ايمانك بالله وحسن تمسكك بشريعته ورضاك بالقضاء وصبرك عـلى البلاء والشكر عند النعماء •

« فادخلي في عبادي »

ـ فادخلى في ـ حظيرة وجماعة ، ـ عبادى ـ المكرمين بالاضافة اليّ والقرب منى •

« وادخلي جنتي »

ـ وادخلى ـ جنتى التى خلقتها بدون سبب وبدون أن يدخل فى صنعها عمل أى عامل وشغل أى شاغل ، بل بمجرد أمرى كن فيكـون والتى خصصناها بالمتقين كما قال تعالى (تلك الجنة التى نورث من عبادنا من كان تقيا) اللهم اجعلنا من المتقين وخاطبنا بهذا الخطاب الكريم فانك أرحم الراحمين ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ٠

١٣

سورة البلد

مكيــة

نزلت بعد « ق » وآياتها عشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

لا أقسم بهذا البلد

« لا أقسم » قالوا فيه وجوها ٠ الاول أن لا زائدة ٠

الثانى : أن لا لرد ما قاله الكفار أى ليس كما يقولون بـل أقسم ٠٠٠ الخ ٠ الثالث ٠ أنه يقرأ لأقسم « بهذا البلد » وهى مكة المكرمة وجواب القسم محذوف تقديره لتنتصـرن عليهـم بقـرينة قـوله ٠

« وأنت حل بهذا البلد »

(وأنت حل) أى مسيطر ومتسلط ٠٠ « بهذا البلد » ٠

« ووالد وما ولد »

أى تتسلط على رجالهم ونسائهم وذرياتهم جميعا فتعمل فيهم ماشئت من قتل واسر وعفو وقد وقع ذلك يوم الفتح · أقسم الله تعالى وأخبر بذلك تسليا لرسول الله تعالى صلى الله تعالى عليه وعلى آله وأصحابه وسلم ووعدا بنصره ·

لقد خلقنا الانسان فى كبد

أى لقد خلقنا الانسان اى جعلناه « في كبد » أى فى مشقة فلابد للانسان من أن يرى المتاعب والمصاعب سيما أصحاب الهمم العالية من المرسلين وحملة الدعوة الى الله تعالى فلا تحزن يامحمد بما تلاقيه من قومك من المتاعب والمصاعب فان النصر حليفك وان كل رسول لابد وأن يرى المتاعب بل وكل انسان يلقى متاعب فى حياته ·

« أيحسب أن لن يقدر عليه أحد »

« أيحسب » أى أيظن الانسان الطاغى المعادى لك ولما تدعو اليه من الاسلام والتوحيد والمعنى يظن هذا الانسان « أن لن يقدر عليه أحد » فلا تستولى ولا ينصرك الله عليه بل ويفتخر ويتباهى بضلاله وعدائه لك ولدينك فالاستفهام للتقرير والتوبيخ ·

« يقول أهلكت مالاً لبداً »

اى يقول صرفت مالا كثيرا فى سبيل عداوة محمد وصد الناس عن قبول دعوته والدخول فى دينه ·

« أيحسب أن لم يره أحد »

أى أيظن أنه لايراه أحد ولا يراقبه أحد ولا يسجل عليه أعماله

أحد فيعمل حسب هواه ويظن أن أعماله تذهب دون تسجيل لها وحساب فالاستفهام للتقرير أيضا والمعنى يظن كذلك ولذلك لايرتدع عن أعماله الشريرة وخصاله الدنيئة .

« ألم نجعل له عينين »

فيبصر بهما .

« ولساناً وشفتين »

فيتكلم بهما .

« وهديناه النجدين »

أى طريق الخير والشر فمن خلق له هذه الاشياء فانه يرى مايعمل ويسجل عليه مايكسب ويحاسبه على وفق ذلك . ومن أنعم الله تعالى عليه هذه النعم وخلق له هذه الجوارح النافعة وهداه الى الخير والشر ويسر له سلوك سبيل كل واحد منهما فالجدير به والواجب عليه أن يسلك سبيل الخير ويترك سبيل الشر الا أنه عكس الامر حيث:

« فلا اقتحم العقبة »

أى فلا قصد عمل مايسمى بالعقبة ثم فسر العقبة فقال تعالى :

« فك رقبة »

أى تحرير عبد من الرق .

« أو اطعام في يوم ذي مسغبة »

أى ذى مجاعة .

« يتيماً ذا مقربة » « أو مسكينا ذا متربة »

والمراد بالاطعام سد حاجاتهم لا صنع الطعام ودعوتهم اليه فقط
(ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة) ٠

أى وصى بعضهم بعضا بالصبر وتحمل الاذى والمتاعب فى سبيل الايمان ونشر راية الاسلام وتواصوا أى وصى بعضهم بعضا بالمرحمة والمراد بالمرحمة أن يرحم بعضهم بعضا فيرحم الاغنياء الفقراء والاقوياء الضعفاء والعلماء الجهلاء والاصحاء المرضى واصحاب الجاه والسلطان من قل جاههم وسلطانهم وذلك بأن يبذل كل من هؤلاء مالديهم فى أسعاف من يحتاج الى مالديهم من جاه او مال

(تنبيه)

ان الاقتحام هو الدخول فى شيىء مع صعوبة وشدة ينالها الداخل والعقبة هى الطريق الصعب من الجبل فسمى هذه الاعمال عقبة لان عملها والدخول فيها صعب على النفس الامارة بالسوء والتى تشمئز من العمل الصالح هذا ٠ والايمان وان كان قبل كل عمل حيث لا عبرة لاى عمل بدون الايمان الا انه ذكر مؤخرا لانه أشرف الاعمال وذكر بعد الايمان التواصى بالمرحمة لانها من دواعى الايمان فلا فائدة فى ايمان من لم يدع الناس الى ما آمن به ولم يتحمل الصبر فى سبيل هذه الدعوة او لم يسقه الايمان الى المرحمة بالناس والاحسان اليهم والعمل فى سبيل افشاء هذه الخصلة الحسنة التى عليها قوام المجتمع وحسن حياته ٠ فثم فى قوله تعالى ثم كان من الذين آمنوا ٠٠٠ الخ للتراخى فى الرتبة والمنزلة لا التراخى فى الزمان فان الايمان يجب ان يتقدم على جميع الاعمال حيث لافائدة فى عمل دون ايمان ٠

« أولئك أصحاب الميمنة »

« أولئك » أى ان هؤلاء الذين يفكون الرقبة ويواسون اليتامى ويحسنون الى المساكين والمؤمنين بالله والجزاء يوم الحساب والذين يصبرون ويأمرون بالصبر ويرحمون الناس ويوصون بالمرحمة فيفشون بذلك التوادد والتراحم بين الناس فالمتصفون بهذه الصفات « هم أصحاب الميمنة » ولهم ما لاصحاب الميمنة من الثواب الجزيل والنعيم المقيم الذى ذكره الله تعالى فى سورة الواقعة فيقول عز من قائل :

وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين • فى سدر مخضود • وطلح منضود • وظل ممدود • وماء مسكوب • وفاكهة كثيرة • لامقطوعة ولا ممنوعة • وفرش مرفوعة • انا أنشانا هن انشاء • فجعلناهن أبكارا • عربا أترابا • لاصحاب اليمين • ثلة من الاولين • وثلة من لآخرين •

« والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشئمة »

وهم أصحاب الشمال الذين ذكرهم الله تعالى وعقابهم مفصلا فى سورة الواقعة أيضا فقال :

« وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال • فى سموم وحميم • وظل من يحموم • لا بارد ولا كريم • انهم كانوا قبل ذلك مترفين • وكانوا يصرون على الحنث العظيم • وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا تراباً وعظاما أانا لمبعوثون • أو آباؤنا الاولون • قل أن الاولين والآخرين • لمجموعون الى ميقات يوم معلوم • ثم أنكم أيها الضائون المكذبون • لآكلون من شجر من زقوم • فمالؤن منها البطون • فشاربون عليه من الحميم • فشاربون شرب الهيم • هذا نزلهم يوم الدين • فهم فى هذا العذاب فى جهنم ولا يستطيعون الخروج والتخلص منها كما قال تعالى « عليهم نار موصدة » •

« عليهم نار موصدة »

« عليهم نار » أى يدخلون نارا تعلو على أجسامهم وأبدانهم وتلك النار موصدة أى مغلقة عليهم لايستطيعون الخروج أو التخلص منها .

تنبيهان

الاول :

ان هذه السورة نزلت قبل سورة الواقعة فيكون مافى الواقعة تفصيلا لما أجمل هنا ولا يخفى فى التفصيل بعد الاجمال من البلاغة والفائدة حيث أن السامع حينما يسمع شيئا مجملا يكون دائما منتظرا الى تفصيله وراغبا فيه ومتشوقا اليه فاذا جاء التفصيل وقع فى قلبه أحسن وقوع ويكون بحيث يحفظ ولا ينسى ثم وضع فى المصحف بعد الواقعة ليتذكر بهذا الاجمال ما فصل قبل .

الثانى :

لقد ذكرنا مرارا ان الاقسام الواردة فى القرآن بغير الله تعالى كلها دلائل فى صورة القسم وليست أقساما فى الحقيقة فكيف يتحول هذا القسم الى دليل . فنقول المعنى والله تعالى أعلم . ان هذه البلدة بلدة مكة تشهد حالها وحال سكانها بسوء عاقبتهم الوخيمة وخذلانهم الذريع وان الله تعالى ينصرك عليهم يامحمد فان الباطل كلما طغى فلابد له من دافع وأن الحق كلما ذل واختفى فلابد له من ظهور وعزة فاذاً لابد وان تنتصر عليهم وتحل هذه البلدة فاتحا لها وتسيطر على أنفسهم وآبائهم وذرياتهم فلا تحزن واصبر فان الانسان خلق فى مشقة ولابد من ان ينال الصعوبات والتعب فى حياته ولكن النصر حليفك والعزة لك فى آخر الامر .

خاتمـــة :

ان فى هذه السورة لمعجزة باهرة وهى الاخبار عن المستقبل قبل وقوعه بزمان وقد وقع كما أخبر به فان هذه السورة نزلت فى مكة وفى وقت كان الرسول (ص) وأصحابه فى ضعف واضطهـاد مـن المشركين لهم وايذاء الضعفاء منهم وأخبرت بأن الرسول صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلم سيستولى عليهم ويحل هـذه البلدة منتصرا ومسيطرا فيعفو عن من يشاء ويقتل من يشاء ويأسر من يشاء ويطلق سراح من يشاء بأمر الله تعالى واذنه وقد وقع هذا الامر بعد فتـح مكة • فتح الله تعالى قلوبنا للخير وألهمنا الرشد والرشاد وهداتا الى سبيل النصر والسؤدد والسداد آمين •

سورة الشمس

(مكية نزلت بعد القدر وآياتها خمس عشرة)

بسم الله الرحمن الرحيم

« والشمس وضحاها »

الضحى هو مدة ارتفاع الشمس فوق الافق الى زوالها مـن خط وسط السماء الى جانب المغرب الا ان المراد به هنا ضوء الشمس أى وضوئها •

« والقمر اذا تلاها »

قالوا معناه اذا تلا الشمس فى النـور والاضاءة والاحسن أن يقال (والقمر اذا تلاها) أى طلع بعد غروب الشمس ، فان القمر

فى ذلك الوقت يكون بدرا ويكون له الجمال الباهر فيحسن القسم به وذلك يكون فى ايام البيض ·

« والنهار اذا جلاها »

اذا جلى الشمس أى اذا أظهرها وأخرجها من الافق والنهار مدة كون الشمس فوق الافق الى الغروب ·

« والليل اذا يغشاها »

أى اذا يغشى ويستر الشمس ويخفيها عن العيون وهو مدة كون الشمس تحت الافق ·

« والسماء وما بناها »

أى والسماء والذى بناها وصنعها وأوقفها دون أعمدة ترى · فى هذا الفضاء الواسع ·

« والأرض وما طحاها »

أى والارض والذى سواها وجعلها صالحة للسكنى فأصبحت كالفراش الممهد والبساط المفروش ·

« ونفس وما سواها »

(ونفس) أى ونفس الانسان (وما سواها) والذى خلقها وهو الله تعالى · فكلمة ما فى الآيات الثلاث موصولة بمعنى الذى ، وليست مصدرية كما قيل لان التقدير على المصدرية هو والسماء وبناءها والارض وطحوها ونفس وتسويتها فيبقى الضمير الفاعل بدون

مرجع فى قوله (فألهمها فجورها وتقواها) أي خلق لها استعـداد الخير والشر ووهبها القدرة عليهما والميل الى كل واحد منهما • فاذا غلبت عليها الميل الى الخير فقد فاز صاحبها ونجا ، وان غلب عليها الميل الى الشر فقد خاب وخسر • وذلك جواب القسم الذى صرح به فى قوله تعالى •

« قد أفلح من زكّيها »

(قد أفلح) أى فاز ونجا (من زكاها) أى طهر النفس من الميل الى الشر •

« وقد خاب من دساها »

(وقد خاب) أى خسر وهلك (من دساها) أى دس النفس وسترها تحت ميول الشر والذنوب والاثام •

« فائــدة »

ان للنفس سبع صفات رذيلة كل صفة تمثل بابا من ابواب جهنم السبعة التى ذكرها الله تعالى فى قوله (لها سبعة أبواب لكل بـاب منهم جزء مقسوم) فكل انسان يدخل جهنم بسبب صفة مـن هـذه الصفات السبع وهى الكبر والعجب والطمع والحسد والبخل والحقد والرياء • فيجب على الانسان التزكى والتطهر من جميع هذه الصفات ويسمى التطهر منها التخلى عن الرذائل • كما وللنفس صفات سبع تضاد هذه الصفات يجب على المرء الاتصاف بها وكل واحد منها تمثل بابا من أبواب الجنة اذ كل انسان يدخل الجنة بسبب صفة مـن تلك

الصفات . وللجنة باب اخر هو مجرد رحمة الله تعالى دون سبب ، فبذلك أصبحت ابواب الجنة ثمانية وهذه الصفات هي التواضع ومحاسبة النفس والقناعة وعدم الحسد والسخاء والسماح للناس والاخلاص .

ويسمى الاتصاف بهذه الصفات التحلي بالفضائل . فيكون معنى الآية قد أفلح من تحلى بالفضائل وتخلى عن الرذائل ، وقد خاب من تخلى عن الفضائل وتدنس بالرذائل هذا .

وان المضرة والخيبة بسبب الرذائل ليست في الاخرة فقط ، بل كثير من الناس ينالون المضرة والخيبة بسبب الاعمال القبيحة والصفات الرذيلة في الدنيا أيضا وقد ذكر الله تعالى أمة هلكت بسبب طغيانها وتكبرها عن الحق واصرارها على الباطل وعدم اتباع الرسول والخروج عما أمرهم الله تعالى به . فقال :

« كذبت ثمود بطغواها »

(كذبت ثمود) رسولهم وخالفت أمره . (بطغواها) أى كذبت وخالفت بسبب طغيانها وتكبرها عن الحق .

« اذ انبعث أشقاها »

(اذا انبعث) اى نهض وركض لعقر الناقة (أشقاها) أى أشقى القبيلة واعظمها تكبرا وكفرا .

(فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها)

فقال لهم رسول الله واسمه صالح (ناقة الله) اى دعوا ناقة الله ولا تمسوها بسوء (وسقياها) أى أتركوا حصتها من السقى ولا تظلموها فتمنعوها من السقيا . فلم يتعظوا ولم يمتثلوا قول رسولهم .

« فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها »

(فعقروها) أى ذبحوا الناقة • وبسبب ذلك فدمدم عليهم ربهم) أى فأطبق الله عليهم العذاب (بذنبهم) بسبب ذنبهم وهو الكفر والتكذيب والعقر للناقة (فسواها) أى فعمم العذاب على القبيلة كلها فلم يفلت منه أحد لان كلهم كانوا متفقين على عقر الناقة ومعصية الرسول الا من آمن به وتبعه فانهم نجوا ولم يصيبهم من ذلك العذاب شيىء •

« ولا يخاف عقباها »

(ولا يخاف) أى ولا يخاف الله تعالى (عقباها) أى عقبى الدمدمة من أن ينتقم منه أحد • فان الله تعالى يثيب ولا يثاب ويعاقب ولا يعاقب ، وهو القاهر فوق عباده يفعل مايشاء ويحكم مايريد ولا يسأل عما يفعل ، فعال لما يريد وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون • وهنا نود أن نذكر قصة ثمود كما وعدنا سابقا باذن الله تعالى •

« قصة ثمود »

ثمود قبيلة نبى الله تعالى صالح على نبينا وعليه الصلاة والسلام وكانت هذه القبيلة تسكن الحجر بين الحجاز والشام • وآثارهم باقية فى بلادهم الى الان • وهى موضع بحث علماء الاثار • وكانت ثمود قد بلغت درجة عظيمة فى الحضارة والتقدم فى الصناعة • وكانت أصحاب خصب ورفاهية فى العيش ، وتوافرت لهم المياه وشجرها • واستمتعوا بغلات زرعهم وبثمر أشجارهم واقتنوا الماشية وتمتعوا بأصوافها واشعارها ولحومها وألبانها وبنوا بيوتا تدل على ماهم

عليه من عز ونعيم ومازالت آثارهم تدل على أنهم كانوا على جانب من المجد والسؤدد والقوة والسلطان . وكان هؤلاء القوم يعبدون الاصنام واتخذوها آلهة من دون الله تعالى . فارسل الله تعالى اليهم صالحا يعظهم وينصحهم ويدلهم على طريق الايمان بالله تعالى وحده لاشريك له .

وأثبت لهم صالح بأن الاصنام لايجوز عبادتها وان الذى يستحق العبادة هو الله وحده لاشريك له . وأقام لهم الادلة على صدق مايقول وخوفهم من غضب الله تعالى وعذابه ان استمروا على ماهم عليه من عبادة الاصنام . وأكد لهم صالح بأنه لايبغى وراء هذه الدعوة مالا ولا جاها ولا سلطانا ، وانه لايسألهم على ذلك أجرا وانما أجره على الله تعالى وحده .

لم يتبع صالحا الا المستضعفون وكانوا قلة أما المستكبرون فانهم عاندوه وبالغوا فى معاندته واخذوا يبكتونه ويسخرون منه وينكرون أن ينزل عليه الوحى من دونهم . وأخذوا يستهزؤن بمن أتبعه ويحتقرونهم ويحاولون أن يجعلونهم يرتابون فى رسالة صالح فلم يزدهم ذلك الا ايمانا به وزيادة فى اتباعه . فبلغ من مكابرتهم أن يطلبوا من صالح أن يأتيهم بآية تدل على أنه رسول من عند الله تعالى ، فأتاهم بالناقة التى أخرجها الله لهم على غير المألوف والذى يروى المفسرون أن الله تعالى أخرجها من الصخرة وأمرهم أن لايمسوها بسوء ولا يساء اليها فى أكلها ولا شربها ومائها ولا تذبح . وجعل الله لها شربا فى يوم معلوم وجعل لهم شربا فى يوم غيره . وكانت تعرف يوم شربها فلا ترد الماء الا فيه . فظل الناس على ذلك

عدة سنين ثم سئموا صالحا وناقته ومحاولته أن يصرفهم عن أصنامهم واستمراره على تهديدهم بالعذاب ان أساؤا الى الناقة ٠

وعز على كبرائهم ان يطيعوا صالحا فيما يدعو اليه فكانوا يبذلون جهدا كبيرا فى صرف الناس عنه وتنفيرهم منه ، وثقل على الناس وجود الناقة بينهم لانهم قد أصابهم ضرر بسببها ففكر بعضهم فى التخلص منها ٠ وقتلوها فأنذرهم صالح بأن عذاب الله واقع بهم بعد ثلاث ٠ فسخروا منه وهزؤا به وقالوا له عجل بما تعدنا ان كنت من الصادقين وأقسم جماعة ليقتلن صالحا وأهله قبل مضى الثلاث التى توعدهم بالهلاك بعدها ٠ فلما ذهبوا اليه ليقتلوه أهلكهم الله تعالى كما أهلك بقية القوم بالصيحة أى الصاعقة العظيمة ٠

ونجى الله تعالى صالحا والذين آمنوا معه فخرجوا من ديارهم قبل وقوع العذاب فنجوا باذن الله تعالى ورعايته والله على كل شيىء قدير ٠

« خاتمة »

قد التزمنا كما تعرف أن نحول كل قسم ورد فى القرآن بغير الله تعالى الى حجة تثبت الخبر الذى يقسم عليه ٠ وهنا نذكر كيفية تحويل هذه الايمان الى حجة ٠ فنقول المعنى والله تعالى أعلم :

ان الله تعالى خلق الشمس وضوءها الغلاب ، وخلق القمر الذى يأتى بعدالشمس للاضاءة والتنوير ، وخلقالنهار الذىيظهر الشمس للعالم ويبرزها وخلق الليل الذى يستر الشمس ويخفيها وخلق السموات والارض ٠ خلق كل ذلك ليتمكن الانسان من أن يسكن هذه الارض ويعيش فيها ثم خلق الانسان ووهبها القدرة على الخير

والشر • فخلقه هذه الاشياء العجيبة وهذه النعم الجليلة كلها لاجل الانسان ليشهد ويدل على أن من خلق هذا لايترك الانسان دون شريعة بل ويضع لهم نظاما يبين لهم الخير ويأمرهم به ويبين لهم الشر وينهاهم عنه • وان من قام واستقام على الخير وما أمره به هذا المنعم الكبير فقد أفلح ونجا ويثاب فى دار البقاء ومن خالف أمره وأرتكب مانهى عنه فقد خاب وخسر وابتلى بالعذاب الشديد يوم الفزع الاكبر • فان من حق المنعم ان يثيب من شكره وان يعاقب من كفر به وقد قال تعالى (ولئن شكرتم لازيردنكم ولئن كفرتم ان عذابى لشديد) وأن من طمس قوة الخير تحت ظلام قوة الشر لايتصور أن يتساوى فى العاقبة مع من رجح قوة الخير على قوة الشر فستر شموس نتائجها بظلمات قوة الشر ومساويها بل انه لابد ان يكون لكل نتيجة غير ما للاخر والنتيجة هى أنه (قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها) ثم بين تعالى أنه قد ينزل العذاب فى الدنيا بالمنحرفين عن دين الله تعالى قبل ان ينزل بهم فى الاخرة • وبرهن على ذلك بما جرى على أمةسابقة فقال تعالى : (كذبت ثمود بطغواها ••• لخ) والله تعالى اعلم وهذا ما وصل اليه الفكر الفاتر والذهن القاصر ونرجو الله تعالى العفو عن الزلل والاجر على العمل فانه عفو كريم وغفور رحيم •

سورة الليل

(نزلت بعد الاعلى وآياتها سبع وعشرون)

بسم الله الرحمن الرحيم

« والليل اذا يغشى »

(والليل اذا) اذا بمعنى الوقت ، والعامل فيها أقسم ان كان المراد بمثل هذه الاحلاف القسم • أو ابرهن وأستدل اذا كان المراد

بها الاستدلال . أو أقسم على التقديرين . الا أنه على التقدير الثانى يكون أقسم بمعنى أستدل مجازا والعلاقة أن كلا منهما لاثبات الخبر (يغشى) قيد القسم او الاستدلال بالليل بوقت أن يغشى النهار ويستره ، لان جمال الليل انما يجلو فى ذلك الوقت بظهور الكواكب والنجوم الكثيرة فيه ، وذلك بعدما يغيب الشفق الابيض فان ماقبله وبعد غروب الشمس لايزال بعض أثر الشمس باقيا فلا يظهر كل النجوم والكواكب بوضوح فلا يكمل جمال الليل الذى يدل على عظيم قدرة الله تعالى وعجيب صنعه .

« والنهار اذا تجلى »

(والنهار اذا) الكلام فى اذا كالسابق ، وقيد النهار بقوله اذا (تجلى) أى ظهر ولاح لانه حينئذ يظهر جماله وشدة لمعانه وقوة الشمس فى الاضاءة . ويكون ذلك من وقت الضحى فما بعده .

« وما خلق الذكر والأنثى »

أى وخلق الذكر والانثى ووجودهما من رحم واحد ونطفة واحدة .

« ان سعيكم لشتى »

ان عملكم لمتفرق فمنكم من يعمل السوء فقط ، ومن يعمل الخير فقط . ومنكم من يخلط بينهما وكذلك ان عمل الانسان الذى يعيش به ويتخذه مهنة له لمختلف أيضا . فمن الناس من يتجر ومنهم من يزرع ومنهم النجار والحداد والصباغ الى غير ذلك من المهن المتعددة التى اختص بكل منها جماعة من الناس وجواب القسم محذوف تقديره ان الحساب لآت وان يوم القيامة يأتى . وأستدل بهذه الاشياء المذكورة على مجىء يوم القيامة بوجوه .

الاول ان هذا الليل الذى يهجمهم بظلامه ويستر النهار وضوءه ويظهر فيه هذه النجوم التى لاتحصى والكواكب التى لاتعد • وان هذا النهار الذى يتجلى ويظهر فيقضى على ظلام الليل ويكشف كل شيىء أن هذا الصنع العجيب والنظام البديع لايكون الا مـن صانع حكيـم وقادر مختار عليم وان من صنع هذا لايصعب عليه احياء الانسان بعد ما مات واصبح ترابا • وان مثل هذا الحاكم لايليق به أن يترك الناس دون نظام ، وان النظام يوجب ثواب المطيع وعقـاب المنحـرف عنه ، وحيث لايوجد هذا فى الدنيا كليا فلابد من أن يأتى يوم ينال فيـه المطيع ثوابه والعاصى عقابه • تحقيقا لعدالة الله تعالى •

الوجه الثانى : ان جعل هذه النطفة ذكرا وتلك أنثى فى رحـم واحد مع أنهما من ماء رجل وامرأة لايكون الا بارادة خالق مختـار يخصص ويجعل هذا ذكرا وتلك أنثى بمحض ارادته وهو الله تعالى وان هذا الخالق الذى يخلق هذه الاعداد الكثيرة من الذكور والاناث لايتصور فيه أن يتركهم دون شريعة ونظام ، وان النظام يثيب المطبق له ويعاقب المخالف له • وحيث لايوجد هذا فى الدنيا كليا فلابد أن يأتى يوم يحيا فيه الناس جميعا ويحاسبون على أعمالهم فينال المطيع ثوابه والعاصى عقابه ، تحقيقا لعدالة الله تعالى وان من قدر عـلى خلق الانسان من هذه النطفة وفى هذه الظلمة ، ظلمة الرحم والبطن وتقسيمها الى الذكر والانثى حسب ارادته لايصعب عليه أن يحيى الانسان فى ظلمة القبر فيعود انسانا كما كان ، وما ذلك عـلى الله بعـزيـز •

الوجه الثالث : ان افراد الانسان كلهم من عنصر واحد ومن مادة واحدة لاتوجب تلك المادة غرائز مختلفة وطبائع متباينة • فتبايـن

افراد الانسان فى طبائعها وميولها وغـرائزها وصفاتهـا ومهنهـا ونزعاتها لايكون الا بتقسيم وتخصيص من خالق حكيم يخصص كل انسان بطبيعة وعمل ومهنة ولون وشكل ورغبة وسعى ... و ... و ... الخ .

كما وان اختلاف أعمال العباد وتشتت أخلاقهم ، فمـن محسن ومسيىء وظالم وعادل وفاسق وصالح وفاجر ومتق وغير ذلك يشهد ان من خلقهم لا يعاملهم معاملة واحدة . فلابد للظالم من ان يعـذب على ظلمه . وللعادل أن يثاب على عدله . وللصالح أن ينال ثـواب صلاحه وللفاسق عقوبة فسقه . وان يوما يأتى لذلك الحساب ولذلك العذاب والثواب . تحقيقا لعدالة الله تعالى وهو يوم القيامة كما قال تعالى (أفنجعل المسلمين كالمجرمين مالكم كيف تحكمون) فقوله تعالى ان سعيكم لشتى اصبح كملة لجواب القسم المحـذوف وهـو أن يـوم الحساب يأتى . فالمعنى ان يوم الحساب يأتى لان سعيكم لشتى متفرق. ففيه صلاح وفساد وعبادة وفسوق وظلم وعدل وتقـوى وفجـور . ولا يمكن ان يذهب كل ذى عمل ويموت دون أن يسأل عنـه وينـال عاقبته . فلذلك لابد من أن يأتى يوم لحساب هؤلاء الناس على هذه الاعمال والجزاء وفقها . فان الله أحكم الحاكمين ، فحينما يحاسـب كل حاكم من تحت يده فلا يليق بالله أن لايحاسب من فى قبضته وأن لايجزيه حسب خصلته ، تعالى عن ذلك علوا كبيرا . كما قـال تعـالى (فما يكذبك بعد بالدين أليس الله باحكم الحاكمين) . ثم بعد ذلك ذكر الله تعالى نتيجة هذا اليوم وعاقبة حسابه للناس . فقال وعز من قائل : (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى) .

أى أن النـاس ينقسمون الى قسمين حسب الاعمال والاخـلاق والعقيـدة ٠

(فأما من أعطى) حقوق الله تعالى وحقوق العباد ٠

(واتقى) واجتنب المحارم والمنكرات ٠

(وصدق بالحسنى) أى وآمن بالعاقبة الحسنى يوم العرصات أى آمن بيوم القيامة والثواب فيه (فسنيسره لليسرى) أى فسنسهل له الطريق الى المنزلة اليسرى وهى الجنة ٠

(وأما من بخل) فلم يعط حق الله تعالى وغصب حق الناس ولم يعطهم (واستغنى) ورأى نفسه غنيا عن عمل الخير وعن ترك عمـل الشر الذى تهوى اليه نفسه حيث كفر ٠ (وكذب بالحسنى) ولم يؤمن بالثواب الجزيل والعطية الحسنى عـلى عمـل الخـير ٠ (فسنيسره للعسرى) نسهل له الطريق الى المنزلة العسرى وهى جهنم ٠

« ملاحظـة »

ان هاتين الآيتين تشملان اجمالا على جميع احكام الاسـلام فـان اعطاء حقوق الله وحقوق العباد يشمل كل ما أمر بـه الاسـلام مـن العقائد والاعمال والواجبات المالية والبدنية والجامعة بينهما ٠ وان التقوى أى اجتناب المحارم يشمل جميع مانهى الله عنه من المحرمات والعقيدة والعمل الفردى والجماعى والمالى والبدنى والجامع بينهما ٠ كما وان فى قوله تعالى (وصدق بالحسنى) اشارة الى ان كل عمـل لاينتفع به ولا يثاب عليه مالم يقترن بالايمان بالثواب والعقاب ويوم القيامة ٠ والى أن من عصى وأذنب لايستحق المنزلة المنتهية فى العسر والعذاب ، الا اذا اقترن بالانكار وتكذيب الثـواب والعـقاب ويـوم

الحساب . وأما من دونهم من المؤمنين فهم فى درجات أهون وأخف من درجاتهم ان دخلوا فيها واستحقوها بسبب ماصدر عنهم من المعاصى والذنوب والآثام .

« وما يغنى عنه ماله اذا تردّى »

أى وما يدفع عنه ماله شيئا من عذاب الله تعالى . (اذا تردى) أى اذا وقع فى جهنم . وهنا كأن سائلا يقول ان الله هو الذى خلق الانسان من هذه النطفة المهينة وفى ظلمة البطن والرحم . ثم ان شاء جعله ذكرا وان شاء جعله انثى . وان شاء جعله لا ذكرا ولا انثى لقدير أن يجعل الانسان على الطريقة المستقيمة ، طريق الحق والخير وسلوك الصراط المستقيم ، فلم لم يفعل ذلك .

فأجاب تعالى فقال :

« ان علينا للهدى »

الهدى بمعنى الهداية وهى جاءت بمعنيين ، اراءة الطريق المستقيم وبيان الخير والشر وعاقبتهما ، وبيان العمل الصالح والغير الصالح ونتيجتهما . وجاءت بمعنى جعل الانسان على الخير والصلاح والصراط المستقيم جبرا دون اختياره فالمراد بالهدى هنا هو المعنى الاول .

فالمعنى انا جعلنا من عادتنا ان نرشد الانسان ونبين له ماهو خير وما هو شر . وننذره بعاقبة الشر السيئة ، ونبشره بعاقبة الخير الحسنة ونرسل اليهم رسلا يبلغونهم بذلك ويدلونهم على طريق الحق المبين . ويبينون لهم الحجج والبراهين العقلية والنقلية التى يؤيدون بها تبليغهم وأنهم مرسلون ويظهرون المعجزات لهم وخوارق العادات .

وقد فعلنا ذلك واعطيناهم عقلا يميزون به الحق من الباطل والخير من الشر • ووهبنا لهم القدرة على سلوك سبيل الرشاد والسداد، وعلى سلوك طريق الضلال والفساد ، وذلك امتحانا لهم وليميز الخبيث من الطيب • ولم نجعل من عادتنا ان نهديهم الهداية بالمعنى الثانى أى ان نأتى بهم على الخير وعمله جبرا • أو الى الشر وكسبه جبرا دون اختيار منه •

« وأن لنا للآخرة والأولى »

أى وان الآخرة وهى القيامة والاولى وهى الدنيا كل ذلك ملك لنا فنهب للناس من الاثنتين حسب كسبهم وسعيهم واتخاذهم للاسباب المؤدية اليهما • فكما أنه لايلد من لم يتزوج ولا يحصد من لايزرع ولا يصل الى بلد من لم يمش اليه فى طريقه ، فكذلك الاخرة لايحصل على سعادتها الا من سلك الطريق الموصل الى ذلك وهو اتباع شريعة الله والتأسى بمحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم • وأشار تعالى الى ذلك فى قوله : (فمن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزى الشاكرين (آل عمران آية) •

وحيث ليس علينا الا الهدى واراءة الطريق :

(فأنذرتكم ناراً تلظى)

أى بلغناكم بنار تتلظى وبينا لكم الاعمال التى تلقيكم فى هذه النار التى •

« لايصلاها الا الأشقى »

أى لايدخلها الا الاشقى • وبين الاشقى بقوله :

(الذي كذب وتولى)

أى كذب برسول الله وما أنزل الله تعالى اليه وتولى وأعرض عن الايمان به ولم يلتفت اليه ·

« وسيجنبها الأتقى »

أى وسيبعد عن هذه النار الاتقى · وفسر الاتقى بقوله :

« الذي يؤتي ماله يتزكى »

أى يعطى ماله للمحتاجين ، ويقصد بذلك الاعطاء التطهر من البخل والتطهر من اثم مانع الزكاة والتطهر مما فى ماله من حق المحتاجين المحرم عليه امساكه ومنعه من ادائه اليهم ·

« وما لاحد عنده من نعمة تجزى »

أى ليس لاحد عند هذا الاتقى الذى يعطى الزكاة او ينفق مما آتاه الله تعالى ليس لاحد عليه (نعمة) أى حق او احسان يريد باعطاء الزكاة او الصدقة له ، وفاء لهذا الحق او الاحسان ·

(وهنا يتوجه سؤالان)

الاول : أنه قال تعالى (لايصلاها الا الاشقى الذى كذب وتولى) أى لايدخل جهنم الا الاشقى الذى كذب بالدين وتولى عن الايمان به وهذا هو الكافر كما لايخفى · فهذا يدل على أنه لايدخل جهنم الا الكافر · فيفيد ذلك عدم دخول عصاة المؤمنين النار ، وهذا خلاف مذهب أهل الحق ·

الجواب بوجوه :

الاول : أن المراد بهذه النار نار مخصوصة بلغت النهاية فى الحر بقرينة تقييدها بتلظى · فهذه النار لايدخلها الا الكافرون ·

وأما العصاة المؤمنون ان دخلوا فيدخلون نارا أخرى أخف وأقل حرارة من هذه النار ·

الوجه الثاني : أنه لايصلاها ولا يدخلها دخولا مؤبدا الا الاشقى وهو الكافر ، ولكن المؤمن العاصي فانه وان دخلها فانما يبقى فيها مؤقتا وبقدر ما يتطهر من الذنوب والاثام ، فيخرج الى الجنة باذن الله تعالى ·

الوجه الثالث : هذا القصر قصر اضافى لان الآية نزلت في الفرق بين أبي بكر الصديق رضي الله عنه واحد المشركين · فيكون المعنى لايصلاها من بين هذين الاثنين الا هذا الاشقى الذى كذب وتولى · (وسيجنبها الاتقى) وهو أبو بكر ، وهذا الجواب ضعيف لان الروايات في سبب النزول مختلفة على أن المورد لايخصص الآية ، فالاية عامة وان كان سبب نزولها خاصا ·

الوجه الرابع : الاشقى صفة مشبهة وليس أفعل تفضيل · فيكون بمعنى الشقى فيشمل الكافر والفاسق ، ولكن يرد هذا الجواب قوله (الذى كذب وتولى) فانه يخصه بالكافر ·

السؤال الثاني : ان قوله (سيجنبها) أى يبعد عن جهنم (الاتقى) يفيد أن التقى لايجنبها بل يدخلها ·

الجـــواب :

ان المراد بالاتقى ليس أفعل التفضيل ، بل هو صفة مشبهةفيكون بمعنى تقي ، فلا يبقى اشكال ·

السؤال الثالث : أنه لو فرضنا ان شخصا كان غنيا فكان يحسن الى آخر ثم افتقر الاول واصبح الثاني غنيا فأحسن اليه أو أعطى له

زكاته مكافأة فالعلماء متفقون على أنه يثاب ويجزء عنه أداءه الزكاة اليه ، مع ان الآية تفيد أنه لايجزى ولا يثاب ولا يجزىء أداءه هذا عن الزكاة الجواب بوجهين :

الاول : أن المراد بالنعمة ماهى حق ثابت عليه يطالب بأداءه كقرض أو أجرة أو غير ذلك ، فالاحسان لذلك ولاسقاطه لايقبل والزكاة لاتجزء ، وأما اذا لم يكن ذلك حقا مطالبا به بل مايمدح المكافأة عليه فهذا ليس داخلا فى مفهوم الآية ، بل الاحسان اليه أولى ٠ او نقول ان هذه مرتبة الاتقى وذلك مرتبة التقي ٠ فالاتقى حتى لو أعطى لمن له عليه حق لايطالب به لايقصد بذلك المكافأة بل مجرد ابتغاء وجه ربه ٠ وانما الاعمال بالنيات ٠

الوجه الثانى : أنه فسر بعض العلماء هذه الاية بأن ضمير عنده راجع الى الله تعالى ، والنعمة بمعنى العمل ٠ فيكون المعنى وليس لاحد عند الله تعالى عمل يستحق أن يجزى به الا عملا عمله ابتغاء وجه ربه الاعلى بأن يكون خالصا لله تعالى لايشوبه شيىء من الرياء أو غرض من أغراض الدنيا ٠ فعلى هذا المعنى لايتجه السؤال هذا ٠

إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى

« ولسوف يرضى »

من يعمل هذا العمل الخالص من الرياء والذى لم يقصد به الا وجه الله تعالى ورضائه ٠

يرضى بالثواب الذى يثاب به عند الله تعالى والنعيم الذى دخله نتيجة الايتاء للمال والاحسان الى أهل الحاجة والاقلال ٠ جعلنا الله تعالى منهم آمين فانه أرحم الراحمين ٠

سورة الضحى

مكيــة

(نزلت بعد الفجر وآياتها عشرة)

بسم الله الرحمن الرحيم

والضحى والليل اذا سجى

اذا ذكــر الضحى مضافا الى الشمس مثــل والشمس وضحاها ٠ فالمعنى شدة ضوءها ٠ واذا ذكر وحده فالمراد به مابين ارتفاع الشمس والزوال ٠ واذا ذكر مع الليل كما هنا فالمراد به النهار كله فيكــون المعنى والنهار و (والليل اذا سجى) أى اذا غشى النهار وستر ضوءه بظلامه ٠ وذلك يكون بعد غروب الشفقين الاحمر والابيض جميعــا لان جماله الدال على عظم قدرة الله تعالى يظهر كاملا فى ذلك الوقت لان النجوم والكواكب لايظهر كلها الا بعد استقرار الليل وزوال اثار الشمس من الشفقين كليهماوهكذا كل شيىء اذا قيد بوقتفلأنجماله الكامل يظهر فى ذلك الوقت ٠ مثل والقمر اذا تلاها أى اذا طلع بعد غروب الشمس وذلك انما يكون حينما يتم بدرا فيكمل جماله وعلى هذا فقس ٠ وجواب القسم قوله :

ما ودعك ربك وما قلى

أى ماتركك ربك وما قلاك أى وما اغضبك سبب النزول ٠

روى أن الوحى انقطع عن رسول الله صلى الله تعالى عليه واله وسلم مدة اختلف الرواة فى قدرها ٠ فقال المشركون ان محمدا قلاه ربه وودعه أى اغضبه وتركه ٠ فحزن رسول الله صلى الله تعالى عليه

واله وسلم فأنزل الله تعالى (والضحى الخ وان هذا الكلام وان كان في صورة القسم الا أنه استدل الله تعالى بالنهار وضوءه الثاقب · وهجوم الليل بظلامه الدامس وستره ضوء النهار استدل بهذا على أنه لم يترك محمدا وما قلاه ـ فالمعنى الا ترى يامحمد أن النهار يـأتي ويدوم مدة ثم يجيىء الليل فيقضي عليه ويستر ضوءه · وان هذا شيىء دائب ومستمر ومن البديهى أنه ليس مجيىء الليـل وستره للنهار لان الله تعالى قلا الناس وتركهم · بل انما ذلك لمصلحة وحكمة وكذلك الدنيا كلها نور فظلام وحزن فسرور · وضيق فبسط وليس مجيىء هذه الاحوال بعضها بعد بعض لان الله تعالى قلا عباده وتركهم بل لمصلحة انيطت بتلك التبديلات وهذه التغييرات · فكذلك الوحى يامحمد حينما ياتيك وقتا ثم ينقطع زمانا فليس انقطاعه لان الله تعالى ودعك وقلاك بل لمصلحة ارادها ربك من هذا الانقطاع فلا تحزن بما يقوله المشركون وما يفتريه المبطلون ·

« وللآخرة خير لك من الأولى »

اللام فى وللاخرة جواب لقسم وهو عند المفسرين قوله (والضحى والليل اذا سجى) ولكن حيث ان هذا القسم كان مؤولا بالاستدلال · فالاولى أن القسم محذوف بقرينة اللام · وذلـك شائع فى القـرآن الكريم · وتقديره وبعزتى (للأخرة خير لك من الاولى) أى ان ماهيأه الله تعالى لك فى الآخرة وهى يوم القيامة خير لك مما وهبه لك فى الدار الاولى وهى الدنيا هكذا قال المفسرون · الا أن هـذا الوحى جاءه ليطمئنه بان الله تعالى لايتركه ولا يقلاه فى الدنيا ولم يأت ليخبره عن حاله فى الاخرة · فالمعنى لاتحزن يامحمد ولا تخف فأن

كل حالة آخرة ولاحقة وآتية خير لك من الحالة السابقة والاولى فيدخل في ذلك الدار الآخرة أيضا • فيكون المعنى أعم واشمل : وهكذا كان الرسول صلى الله تعالى عليه واله وسلم يترقى يوما بعد يوم وعاما بعد عام الى ان توفاه الله تعالى والتحق بالرفيق الاعلى •

« ولسوف يعطيك ربك فترضى »

هذا اللام أيضا جواب لقسم محذوف تقديره وبعزتي لسوف يعطيك ربك من النعم والمراتب العالية الى أن ترضى بما وهب لك من النعم والمزايا ويروى أنه حينما نزلت هذه الآية قال صلى الله تعالى عليه واله وسلم لا أرضى وواحد من أمتي في النار • ولذلك قال بعض العلماء ان هذه الاية هي أرجى آية في القرآن • ثم برهن الله تعالى لمحمد على أنه لم يتركه ولم يقله وأنه يريد له من النعم في المستقبل حتى يرضى • فقال تعالى :

« ألم يجدك يتيماً فآوى »

أى فآواك لوفاة أبيك الىرعاية جدك عبدالمطلب والى كفالةعمك ابى طالب بعد وفاة جدك وألقى في قلبهما العطف والمحبة اليك بحيث كانا يؤثرانك على أبنائهما • روى أنه كان لعبد المطلب تكرمة وفراش لايجلس عليه أحد مهابة منه وتعظيما له • وكان كل من أراد أن يجلس عليه من أولاده أو غيرهم يمنع من ذلك ولكن محمدا كان يذهب ويجلس عليه • وحينما يريد أحد أن يمنعه يقول عبدالمطلب دعوه فان لابني هذا لشأنا وكذلك عمه ابو طالب بعدما تكفله كان يراعيه اكثر من أولاده ويؤثره عليهم •

فالاستفهام هنا للانكار وانكار النفي اثبات فالتقدير وجدك

يتيما فآواك ولهذا صح عطف الاخبار بالماضى المثبت عليه فى قوله تعالى ٠

« ووجدك ضالاً فهدى »

أى وجدك ضالا لاتعلم شريعة ولا نظاما آلهيا ولا دينا سماويا تدين به ولا كتابا ولا علما ولا قراءة تستنير بها فهداك تعالى الى ذلك كله ٠ وهذا كما قال تعالى فى سورة النساء الآية ١١٣) وأنزل عليك الكتاب والحكمة وعلمك مالم تكن تعلم) ومثل ماقال فىسورة الشورى الآية ٥٢ وكذلك أوحينا اليك روحاً من أمرنا ماكنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى الى صراط مستقيم ٠

فبعدما أوضح الله تعالى هذا الايضاح من معنى الضال لاحاجة الى ماتكلف المفسرون من تأويل معنى الضال فى هذه الاية ظنا منهم ان هذا لايليق بعظمة الرسول صلى الله تعالى عليه واله وسلم وقدره ٠ وهذا الظن ليس فى مكانه فان الرسول كان كفرد من افراد قومه ٠ وانما جل قدره باجلال الله تعالى له باختياره رسولا منه وتعليمه مالم يعلم وغير ذلك من ما انعم عليه من جلائل النعم ولا يضر عظمة قدره أنه كان قبل ذلك أميا بعيداً عن الشرائع واحكام الله تعالى وغير ذلك مما اوحى اليه فصلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم تسليما كثيرا

« ووجدك عائلاً فأغنى »

أى وكنت فقيرا لامال ولا ملك لك (فاغنى) أى فاغناك بأن قدر زواجك بخديجة رضى الله تعالى عنها وتسليمها اليك أموالها تتصرف فيها كيف تشاء ٠ هذا والمفعول فى فآوى ٠ وفأغنى وفهدى محذوف

هو كاف الخطاب والتقدير فـآواك · فهداك · فأغناك كل منها لرعاية الفاصلة · وللاستغناء عن ذكره للعلم به · ومن البلاغة الايجاز بشرط عدم الاخلال بالمعنى · وهكذا آكد تعالى تسلية رسوله بتذكيره بهذه النعم فكأنه قال تعالى ان من راعاك هذه الرعاية فيما مضى لايدعك ولا يقلاك فيما يستقبل ·

ثم أوجب الله تعالى عليه مقابل كل نعمة من هذه النعم الثلاث واجبا ملائما لها ليكون شكرا عليها فمقابل ايوائه فى حال اليتم قال تعالى ·

« فأما اليتيم فلا تقهر »

أى فلا تظلمه ولا تؤذه ولا تأكل ماله ولا تهضم حقه · ومقابل تعليمه العلم بالشريعة والاحكام وغير ذلك قال تعالى ·

« وأما السائل فلا تنهر »

أى اذا سألك سائل عن علم أو مسئلة فلا تزجره ولا ترده بل علمه كما علمك الله تعالى · ومقابل اغنائه واعطائه المال قال تعالى :

« وأما بنعمة ربك فحدّث »

أى أظهر ما انعم الله تعالى به عليك من المال وذلك بصرفه فيما يجب عليك من نفقة الاهل والعيال وترفيههم فى الحياة وبالانفاق فى سبيل الله تعالى والتصدق به على الفقراء والمساكين والمحتاجين والمعوزين · هذا وان هذه الواجبات ليست مختصة بالرسول صلى الله عليه واله وسلم بل ان قهر اليتيم وظلمه حرام على كل انسان · وانه من الكبائر المهلكات قال تعالى (أرأيت الذى يكذب بالدين فذلك

الذى يدع اليتيم • وقال (ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا) •

وكذلك ان نشر العلم واجب على كل أحد وان كتمه من الكبائر قال الرسول صلى الله تعالى عليه واله وسلم (من آتاه الله علما فكتمه ألجمه الله تعالى بلجام من النار •

كما وأن صرف المال واجب على كل مسلم لنفسه وأهله ولمن احتاج اليه من الفقراء والمساكين • قال : صلى الله تعالى عليه واله وسلم (لايؤمن أحدكم بات شبعان وجاره جائع) وقال أيضا (ان الله جميل يحب الجمال) وقال أيضا (ان الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده والاحاديث في هذا الباب كثيرة جدا) •

فائـــدة

كان النبى صلى الله تعالى عليه واله وسلم اذا بلغ آخر والضحى كبر بين كل سورة وأخرى الى أن يختم القرآن فيسن لنا أن نكبر بعد تلاوة والضحى وأن نجعل سكتة بين القراءة والتكبير • وبين التكبير والابتداءبالسورة التالية• فكان الرسول صلى اللهتعالىعليهوسلميكبر شكرا على استئناف الوحى بعد الانقطاع وشكرا على هذه النعمة • ونعمة الرسول (ص) نعمة لنا فعلينا شكرها جعلنا الله تعالى من الشاكرين وغفر لنا أجمعين •

خاتمـــة

اختار الله تعالى أليُتم لمحمد صلى الله تعالى عليه وأله وسلم لامور الاول ليعلم الناس أن اليتم ليس منقصة فقد كان خير خلقالله تعالى يتيما •

الثانى ليعلم الناس أن العز والشرف والتربية الحسنى بيد الله تعالى فمن لم ير به الوالدان ومن لم يعش فى كتف أب ولا أم جعله الله تعالى اعظم الناس شرفا وعزا وتربية واخلاقا وجعله قدوة للناس جميعا (ولكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا .

الثالث : ليتدرب الرسول من الطفولة على الاعتماد والتوكل على الله تعالى وحده دون غيره من العباد والمخلوقين ولهذا السبب نفسه توفى جده وزوجه الاولى وعمه أبو طالب والذين كان يعتمد عليهم وبذلك تم له التوكل على الله تعالى وحده .

الامر الرابع ليحترم الناس اليتامى ويكرموهم حيث انهم يشاركون خير خلق الله تعالى فى صفة اليتم هذا والله تعالى أعلم .

١٧
سورة الشرح

مكية نزلت بعد الضحى وآياتها ثمان

بسم الله الرحمن الرحيم

ورد فى سبب نزول هذه السورة روايات يتخلص منها أن الرسول صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أصابه وأصاب أصحابه عسر فحزن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بسبب ذلك فسلاه الله تعالى ووعده بأن هذا العسر سيزول فانزل هذه السورة فقال تعالى :

« ألم نشرح لك صدرك »

الاستفهام للانكار وانكار النفى اثبات فالمعنى قد شرحنا لك صدرك ولذلك صح عطف الاخبار بالمضى المثبت عليه فى قوله تعالى

ووضعنا عنك الخ فى المراد بشرح الله تعالى صدر رسوله (ص) قولان : الاول هو أن الله تعالى افتح قلبه الشريف وجعله مستعدا لقبول الوحى الآلهى • وأفاض عليه أنوارا وملأه علوما ومعارف وحكمة • فأصبح كل ذلك سببا لحيرة الناس فيه ومعجزة تتلى الى يوم القيامة •

القول الثانى • مارواه مسلم عن أنس رضى الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم • أتاه جبريل عليه السلام وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فشق عن قلبه فاستخرجه فاستخرج منه علقة فقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله فى طست من ذهب بماء من زمزم ثم لأمه • ثم أعاد القلب الى مكانه • وجاء الغلمان يسعون الى ظئره وهى حليمة السعدية • فقالوا ان محمدا قد قتل • فاستقبلوه وهو منتقع اللون وحكى لهم ماجرى قال أنس وقد كنت أرى أثر المخيط فى صدره هذا • ويجوز ان يراد المعنيان معا فانه لاتناقض بينهما بل ان مفادهما واحد •

« ووضعنا عنك وزرك »

كان رسول الله صلى الله تعالى عليه واله وسلم شديد الهم حيث كان حريصا قبل النبوة على اخراج الناس من الجهالة الى العلم ومن الفوضى الى النظام • ومن عبادة الاصنام الى عبادة الله الواحد الاحد • فكان يترجى دائما ان يريه الله تعالى منهاجا لاصلاح الناس وتثقيف هذه الامة • فاورث ذلك ثقلا عظيما على نفسه فلما أوحى الله تعالى اليه هذا القرآن الكريم زال همه الذى كان على نفسه كحمل ثقيل ينقض ظهر حامله ولذلك قال تعالى :

« الذي أنقض ظهرك »

أى الثقل الذى أنقض ظهرك وتفسير بعض العلماء الوزر بالاثم لايقبله ماثبت من عصمة الانبياء عليهم السلام وكل ماقالوا بعد ذلك فى تأويل هذا الاثم تكلف فلا حاجة الى اثبات الاثم ثم تأويله فان هذا شيىء عجيب فالمعنى الصحيح ماقلنا ٠

« ورفعنا لك ذكرك »

حيث جعلناك رسولا منا الى كافة الخلق بشيرا ونذيرا ٠ وجعلنا طاعتك طاعتنا ومعصيتك معصية لنا ٠ ثم بعدما ذكر الله تعالى هذه النعم التى انعم بها على رسوله من شرح صدره وملأه علوما ومعارف ٠ ومن انقاذه من الحيرة ٠ وايتائه منهجا مستقيما يقيم به حياة الامة والناس جميعا وهدايته الى صراط مستقيم بوحى هذا القرآن الكريم اليه ٠ وجعله أشرف خلق الله تعالى وخاتم النبيين بعد أن كان كواحد من افراد أمته ٠ وان جعل ذكره رفيعا حيث يقرن اسمه باسم الله تعالى فى الاذان والاقامةوعلى المآذن والمنابر وفىالمحافلوالمؤتمرات٠ وغير ذلك مما يدل على عظيم قدره وعلو شأنه ٠ فبعد ان ذكر تعالى هذه النعم وانه لم يزل يخرجه من المراحل المسرة ٠ أعلمه بان عناية الله لم تتركه ورعايته لم تهمله بل انه سينقذه من هذا العسر أيضا فقال وجل من قائل ٠

« فان مع العسر يسراً ٠ ان مع العسر يسراً »

ثبت فى قواعد اللغة العربية ٠ أن الشيىء اذا أعيد معرفا فالمراد به عين الاول سواء كان ذكر الاولمنكرا كما قال تعالى (كما أرسلنا الىفرعونرسولاً فعصىفرعون الرسول) ٠ فالمراد بالرسول الثانىعين الاول وهو سيدنا موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام او كان

الاول معرفا أيضا كالعسر في هذه الآية الكريمة فالمراد بالعسر الثاني عين الاول • وأما اذا اعيد الشيىء منكرا فالمراد به غير الاول سواء ذكر الاول معرفا مثل أن تقول بعت داري واستأجرت دارا فالمراد بالدار الثانية غير الاولى او ذكر الاول منكرا ايضا مثل يسرا في هذه الآية فالمراد باليسر الثاني غير الاول فعلى هذا يكون مع كل عسر يسران • ولذا قال الرسول صلى الله تعالى عليه وآله وسلم حينما نزلت هذه الآية لن يغلب عسر يسرين • وهذا المعنى أولى من حمله على التكرير للتأكيد للحديث المار • ولان التأسيس خير من التأكيد • هذا •

ثم بعدما عدد الله تعالى هذه النعم وذكر الرسول بها ووعده بالنعم في المستقبل بالاتيان باليسر بعد العسر أمره بالشكر على ذلك فقال تعالى •

« فاذا فرغت فانصب »

اى اذا فرغت من موعظة الناس وارشادهم وتبليغهم ومشاغل أخرى (فانصب) أى فاتعب بعبادة الله تعالى •

« والى ربك فارغب »

أى وليكن رغبتك في كل شيىء من الموعظة والارشاد والعبادة وكل عمل الى الله تعالى وابتغاء وجهه ورضاءه • وبذلك يتم الاخلاص الذى لايقبل اى عمل بدونه وبه يصير كل عمل مشروع طاعة وعبادة لله تعالى ويثاب فاعله عليه • حتى ان العامل في المعمل اذا قصد بعمله أداء واجب الانفاق على نفسه وعلى اهله وصرفه ما ينتج في مايرضى الله تعالى فيكون عمله كله عبادة ويأخذ في مقابله الاجر من الله تعالى في الآخرة كما يأخذ الاجرة عليه في هذه الدنيا • وهكذا فكل عمل يقوم به • الانسان من الاعمال المشروعة ينقلب عبادة

لله تعالى بالنية الصالحة وبالوجهة الموافقة للشرع الشريف شريعة الله تعالى . قال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : مامن مسلم يغرس غرسا او يزرع زرعا فيأكل منه طير او انسان او بهيمة الا كان له به صدقة أو كما قال : وهكذا كل عمل من الاعمال المباحة التى تنفع الامة تكون عبادة مع النية الصادقة والوجه الصحيح الموافق للشرع .

(خاتمة)

فى هاتين السورتين . الضحى والشرح يقف القارىء حائرا من عظمة الرسول الكريم (ص) ومنزلته عند الله تعالى فانه يرى أنه كلما أصابه هم او حزن او عسر يتداركه الله تعالى بالتسلية ويذكره بالنعم السابقة ويعده بالنعم اللاحقة ويخبره بان رعاية الله تعالى ليست بغافلة عنه ولا مهملة له وان الله تعالى لايسلمه الى الضيعة والخسر والحرمان . بل لايزال تعالى يرتقى به فى المراتب العالية ويفيض عليه نعما جليلة يجب الشكر عليها . كما وان فى سورة الشرح معجزة حيث أخبرت بأن العسر يزول وأن من ورائه يسر كبير وقد وقع كما . أخبرت هذا . وان الاخبار بأن اليسر مع العسر يحتمل أنه كان خاصا بالرسول صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ويحتمل أن يكون عاما واخبارا وبشارة لكل من وقع فى عسر بأنه سيفرج عنه ويزول عسره ويأتى له اليسر من الله تعالى ويؤيد ذلك ماقال الشاعر

اذا ضاقت بك الامر ففكر فى ألم نشرح

فعسر بين يسرين اذا أبصرته فافرح

اللهم أزل عنا كل عسر وآتنا باليسر وفرج عنا وأدركنا بلطفك وكرمك ياارحم الراحمين آمين وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين وصلى الله على المولى محمد وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديهم وسلم أجمعين آمين .

سورة التين

مكية نزلت بعد البروج وهى ثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

والتين • والزيتون • وطور سينين وهذا البلد الأمين •

قال بعض المفسرين المراد بالتين هو الفاكهة المعروفة وبالزيتون مايعصر ويستخرج منه الزيت • اقسم تعالى بهما لكثرة فوائدهما • الا أن هذا القول ليس بسديد لانه لاتوجد مناسبة فى الجمع بين هاتين الفاكهتين وبين هذين المكانين أعنى طور سينين ومكه المكرمة • وان القرآن لايجمع بين الاشياء بدون مناسبة بينهما فالاولى ماقال البعض الآخر من ان المراد بالتين • طور تيناء وهو جبل فى فلسطين سمى بهذا الاسم لكثرة شجرة التين فيه • وان هذا الجبل كان منبت الانبياء ومهبط الوحى اليهم • والمراد بالزيتون طور زيتاء وهو ايضا جبل فى فلسطين سمى بهذا الاسم لكثرة شجرة الزيتون فيه وهو ايضا منبت الانبياء ومهبط الوحى اليهم • والمراد بالطور طور سيناء مهبط الوحى الى سيدنا موسى علىنبينا وعليه الصلاة والسلام والبلد الامين هو مكة المكرمة مهبط الوحى على خير خلق الله محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أقسم الله تعالى بهذه الامكنة لقديستها بنزول الوحى فيها على الانبياء والمرسلين وجواب القسم قوله تعالى :

لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم • ثم رددناه أسفل سافلين • الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون •

هذا ولكنه فى الحقيقة ان الله تعالى برهن بما اوحى فى هذه الاماكن كلها على الانبياء والمرسلين • على أن الانسان خلق فى أحسن تقويم ثم يرده الله تعالى الى أسفل سافلين الا الذين آمنوا الخ •

فالمعنى ان ما أوحى من الله تعالى فى تلك الاماكن الى الانبياء يشهد وينص على ان الانسان خلق فى احسن تقويم اى فى احسن صورة فصورة الانسان احسن من كل مخلوق من مخلوقات الله تعالى • لانه خلق مستويا ومعتدلا وان غيره من الحيوانات خلق مكبأ على وجهه • وقد أعطاه الله تعالى نبذة من صفاته كالعلم والقدرة والارادة والسمع والبصر والكلام والرضا والغضب وغير ذلك • وان له مزايا واستعدادات لاتوجد فى الجن ولا فى الملائكة ولذلك أمر الملائكة ان يسجدوا للانسان فالانسان أحسن من كل مخلوق •

روى أن رجلا حلف بالطلاق الثلاث أن زوجه أحسن من البدر فاحتار العلماء فى الفتوى بوقوع طلاقه او عدم وقوعه • الا أن أحد العلماء أفتى بعدم وقوع طلاقه محتجا بأن الانسان أحسن من كل شيىء ومن القمر والشمس أيضا واستدل بهذه الآية التى تقول (لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم) فوافق العلماء على فتواه هذه •

« ثم رددناه أسفل سافلين »

أى رددنا الانسان بسبب سلوكه السيىء واعماله المنكرة الى مكان أسفل واحط من كل سافل وهو جهنم ٠

« الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجـر غير ممنون » ٠

أى لكن الذين آمنوا ايمانا صحيحا وعملوا الاعمال الصالحات أى المحبوبة الى الله تعالي والمستحسنة حسب شريعته فانهم لايردون الى أسفل سافلين ولا يدخلون جهنم بل لهم مقابل اعمالهم أجر غير مقطوع ٠ وثواب لاينتهى ولا يزول ٠ وذلك بدخولهم دار الخلد ودار السلام وهى الجنة ٠

هذا ٠ وأما من فسر أسفل سافلين بالشيب والهرم فغير مصيب حيث لايصل كل انسان الى الشيب والهرم بل كثير منهم يموت قبل ذلـــك ٠

هذا ٠ وقد مر تفسير هذه الآية مفصلا فى سورة الانشقاق الا أنه من اللازم أن نشرح الايمان الصحيح ونبين ان الاعمال الصالحة ماهى وسيأتى ذلك فى سورة (العصر) ان شاء الله تعالى ٠

ثم بعدما ذكر الله تعالى الدليل النقلى الصادق على ان الانسان خلق فى أحسن تقويم ثم يرد الى جهنم دار العقاب وان الذين آمنوا وعملوا الصالحات فانهم يدخلون الجنة ويكرمون فيها ٠ خـــاطب الانسان الذى لايؤمن بهذا الجزاء يوم القيامـــة فقـــال مستفهمـــا الاستفهام الوارد للتوبيخ والتكدير والتضليل ٠

« فما يكذبك بعد بالدين »

أى بعد أن ذكرنا لك هذه الدلائل على ثبوت الجزاء والثواب والعقاب وان ما أوحى فى هذه الاماكن على هـؤلاء الانبياء ينص ويشهد ويدل على ذلك فما الذى حملك أيها الانسان بعد كل ذلك على ان تكذب (بالدين) أى بالجزاء من الثواب والعقاب اى ليس لديك أى حجة تحملك على هذا سوى الضلال والتعنت والاستكبار ·

ثم بعد ذلك انتقل الله تعالى من الدليـل النقلى الى الدليـل العقلى المثبت للثواب والعقاب فقال تعالى :

« أليس الله بأحكم الحاكمين »

الاستفهام للانكار وانكار النفى اثبات فيكون المعنى ان الله تعالى أحكم الحاكمين وأعلاهم وارفعهم وان من البداهة أن كل حاكم يضع نظاما لمن هو تحت حكمه فيكرمهم على اطاعتهم لنظامه ويعاقبهم على مخالفته والانحراف عنه فاذا كان هذا شأن كل حاكـم فكيف بالله تعالى وهو أحكم الحاكمين وملك الملوك فهل يدع الناس دون نظام وشريعة كلا · بل انه وضع نظاما ويثيب المطيع له ويعاقب المنحرف والمخالف له · وحيث لايوجد هذا الثواب والعقاب فى الدنيا لكل أحد فلابد من ان يأتى يوم ينفذ فيه هذا الثواب والعقاب بالنسبة لكل أحد تحقيقا لعدالة الله وبهذه الطريقة يثبت وجود يوم الجزاء ومجيئه وانجاز الجزاء فيه · هذا ويسن للقارىء حينما قرأ هـذه الآية أن يقول بعد سكتة بلى ونحن على ذلك من الشاهدين تصديقـا لما قال تعالى وايمانا لما أخبر به والله تعالى أعلم ·

« سورة العلق »

ـ مكيـة ـ

(وهى أول سورة نزلت من القرآن الكريم ، وآياتهـا تسـع عشرة) فى الصحيحين عن السيدة عائشة رضى الله تعالى عنهـا قالت : أول مابدىء به رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم من الوحى الرؤيا الصادقة فى النوم · فكان لايرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب اليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء يتحنث فيه الليالى ذوات العدد قبل ان يرجع الى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها حتى فاجاه الحق وهو فى غار حراء فجائه الملك فقال اقرأ فقال ما أنا بقارىء ، قال فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال اقـرأ فقلت ما أنا بقارىء فاخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال :

« اقرأ باسم ربك الذى خلق »

أى اقرأ بقدرة ومعونة ربك الذى أوجد الخلق وخلق كل شيىء فالذى قدر على أن يخلق الخلق كله ويخلق هـذه المصنوعات كلهـا لقدير على أن يقرئك ويعلمك القراءة · ثم ذكر من بين المخلوقات كلها ماهو أعجب وأشرف الموجودات وهو الانسان فقال :

« خلق الانسان من علق »

العلق جمع علقة وهى الدم المتجمد فى الرحم سمى بذلك لانها لو مسستها لعلقت بيدك ، هذا وان خلق الانسان يبدأ من التراب ثم من النطفة ثم من العلقة كما قال تعالى (فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة) «الحج» ·

فلم خصص هنا هذا الدور من خلق الانسان بالذكر ؟ الجواب لان الله تعالى خصص ذكر الانسان هنا لشرفه وتميزه عن سائر الحيوانات وان العلقة أول مبدأ تميزه من الحيواثات فان كلا منها يكون من تراب ثم من نطفة ثم من العلقة فيتميز الانسان من سائر الحيوانات . حينما تتحول العلقة الي المضغة الصالحة لتصوير الانسان منها . فالذى خلق هذا الانسان العجيب لقدير على أن يعلمك القرائة . ثم بعد ماذكر واثبت أن الله لقدير على ان يعلمه القراءة أراد ان يطمئنه على أنه يعلمه القرائه ، فان كون الله قديرا على تعليمه القراءة لايلزم منه أن يعلمه فلذا قال :

« اقرأ وربك الاكرم »

أى اقرأ فان ربك اكرم واكثر عطاء من كل أحد فيكرمه وجوده هذا يقرئك ويعلمك القرائة .

« الذى علم بالقلم »

فمن كان من كرمه ان يعلم الناس بهذا القلم الجامد ، يعلمك بهذا الكرم وبالملك المرسل اليك لتعليمك وهو جبريل والملك أعلى من القلم فى التعليم . ومن كرمه انه .

« علم الانسان مالم يعلم »

فيعلمك مالم تعلم من القراءة وغير ذلك مما يوحى اليك ويلقى فى قلبك من العلوم والمعارف والفيوضات الالهية التى تعجز بها الناس وتشهد بأنك رسول من الله تعالى فالى هنا اول مانزل فقط .

ثم بعد ماذكر الله تعالى أن كل شيىء بيد الله تعالى وأنه هو الذى خلق كل شيىء وان كل ماعند الانسان من العلم او المال او

القراءة او غير ذلك كله من الله تعالى · أشار تعالى الى حال بعض من الانسان فانه حينما حصل له ثروة من المال او العلم او القراءة او أى متاع من أمتعة الدنيا ورأى نفسه غنيا ذا ثروة فانه يطغى ويعتقد بأن ذلك حصل له من عنده وبكسبه وسعيه فقال : ردا لزعمه هذا ·

« كلا ان الانسان ليطغى »

ـ كلا ـ أى ليس كما يزعم الانسان ولكن ـ ان الانسان ليطغى ـ ويتجاوز حده ·

« أن رآه استغنى »

لانه علم بنفسه أنه صار غنيا وذا ثروة ومقدرة من اى ناحية فيعتقد أن ذلك من كسبه وسعيه ويفتخر ويتباهى بذلك وينسى ويعصى ربه الذى أعطاه ما استغنى به ·

« ان الى ربك الرجعى »

أى ان الى ربك يامحمد رجوع هذا النوع من الانسان فينتقم منه على هذا الطغيان ، ونسيانه نعمة ربه وشكره ، ذلك المنعم الكبير جل جلاله وان هذا النوع من الناس لكثير · وان سبب نزول قوله تعالى كلا الى آخر السورة ، وان كان فى حق أبى جهل فلا يضر عمومه لكل من وجد فيه هذه الصفات من يوم نزول القرآن الى يوم القيامة ، فان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص المورد كما هو مقرر فى علم الاصول ثم أشار الى مظهر من مظاهر طغيان الانسان الذى ظهر من أبى جهل حينما قال ان رأيت محمدا يصلى لا طئن رأسه فقال تعالى مشيرا الى هذا الطغيان فقال :

« أرأيت الذى ينهى عبداً اذا صلى »

الاستفهام للتقرير أى قد رأيت وعلمت الذى ينهى عبدا وهـو محمد اذا صلى لله تعالى ينهاه عن الصلاة فهذا مظهر من مظاهر الطغيان والاستغناء بالثروة والمال والعشيرة ثم أخبر تعالى بان هـذا الطغيان بسبب ضلاله وعدم تقواه فقال :

« أرأيت ان كان على الهدى أو أمر بالتقوى »

أى قد علمت أنه لو كان على الهداية والرشد والامر بالتقوى لما طغى هذا الطغيان ولما نهى رسول الله عن عبادة ربه تعالى ، ثم بعد ماذكر طغيان أبى جهل وتهديده رسول الله صلى الله تعالى عليـه واله وسلم بوطأ رأسه ان رآه يصلى ، سلى الله تعالى رسوله فقال :

« أرأيت ان كذب وتولى »

أى قد علمت أنه ان كذب بك وتولى عن الايمان بك الا ينتقـم الله تعالى منه والا يعاقبه ثم هدده بوعيد شديد فقال :

« ألم يعلم بأن الله يرى »

مايفعل وما يقول وما يكيد ويدبر ضد رسول الله وضـد هـذا الدين دين الله تعالى وصراطه المستقيم ثم اكد تعالى الوعيد بقوله :

« كلا لئن لم ينته لنسفعاً بالناصية »

ـ كلا ـ أى فلينته من عمله هذا ومن كفره وكيده ضد الاسلام فبعزتى ـ لئن لم ينته عن هذه الاعمال ٠

ـ لنسفعاً ـ أى لنأخذنه ، ـ بالناصية ـ فنجره الى نار جهنـم وبئس المصير ثم علل جره بالناصية بقوله :ـ

« ناصية كاذبة خاطئة »

أى لان ناصيته كانت كاذبة مذنبة ثم أعلن الله تعالى الحرب بينه وبينه فقال :

« فليدع ناديه »

أى فليناد أهل مجلسه ليدافعوا عنه فأنهم لايستطيعون من ذلك شيئا لأنا ٠

« سندع الزبانية »

فيجرونه ويسحبونه الى النار فلا يستطيع أحد ان ينصره أو أن يدافع عنه أو يشفع له ثم نبه تعالى رسوله على أن لايطيعه فى نهيه اياه عن الصلاة فقال :

« كلا لاتطعه واسجد واقترب »

ـ كلا ـ أى لاتهتم بنهيه ووعيده ـ لاتطعه ـ فيما ينهاك عنه من الصلاة بل داوم على صلاتك ٠ واسجد ـ لله تعالى وصل له ـ واقترب ـ منه بالصلاة والسجود له فانه يحميك ومن كيد هؤلاء الكفرة ينجيك ولا يضرك كيدهم شيئا وقد فعل ذلك حيث انتصر رسول الله ، وقتل أبو جهل فى حرب بدر شر قتلة وفى هذه الاية أشارة الى أن السجود سبب للاقتراب من الله تعالى ورفعة منزلة العبد عنده ولذا قال الرسول صلى الله تعالى وسلم « أقرب مايكون العبد الى الله وهو ساجد » أو كما قال ٠

ـ خاتمة ـ

ليس أبو جهل رجلا وجد فى زمان فراح وقتل بل الى القيامة وفى كل زمان يوجد آباء جهل ، من الناس يمنعون المسلمين ان استطاعوا من اتباع دين الله وتطبيق شريعة الله والعمل بكلامه والسير وفق نظامه الا انه يجب على المسلم آن يصمد ولا يطيعهم ويسجد لربه ويعبده وينشر دعوته ونظامه فبذلك يقرب من الله تعالى ، وان الله تعالى يحميه ومن شر هؤلاء الاشرار ينجيه فليست هذه الآية خاصة بما دار بين الرسول وابى جهل ولا بزمانهما بل هو يخبر عن مابين الاخيار والاشرار الى يوم القيامة من عداء سافر ووعد للمؤمنين بالنصر ان استقاموا ووعيد للاشرار ان لم ينتهوا فان العبرة دائما بعموم اللفظ فى الكتاب والسنة لا بخصوص الواقعة وسبب الورود فبشرى لك أيها المؤمن الصامد على عقيدة الله وياويلا للمنحرف عن دين الله والتابع لخطط الشياطين حفظنا الله تعالى منهم أجمعين آمين ٠

ـ سورة القدر ـ

الاصح أنها مكية نزلت بعد عبس

وهى خمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

« أنا انزلناه فى ليلة القدر »

أى أنا أنزلنا القرآن فى ليلة القدر ، فالضمير راجع الى القرآن وأن لم يتقدم ذكره وذلك للعلم به ، فانه المنزل على رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلم ، وكذلك ان هذه السورة نزلت بعد عبس وقد ذكر فيها القرآن فى قوله كلا انها تذكرة ، فمن شاء ذكره ، فى صحف مكرمة ـ ووقعت بعد سورة العلق فى المصحف وقد ذكر فيها القرآن ضمنا لان المراد بالمقروء فى قوله اقرأ هو القرآن ، ـ فى ليلة القدر ـ القدر بمعنى التقدير سميت ليلة القدر لانه فيها يقدر الله تعالى مايجرى فى هذه السنة الى مثل هذه الليلة من السنة القادمة وذلك بدليل قوله تعالى فى سورة الدخان « انا انزلناه فى ليلة مباركة ، انا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم » قال ابن عباس فى تفسير هذه الآية : أى يحكم الله تعالى أمر الدنيا الى قابل فى ليلة القدر ، ومعنى تقديره لذلك اعلامه الملائكة ليقوموا به والا فكل شيىء مقدر فى الازل فى علمه تعالى · فالليلة المباركة هذه هى وليلة القدر سواء ومن الباطل مافسر بعض المفسرين الليلة المباركة بليلة النصف من شعبان معتمدا على بعض الاحاديث التى تشعر بذلك وان هذه الاحاديث كلها ضعيفة لايجوز الاعتماد عليها فانه لو كان كما يقولون لوقع التناقض فى القرآن اذ يخبر فى هذه السورة بأن القرآن

أنزل فى ليلة القدر وليلة القدر يجب ان يكون فى رمضان بدليل قوله تعالى فى سورة البقرة : « شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن » فلو حملنا الليلة المباركة على ليلة النصف من شعبان للزم ان يكون انزال القرآن فى شعبان فيكون متناقضا مع مافى سورة البقرة ، ومن العجيب أن بعض التفاسير قد مشى على مايوجب هذا التناقض بدون تفكير وتحقيق فى الامر ، وقد ذكر للقدر معان أخرى كثيرة كلها فى الحقيقة ترجع الى هذا المعنى فهذا المعنى هو الحق · هـذا وان ليلة القدر كما ذكرنا ليلة من رمضان بدليل آية البقرة السابقة وبدليل احاديث كثيرة وردت فى بيان وقتها وبيان فضلها نذكر بعضا منها · أما ماورد فى بيان وقتها ، قال فى التاج الجامع للاصـول فى احـاديث الرسول عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت كان النبى صلى الله عليه واله وصحبه وسلم يجاور (اى يعتكف) فى العشر الاواخر مـن رمضان · ويقول تحروا ليلة القدر فى العشر الاواخر مـن رمضان ـ رواه الشيخان والترمذى ـ وفى نفس المرجع ، وقال ابن عمر رضى الله تعالى عنهما ان رجالا من اصحاب النبى أروا ليلة القدر فى المنام فى السبع الاواخر فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه والـه وصحبه وسلم : أرى رؤياكم قد تواطئت فى السبع الاواخر فمن كان يتحريها فليتحرها فى السبع الاواخر ـ رواه الخمسة الا الترمذى ـ وايضا عن عائشة رضى الله تعالى عنها ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلم قال · تحروا ليلة القدر فى الوتر من العشر الاواخر من رمضان ـ رواه الشيخان والترمذى ـ وتوجد احـاديث كثيرة غير ماكتبنا ، وفى ماكتبنا كفاية سيما وانه لو لم يكن اى حديث من هذا الباب لكفى آية البقرة للعلم بأن ليلة القدر فى رمضان وذلك

بانضمامها الى سورة القدر ، وتكفى أيضا للنص على تفسير الليلة المباركة فى آية الدخان بليلة من ليالي رمضان وهى ليلة القدر الا أن التقليد الاعمى والاعتماد على كل ماروى او كتب دون التحقيق • لمن اكبر المهالك والاسباب الموقعة للناس فى الخطأ المبين •

وأما ماورد فى ليلة القدر • قال فى التاج عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : « من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ماتقدم من ذنبه » رواه الخمسة ، وروى فى هذا الباب ايضا احاديث كثيرة اكتفينا بهذا الحديث خوف الاطالة ولانه يكفى فى فضل هذه الليلة ماقال تعالى :

« وما أدراك ما ليلة القدر »

الاستفهام للتعظيم وكان ليلة القدر لعظم فضلها حتى الرسول لايدرى مقدار عظمها حقيقة ثم بين الله تعالى فضلها فقال :

« ليلة القدر خير من الف شهر »

اى العبادة في ليلة القدر خير من العبادة في الف شهر ليس فيه ليلة القدر ، فليلة القدر أفضل من الف شهر وأعطي هذه الليلة لامة محمد خاصة كما صرح بذلك ماروواه التاج عن الامام مالك عن النبى صلى الله تعالى عليه واله وسلم أنه أرى أعمار الناس قبله او ماشاء الله من ذلك فكأنه تقاصر اعمار أمته الا يبلغوا من العمل مابلغ غيرهم فى طول العمر فاعطاه الله ــ أى له ولامته ــ ليلة القدر خير من ألف شهر ثم وصف الله تعالى بركات هذه الليلة وفيوضاتها وما فتح الله تعالى لامة محمد فى هذه الليلة من الخير فقال تعالى :

« تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر »

أى تتنزل الملائكة وتأتى مـن السماء الى الارض ويأتى جبريل معهم فى هذه الليلة ليعبدوا ويصلوا ويسجدوا مع المسلمين وليؤمنوا على دعواتهم فى هذه الليلة ونزولهم ـ بأذن ربهم ـ فالله يأذن لهم فى ذلك النزول والاجتماع بالمسلمين فى العبادة ـ من كل أمر ـ فى معنى هذه الفقرة من الآية الكريمة ذهب المفسرون مذاهب شتى وتكلموا فيها معانى كثيرة لم أستطع ان أختار مما رأيت شيئا والذى أرى أن المعنى منقطعين من كل أمر وشغل سوى العبادة فى هذه الليلة مع المسلمين كما يؤذن بذلك قوله بأذن ربهم فان الذى يأخذ الاجازة لمدة معينـة يترك فى تلك المدة الاشغال المنابة اليه ويشتغل باشغال يريده هو غير أشغاله الرسمية .

« سلام هى حتى مطلع الفجر »

ـ سلام ـ أى رحمة هذه الليلة وبركات مـن الله تعالى تنزل على من اشتغل بعبادته وأناب اليه ودعاه فى خلوته او جلوته وعبده حسب طاقته وقوته وتدوم هذه الرحمة حتى مطلع الفجر . وان رحمة الله تعالى وان كانت موجودة فى كل وقت وكل زمان وليل نهار الا ان المراد بهذه الرحمة الموجودة فى ليلة القدر رحمة خاصة غير مافى سائر الاوقات والله تعالى أعلم .

ـ تتمة ـ

اخفيت ليلة القدر فى العشر الاواخر من رمضان ليحى المسلـم الليالى العشر كلها كما أخفى كثير من الاشياء لهذه الحكمة .

الاول : أخفيت ساعة الاجابة فى يـوم الجمعـة ليشتغـل المسلم بالعبادة والدعاء يوم الجمعة كله ٠

الثانى : أخفى العمل الذى ينجو به المسلم من الاعمال الصالحات ليعمل المسلم الاعمال الصالحة كلها ٠

الثالث : أخفى العمل الذى يهلك بـه المسلم مـن بين الاعمال المحرمة ليجتنب المسلم كل عمل محرم ٠

رزقنا الله تعالى بركات ليلة القدر ونيل شرف ساعة الاجابة يوم الجمعة واداء العمل المنجى والاجتناب عن الخصلة المهلكة وحفنا برحمته وادخلنا فى جنته آمين ٠

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على النبى محمد وآله اجمعين الى يوم الدين ٠

سورة البينة

مدنية نزلت بعد الطـلاق وآياتها ثمان

بسم الله الرحمن الرحيم

لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركـين منفكين حتى تأتيهم البينة ٠

اعلم ان أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى كانـوا قبـل بعثـة رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يؤمنون بمجيىء محمد (ص) وكانوا يؤمنون به حسب صفاته الموجودة فى التوراة والانجيل وحسب ما أخبر به كتبهم وأحبارهم ورهبانهم كما قال تعالى فى سورة البقرة (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون) ٠ والمعنى ان الذين آتيناهم الكتاب مـن اليهـود والنصارى يعرفون محمدا بأنه هو النبى الموعود والموصوف فى التوراة والانجيل وان جماعة منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون فلا يؤمنون بـه بغيا وظلما واستكبارا وعنادا ٠

سئل عبدالله بن سلام عن هذه الآية وكان من كبار أحبار اليهود واسلم ٠ فقال : والله انى لاعرفه اكثر من ابنى لان أم ابنى يحتمل أنها خانتنى فليس هو ابنى ٠ ولكن الصفات والعلامات الموجودة فى رسول الله صلى الله تعالى عليه واله وسلم ٠ لاتحتمل التخلف أبدا عما هو مكتوب فى التوراة ٠

وقالت أم المؤمنين صفية بنت حيى بن أخطب رئيس بنى النضير من اليهود فى المدينة قالت كان أبى وعمي يحيانى كثيرا فكانا لايريانى

أحد منهما الا أخذني وضمني الى صدره وقبلني • فحينما سمعنا بقدوم رسول الله صلى الله تعالى عليه واله وسلم الى قبا وانتشر خبره بين الناس • كان الناس يذهبون اليه جماعات وفرادى فرأيت أبى وعمى انطلقا صباح يوم الى قبا ولم يرجعا الى أن جاء وقت العصر فلما قدما ذهبت ووقفت امامهما فلم يلتفت أحد منهما الى ورأيتهما كأنهما يميلان يمينا وشمالا من التعب فسمعت عمى يقول لابى أليس هو هو أى اليس محمد هو الموصوف فى التوراة قال بلى قال له فما رأيك قال والله أعاديه حتى أموت •

وأيضا كان بين الاوس والخزرج ويهود المدينة أيام وحروب فكانت اليهود تقول لاعدائهم المشركين وهم الاوس والخزرج : قد اظل زمان نبى يخرج بتصديق ما قلنا ـ فنقتلكم معه قتل عاد وارم • وفى رواية كانوا اذا داهمهم عدو يقولون : اللهم انصرنا بالنبى المبعوث آخر الزمان الذى نجد صفته فى التوراة • فكانوا ينصرون• وهذا ما اخبر الله تعالى به فى سورة البقرة فقال وعز من قائل •

ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين •

وكذلك كان النصارى يؤمنون به حسب مارأوا من صفاته الموجودة فى الانجيل والتوراة وحسبما أخبرهم سيدنا عيسى كما قال تعالى فى سورة الصف •• واذ قال عيسى ابن مريم يابنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعده اسمه أحمد • وكذلك كان مشركو مكة يعلمون ويؤمنون بمجىء هذا النبى حسب مابقى فيهم بقية من دين سيدنا

ابراهيم وسيدنا اسماعيل عليهما السلام وأنهما دعوا من الله تعالى وقالا : (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم) وكانوا أيضا يسمعون ذلك من أحبار اليهود حيث كان بينهم تزاور وصلة لان طريق تجارتهم الى الشام كانت تمر بالمدينة وكانوا ينزلون عليهم . ولذلك حينما بدأ الرسول بالوحي ورجع الى السيدة خديجة منتقعا لونه خائفا قالت له خديجة أرجو أن تكون نبي هذه الامة . وكذلك قال له ورقة بن نوفل حينما قص عليه مارأى في غار حراء . فتبين مما ذكرنا سابقا أن أهل الكتاب من اليهود والنصارى كانوا متفقين مع المشركين ومؤمنين بهذا النبي وبمجيئه وبصفاته التى كانت تشخصه والتى كانت موجودة فى التوراة والانجيل فلم يكونوا منفكين عن هذا الايمان حتى جاءهم الرسول بالبينة الباهرة والصفات التى كانت تطابق مافى التوراة والانجيل . فلما جاءهم كفروا به بغيا وحسدا واستكبارا وعتوا .

فمعنى الآية لم يكن الذين كفروا بمحمد من أهل الكتاب والمشركين منفكين عن الايمان بمحمد (حتى تأتيهم البينة) اى حتى أتتهم الحجة الواضحة والبرهان الساطع . وهو محمد الذى جاء بصفاته المثبتة فى التوراة والانجيل وبالمعجزات الباهرة وبالقرآن الذى هو اكبر معجزة واكبر بينة على نبوته ورسالته . ثم فسر الله تعالى البينة التى اتتهم فقال :

رسول من الله يتلو صحفا مطهرة فيها كتب قيمة

فبين الله تعالى أن البينة التى أتتهم هى (رسول من الله) وهو محمد صلى الله تعالى عليه واله وسلم (يتلو عليهم صحفا مطهرة)

خالية من اللغو والباطل ومن تدخل الشياطين فيها مثل ماكانوا يتدخلون فى أخبار الكهنة والساحرين (فيها) أى فى تلك الصحف (كتب قيمة) أى أحكام مستقيمة عادلة واخبار صادقة ودلائل واضحة تدل كل ذلك على أنها من الله تعالى وليست من البشر ولا من الجن ٠

(وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعدما جاءتهم البينة)

أى وما تفرق الذين أوتوا الكتاب فيما بينهم وهم اليهود والنصارى فآمن بعضهم بمحمد وكفر بعضهم به لم يتفرقوا هذه التفرقة (الا من بعد ماجائتهم البينة) أى الا من بعد ماجائتهم الحجة الواضحة على أن محمدا هو الذى أخذ عليهم العهد فى التوراة والانجيل على أن يؤمنوا به وينصروه ويعزروه كما ذكر الله تعالى هذا العهد فى سورة آل عمران بقوله (واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم اصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين ٠

ذكر الله تعالى اولا تفرقهم مع المشركين وذكر هنا أيضا لبيان تفرقهم فيما بينهم فان منهم من آمن بمحمد ومنهم من كفر به وليربط به قوله ٠٠

وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة ٠

أى وما أمروا فى دين محمد بشيىء غريب بل أمروا بما هو من صميم دينهم وهو أن يعبدوا الله وحده (مخلصين له الدين) فلا يشركوا

به شيئا فى العبادات (حنفاء) أى مائلين عن الباطل الى الحق وعن الشرك الى التوحيد ومن الضلال الى الصراط المستقيم وأن يقيموا الصلاة ويعطوا الزكاة (وذلك) الذى أمروا به هو (دين القيمة) اى دين الملة القيمة المستقيمة على الحق والمجتنبة عن الباطل او المعنى هو دين الكتب القيمة السابقة فكان من الواجب عليهم أن يتسابقوا الى الايمان به حيث انهم أهل كتاب وعلم · فكانوا يعلمون حقية مايدعو اليه الرسول وحقية رسالته وان مايدعو اليه ليس غريبا بل هو من صميم دينهم ومما يدعو اليه التوراة والانجيل الا أن الحسد يعمى ويصم فلم يؤمنوا لذلك فباءوا بغضب من الله تعالى كما قال فيهم فى سورة البقرة ·

بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيا أن ينزل من فضله على من يشاء من عباده فباءوا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين ·

أو نقول أريد بتفرقهم هنا تفرقهم فى دينهم وانحرافهم عنه بعد ماجائهم انبيائهم بالبينات وبينوا لهم كل شيىء واوضحوا لهم فبعدما جائتهم البينة هذه تفرقوا واختلفوا وانحرفوا عما جاء به أنبيائهم كما قال تعالى فى سورة آل عمران ·

ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعدما جاءتهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم ·

هذا · ثم بعدما ذكر الله تعالى حال أهل الكتاب والمشركين من الضلال والكفر والانفكاك عن الحق الذى كانوا يعترفون به ذكر تعالى ما أعد لهم مقابل ذلك من العذاب يوم القيامة فقال :

ان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين فى نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية ٠

اى ان الذين كفروا بمحمد وبما جاء به محمد من الاسلام سواء كانوا (من أهل الكتاب) او من المشركين كلهم في نار جهنم يوم القيامة خالدين مؤبدين فيها (اولئك) الذين كفروا بالاسلام وبرسوله (هم شر البرية) أى شر من كل المخلوقات ٠ فهم شر من الانعام قال تعالى (اولئك كالانعام بل هم أضل سبيلا) لان الانعام لم تكلف بدين ولا أحكام ولم يوهب لها العقل الذى هو مدار التكليف ولكن هؤلاء وهبهم الله تعالى العقل وكلفهم حسب عقولهم فانحرفوا وضلوا وعملوا ما يخالف العقل والوجدان والضمير ٠ ونبههم الله تعالى بارسال الرسل والشرائع فلم ينتبهوا او انتبهوا الا أنهم خالفوا ولم يؤمنوا بغيا وعتوا واستكبارا فهم اذاً شر من الانعام وأضل سبيلا ٠

وكذلك هم شر من كل دابة تدب على الارض لنفس العلة والسبب الذى ذكر في شريتهم من الانعام قال تعالى :

ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لايؤمنون ٠

ولا ينافى هذا ماقال تعالى فى سورة الاسراء ٠

ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ٠

لان المراد بالتكريم والتفضيل فى هذه الآية هو تكريم الله تعالى وتفضيله بنى آدم بانعامه عليه هذه النعم فحينما لم يقابل الانسان هذه

النعم وهذا التكريم والتفضيل بالشكر لله تعالى والايمان به وبرسله وباتباع شريعته فيكون شر خلق الله تعالى في الآخرة وعند الله تعالى وأما من شكر الله تعالى على هذه النعم وهذا التفضيل والتكريم فآمن به وبرسوله واتبع شريعته ونفذ أوامره فيكون خير خلق الله تعالى كلهم كما قال تعالى :

ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية ٠

فالمؤمن المستقيم على ايمانه والعامل بأمر الله تعالى والتابع لشريعته هو (خير البرية) أى خير من كل ماخلقه الله تعالى ٠ لان البرية أصلها بريئة فعيلة بمعنى مفعولة أى مبروئة مشتقة من برىء أى خلق ومنه أشتق البارىء اسماً لله تعالى اى الخالق فيدخل فى البرية كل ما خلقه الله تعالى فتفيد الاية أن المؤمن الصالح أفضل من الملائكة لان الملائكة داخلة فيما خلقه الله تعالى ايضا وهذا هو الحق فان مذهب أهل الحق والسنة والجماعة أن رسل البشر أفضل من رسل الملائكة ورسل الملائكة أفضل من عامة البشر وعامة البشر افضل من عامتهم هذا وقد حققنا هذه المسئلة بأدلتها فى رسالتنا (القول المنصف) فى تفسير سورة يوسف عند قوله تعالى :

وقلن ماهذا بشراً ان هذا الا ملك كريم

ثم بعد أن ذكر الله تعالى خيرية المؤمنين العاملين للصالحات من كل المخلوقات ٠ أراد ان يذكر ما أعد لهم من الثواب يوم القيامة ٠ فقال تعالى :

جزائهم عند ربهم جنات عدن تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا رض الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه ٠

أى جزاء هؤلاء المؤمنين (عند ربهم) أى يوم القيامة (جنات عدن) أى بساتين (عدن) والعدن بمعنى الاقامة أضيفت الجنات اليها لان من دخلها أقام فيها ولا يخرج منها ٠ قال تعالى : (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لايبغون عنها حولا ٠ سورة الكهف ٠

فهناك اقامة دون ارتحال وبقاء دون زوال وحياة دون موت (تجرى من تحتها) أى من تحت أشجارها (الانهار) الجداول لتستقى منهـا دون ان يتعب المؤمن فى سقيها أو المراد بالانهار نهر العسل ونهر اللبن ونهر الخمر الطاهرة ونهر الماء العذب الزلال او المـراد كـلا المعنيين حيث لاتضاد بينهما ولا مانع من ارادتهما ٠

« خالدين فيها أبداً »

أى مقدرا خلودهم فيها أى فى الجنات فخالدين حال من هم فى قوله تعالى (جزائهم عند ربهم جنات عدن الخ لانه فى المعنى نائب الفاعل اذا لتقدير يجزون عند ربهم ٠ وحيث ان زمان الجزاء غـير زمان الخلود ويجب فى الحال ان يتحد زمان الفعل والحال فلذا يقال المعنى يجزون جنات مقدرا خلودهم فيها فزمان الجزاء وتقدير الخلود واحد وبذلك صح أن يكون خالدين حالا ويقال لمثل هذا الحال الحال المقدرة ٠ (أبدا) أى الى الابد والابد معناه لانهاية له أى مؤبدين فيها لا نهاية لخلودهم ومكثهم فيها ٠ وعلل الله تعالى هذا الجزاء فكأنه

قيل ولماذا جزاهم الله تعالى هذا الجزاء فقال تعالى (رضى الله عنهم) أى لان الله تعالى رضى عنهم بسبب ايمانهم الصحيح الكامل والاعمال الصالحات التى قاموا بها فلذلك أنعم عليهم بهذا الثواب الجزيل (ورضوا عنه) أى ورضى المؤمنون عن الله تعالى بسبب هذا الجزاء والتكريم (ذلك) أى ان هذا الجزاء وهذه الدرجة لمن فقال تعالى : (لمن خشى ربه) فأطاعه وما عصى وان أخطأ او جهل تاب اليه وتضرع واستغفر ودعا حيث آمن بكتابه وخاف من عقابه وترجى جميل ثوابه جعلنا الله تعالى منهم أجمعين برحمته وهو ارحم الراحمين وصلى الله تعالى على المولى محمد وعلى آله واصحابه وأمته اجمعين واخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

« سورة الزلزلة »

مدنية نزلت بعد النساء وآياتها ثمان

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا زلزلت الارض زلزالهـا • وأخـرجت الأرض أثقالها وقال الانسان ما لها • يومئذ تحدث أخبارها • بأنك ربك أوحى لها • يومئذ يصدر الناس أشتاتا • ليروا أعمالهم • فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره • ومـن يعمل مثقال ذرة شرا يره •

(اذا زلزلت الارض زلزالها) اى اذا حركت الارض الحـركة الشديدة التى تليق بها وهى الاضطراب الذى يحدث فى الارض عند النفخة الثانية التى يكون عندها احياء الاموات وخروجهم من قبورهم كما قال (واخرجت الارض أثقالها) أى اذا اخرجت الارض ولفظت الاثقال التى دفنت فيها من الاموات والكنوز (وقال الانسان مالها) اى وقال الانسان من الدهشة التى تصيبه والحيرة التى تستولى عليـه مالها اى شيىء حدث للارض فاضطربت هذه الاضطـرابة الشديدة ولفظتنا من بطنها (يومئذ تحدث اخبارها) يومئذ : بدل من اذا زلزلت أى يوم اذا زلزلت الارض زلزالها وأخرجت ••• الخ فالعامل فى اذا زلزلت وفى يومئذ قوله تحدث أى فى ذلك الوقت اى وقت أن زلزلت الارض زلزالها واخرجت أثقالها وسال الانسان مالها تحدث الارض اى تتكلم وتنطق وتحكى أخبارها التى وقعت على ظهرها فتشهد على كل إنسان بما عمل عليها من خير أو شر وهنا كأن قائلا يقول :

كيف تتكلم الارض وهى جماد فيقول تعالى (بأن ربك أوحى لها) أى تتكلم بسبب أن ربك أنطقها وأمرها بالاخبار عن هذه الحوادث التى عملت عليها وهذه من معجزة القرآن فأنه قد أخبر قبل أربعة عشر قرنا بأن الارض تتكلم وهى جماد ويأتى العلم الحديث ويثبت فى الآونة الاخيرة جدا بأن كل شيىء يتكلم وقد صدق العلم القرآنالكريم حينما يقول (وان من شيىء الا يسبح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم) فاثبت ان كل شيىء له كلام يتكلم بعضه مع بعض هذا وان لكلمة الوحى عشرة معان ذكرناها فى تفسير سورة يوسف منها الانطاق كما هنا . (يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم (أى فى ذلك الوقت يخرج الناس ويذهبون الى الموقف جماعات متفرقة حسب العقيدة والعمل فمنهم راكب ومنهم ماش ومنهم أسود الوجه ومنهم أبيض ومنهم كافر ومنهم مؤمن ومنهم منافق ومنهم عاص ومنهم مطيع (ليروا أعمالهم) أى يذهبون الى الموقف ليعرض عليهم أعمالهم (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره) أى فمن يعمل بقدر أصغر مايكون الشيىء وقد كان يعبر عنه بمثقال ذرة ويعبر عنه أيضا بالجزء الذى لايجزء لصغره وهو الذى لاينقسم ولا يرى الا بالميكروسكوب (خيرا) أى من الخير (يره) ويطلع عليه مسجلا له فى دفتر أعماله ولا ينقص منه شيىء (ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) فلا يترك من شره شيىء بل يسجل عليه كل ما عمل من شر ويراه ويطلع عليه فى ذلك اليوم فى سجل أعماله دون زيادة او نقصان وهذه هى مرحلة عرض الاعمال وليست مرحلة الحساب والوزن والجزاء حتى يقال ان معناه يرى جزاءه ان خيرا فثواب جزيل وان شرا فعذاب وبيل ثم تأتى بعد هذه

المرحلة مرحلة الوزن والحساب فاما الكافر فلا حساب له ولا يوضع له ميزان وانما يعرض عليه أعماله الخيرية للتحسر فقط حيث ان لــه اعمالا حسنة لو كان مؤمنا لاستفاد منها الا أنه حرم من الاستفادة منها لكفره وعدم أيمانه فيزيد بذلك حسرته ويزداد حزنه وندامته وقد ثبت ماقلنا فى آيات كثيرة لاخفاء فيها ولا غموض ·

١ ـ قال تعالى (أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا · ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتى ورسلى هزوا) سورة الكهف ·

٢ ـ وقال تعالى (ان الذين كفروا لن تغنى عنهم اموالهم ولا أولادهم من الله شيئا واولئك أصحاب النار هم فيها خالدون · مثل ماينفقون فى هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر أصابت حــرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته وما ظلمهم الله ولكن انفسهم يظلمون) سورة ال عمران ·

٣ ـ قال تعالى (وقدمنا الى ماعملوا مــن عمل فجعلناه هباء منثورا) سورة الفرقان والايات التى تصرح بذلك كثيرة ومن العجب أن بعض المفسرين مثل الشيخ محمد عبده ومن سار على نهجه رحمهم الله تعالى أولوا هذه الآيات كلها لبعض أخبار لاقطع بصحتها وان صحت فهى من خبر الاحاد ولا يمكن معارضة القرآن بها فنؤول هذه الآيات القطعية لها وما أدرى ما الذى حملهم على تأويل هذه الآيــات واثبات الثواب للكافرين فى الدار الاخرة مخالفين لكل المفسرين فان حملهم على هذا الترحم بالانسان فالله أرحــم وان حملهم العــدل فالله أعدل والعدل يقضى بحرمانهم حيث لم يعملوا لله ولالذلك اليوم فيجب الوقوف عندما نطق به القرآن الكريم وعندما يحكم الله الحكيم · وأما

المؤمنون فبعد هذا المرحلة وعرض الاعمال يوضع لهم الميزان فــان زادت حسناتهم سيئاتهم او ساوتها فلهم الجنة دون عذاب وان نقصت حسناتهم سيئاتهم فيساقون الى النار الى ان يتطهروا من هذه السيئات فيخرجون منها الى الجنة فلا مؤمن يكون مخلدا فى النار وانما الخلود للكافرين وهذا مصداق قوله صلى الله عليه وسلم (من قــال لا اله الا الله دخل الجنة) أى ان آجلا او عاجلا وهذا حسب قاعدة عدل الله تعالى واما العفو عن بعض ومحو خطاياهم دون سبب او بشفاعة نبى او ولي أو صالح فهو داخل فى قاعدة الفضل ولله ان يعمل بعــدله او بفضله وهو يفعل مايشاء ويحكم مايريد ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ٠

كأنني الارض أرى وما بها تحطمــت وزلــزلت اركانهــا
وفجرت بقوة البارى القدير فقــذفت أثقالهــا أثقالهــا
فانبهر الانسان فى تعجب تساءلوا من بعضهم ماذا بها ؟
تجيبهم وهى التى لاتنطــق فربك الكريم قــد أوحى لهــا
قد جاء يوم فيه ربى يبهر يومئــذ تحــدث اخبارهــا
فيا ألهــى أرنــا أعمالنــا خيرا وكفر شـرها أوزارهــا
فمالنا من ذرة قــد حسنت من الخــلاق زانها شــرارها
أن«حسينا» نام عنهايرتجى حسن الختام والرضا قد زانها

سورة العاديات

مكية نزلت بعد العصر وآياتها احدى عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

والعاديات ضبحاً • فالموريات قدحاً • فالمغيرات صبحاً • فأثرن به نقعاً • فوسطن به جمعاً •

(والعاديات ضبحا) أقسم الله تعالى بالمطايا من الخيل والبغال والحمير والابل التي تعدو أي تسرع في مشيها فتضبح ضبحا والضبح هو الصوت الذى يخرج من صدر المطية عند السرعة فى المشى (فالموريات) أى التى تورى أى تشعل النار حينما تسرع في المشى فتقدح لما تضرب بحوافرها الاحجار والحصى (قدحا) ضربا شديدا فتخرج من بين الحوافر والاحجار نار من شدة الاحتكاك (فالمغيرات) أى التى تسرع فى المشى (صبحا) وقت الصباح لان اكثر الاسفار تبدأ بها وتسرع فى المشى فيها فى وقت السحر (فأثرن به نقعا) أىفتركن وراءهن بشدة العدو (نقعا) غبارا (فوسطن به جمعا) أى فوقعن بهذا العدو السريع وسط جمع من العدو عند الجهاد او وسط جمع من الاقوام عند التجارة والسير وراء الكسب وتحصيل الارزاق • أقسم الله تعالى بهذه الاشياء على قوله :

ان الأنسان لربه لكنود • وانه على ذلك لشهيد • وانه لحب الخير لشديد •

(ان الانسان لربه لكنود) أى انالانسان بنعم ربه لكفور وجحود أى غير شاكر لها هذا فى الظاهر الا أنه فى الحقيقة استدل تعالى

واحتج بهذه الاشياء على كفران الانسان لنعم الله تعالى وعدم شكره عليها فكأنه قال تعالى : ان خلق الله تعالى لهذه الدواب التى تسير بالانسان فتمدو به تضج فى ذلك السير الشديد ضبحا وتضرب بحوافرها فى شدة العدو الحصى والاحجار فتورى النار منها وربما وتذهب وتعدو فى الصباح المبكر حيث شاء راكبها فيتركن وراءهن من سرعة السير غبارا فيدخلن بهذا العدو جمعا من الناس للجهاد أو للتجارة او غير ذلك من حوائج الانسان فخلق الله تعالى لتلك الدواب وهى من النعم التى انعم بها على عباده مع انحراف الناس عن دينه وابتعادهم عن شريعته وخوضهم فى المعاصى يشهد ويدل على ان الانسان لكنود اى لكفور غير شاكر لنعم الله تعالى وان الانسان نفسه يشهد بذلك كما قال تعالى (وانه على ذلك لشهيد) ان حال الانسان وتصرفاته يشهد بذلك فان الشكر عبارة عن استعمال نعم الله تعالى فيما أباح له أن يستعملها فيه وان الكفران هو استعمال النعم فيما حرم تعالى أن تستعمل فيه واكثر ما يستعمل الانسان ما وهبه الله تعالى من المال والقوة وغير ذلك مما لايحصى من النعم هو فى غير ما أحل الله تعالى أن يستعملها فيه وسبب ذلك كله هو حب الدنيا والجاه والمال كما قال تعالى (وانه لحب الخير الشديد) أى انه لحب المال لشديد حرصه فيرتكب المحرمات ويصرف نعم الله فى غير ما وهبت هى له كل ذلك لاجل حب المال وحب الجاه وكل ذلك من الدنيا فقد صدق من قال (حب الدنيا رأس كل خطيئة) ثم زجره الله تعالى على هذا الحب المفرط والذى يسوقه الى الشر ووبخه من عاقبة ذلك فقال مستفهما استفهام توبيخ وتنكيل وتضليل ٠

أفلا يعلم اذا بعثر مافي القبور • وحصـــل مافي الصدور • ان ربهم بهم يومئذ لخبير •

(أفلا يعلم اذا بعثر مافى القبور) أى الا يعلم انه اذا بعث وأحيي من فى القبور من الاموات (وحصل مافى الصدور) اى كشف مافى الصدور من الاعمال والعقائد والنيات (ان ربهم بهم يومئذ لخبير) أى ان ربهم لخبير باعمالهم وعقائدهم ونياتهم وسرهم وعلانيتهم فيجازيهم على ذلك ويعاقبهم على كفرانهم لنعم الله وانحرافهم عن منهج الله تعالى خصص الله تعالى خبيريته بهم فى ذلك اليوم مع أنه خبير بهم فى كل وقت لان الاخبار بالخبيرية ليس معناه أنه خبير بل المراد يجازيهم ويعاقبهم حسب خبيريته وذلك الجزاء فى ذلك اليوم لا فى الدنيا • فأمثال هذه الآيات وعد للمؤمنين بأن الله تعالى سيثيبهم حسب علمه بأعمالهم ووعيد للكافرين بأن الله تعالى يعاقبهم على اعمالهم التى لاتخفى عليه شيء منها، أو لانه فى ذلك اليوم يعترف كل انسان بخبيريته ولكن فى الدنيا ليس كذلك فانه يوجد من الناس من لايؤمن به فضلا عن أن يوءمن بخبيريته أو أريد المعنيان كلاهما حيث لاتنافى بينهما والله تعالى أعلم •

سورة القارعة

مكية نزلت بعد قريش وآياتها احدى عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

القارعة • ما القارعة • وما أدراك ما القأرعـة • يوم يكون الناس كالفراش المبثوث • وتكون الجبال كالعهن المنفوش •

(القارعة ما القارعة) القرع : الصوت الشديد لانه يقرع أى يضرب الآذان ويؤلمها فالقارعة هى الحادثة التى تقرع الاذان وهى صوت حدوث القيامة والتاء اما للاسمية او لانها صفة الصيحة التى ينهدم بها الكون ويموت بها كل ذى روح فالقارعة مبتدأ وما مبتدأ ثان والقأرعة خبره والجملة خبر للقارعة فالمعنى القارعـة ماهى وضـع المظهر موضع المضمر لشدة الاهتمـام وهـذا الاستفهـام للتهويـل والتعظيم فالمعنى القارعة شيىء عظيم وهائل جدا ثم قال (وما أدراك ما القارعة) لزيادة التهويل اى ما الذى أعلمك أيها المخاطب ماهـى القارعة انها ليس مما يدرى كنهه الا من وجده ووقع فيه ثم بينه الله لا بكنهه بل ببعض مايقع فيه فقال (يوم يكـون الناس كالفـراش المبثوث) أى كالفراش المتفرق المنتشر من الحيرة والدهشة لايدرى أين يذهب وأين ياوى وأين مصيره وأين مستقره (وتكون الجبال كالعهـن المنفوش) أى كالقطن او الصوف المندوف يضربها الرياح فتزول وتصير هباء منثورا فبعدما ذكر تعالى شدة ذلك اليوم كان سائلا يسأل فماذا يكون مصير الناس وقتئذ فقال تعالى :

فأما من ثقلت موازينه • فهو فى عيشة راضية • وأما من خفت موازينه • فأمه هاوية • وما أدراك ماهية • نار حامية •

أى يكون الناس قسمين قسم ميزانه ثقيل بالايمان والاعمال الصالحات وقسم ميزانه خفيف منها فأما من ثقلت موازينه بالاعمال الصالحات والايمان ففى عيشة راضية اى فى حياة ومعيشة راض منها صاحبها اسندت الرضا الى العيشة مع أنه صفة صاحبها مجازا او المعنى ان العيشة راضية منه لما كان له من حسن الاعمال ومحامد الخصال فالعيشة تعتز به لاهو يعتز بالعيشة كما يقال ان الامارة تعتز بفلان وليس فلان يعتز بالامارة فان المؤمن لايعتز الا برضا الله تعالى وأما العيشة فهى من الامور الثانوية فلما ذكر الله تعالى حال القسم الاول أتبعه بذكر حال القسم الثانى فقال (وأما من خفت موازينه فأمه هاوية) أى أما الذين خفت موازينهم من العمل الصالح بأن رجحت سيئاتهم حسناتهم (فأمه) أى مرجعه والمكان الذى يقصده ويرجع اليه هى (هاوية) فالام بمعنى المرجع والمقصود وسميت الوالدة أما لان الولد يرجع اليها ويقصدها ويسكن اليها ثم بين أن الهاوية ماهى فقال (وما أدريك ماهية) أى ما الذى أعلمك أيها المخاطب ماهى الهاوية انك لم تعلم ذلك فنحن نخبرك بأن الهاوية هى (نار حامية) أى نار حارة وصفت هذه النار بالحرارة وان كانت كل نار حارة للمبالغة وكانها لحرارتها بلغت الى حد لاتوصف غيرها من النيران بالحرارة وانما توصف بها وهى وحدها فقط •

مسئلـة :

قد كان الناس الاوائـل يجادلـون المؤمنين حينما يقولـون سيوضع ميزان ويوزن بـه أعمال العباد ويثابون حسب الميزان او يعاقبون فيجادلونهم ويقولون كيف توزن الاعمال وليس لها جسم ولا ثقل • فيجيب المسلم بأن الاعمال تتجسد فتوزن أو بأن دفاتـر الاعمال توزن وبعضهم يقولون ان الميزان حق وان الكيفية مجهولة فنؤمن نحن بالميزان ولا ندرى كيف هو وهذا هو الحق فانا نرى أن الموازين تطورت فصنع القبان وليس له كفتان ووضع ميزان يوزن به الحرارة والبرودة وميزان يوزن به ضغط الانسان وميزان يوزن به الطقس الى غير ذلك من الموازين المختلفة والمتطورة وما ندرى مايوجد فيما بعد الى يوم القيامة من انواع الموازين وكيف يكـون ميزان الاعمال فى ذلك اليوم وليس كل شيىء بحيث يعلمه الانسان ولا يجب عليه آن يعلمكل شيىء فالايمان بالميزانواجب واما بالكيفية فلا حيث لم يبين الله تعالى ذلك ولم يكلفنا به وفى ذلك حكمـة لايعلمها الا الحكيم وهكذا يجب علينا الايمان بكل ما أخبر عنه الله تعالى وان لم نعلم كيفيته فنفوض العلم بكيفيته الى الله وهكذايجب أن يكون المسلم ثبتنا الله تعالى على الايمان وثقل لنا الميزان آمين•

القارعـة ما القارعـة ... هل تعلم ما القارعـة
النـاس فـى سباتهـم ... توقظهـم القارعـة
صـوت يـدوى ضاربا ... آذانهـم كالقارعـة
فمنكـم ميزانـه ... قد ثقـل فى القارعـة
فياعبـاد صحـوة ... من هول يوم القارعة
ومنكـم ميزانـه ... قد خفف فى القارعـة
« حسين » يدعو ربـه ... مغفرة فى القارعـة

سورة التكاثر

« مكية نزلت بعد الكوثر وآياتها ثمان »

بسم الله الرحمن الرحيم

ألهاكم التكاثر • حتى زرتم المقابر •

(الهاكم التكاثر (هذه السورة نزلت بعد الكوثر ووقعت فـــى المصحف بعد القارعة والمعنى أشغلكم التكاثــر وحب جمع الامـــوال والأولاد والقوم والافراد وغير ذلك من منافع الدنيا أشغلكم هذا عن تثقيل موازينكم بالخيرات والاعمال الصالحات كما واشغلكم عـن تحصيل الاستحقاق لشرب ماء الكوثر الذى وهب لمحمد (ص) وأمته • فأشغلكم ذلك عن هذا (حتى زرتم المقابر) الى أن متم ودخلتم في المقابر فحينئذ تنبهتم وندمتم حين لاينفع التنبه ولا الندامة كما قال تعالى فى سورة الفجر (يومئذ يتذكر الانسان وأنى له الذكرى) ثم نهر الله تعالى وردع المخاطبين عـلى هـذه الغفلة والانهمـاك في التكاثر الذى أشغلهم عن ماينفعهم فى الاخرة فقال :

كلا سوف تعلمون • ثم كـلا سـوف تعلمون • كلا لو تعلمون علم اليقين •

(كلا سوف) أى انتهوا عن هذا التكاثر الملهى لانكم سوف تعلمون انكم فى خطأ وضلال وحينما لاينفعكم ذلك العلم (ثم كلا سوف تعلمون) انتهوا فانكم سوف تعلمون عاقبة هذا التكاثر الذى الهاكم عن تحصيل ماينفعكم يوم القيامة من تثقيل الموازين بالخـير

ومن الشرب من حوض الكوثر الذى أعطى للنبى الاكبر محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وأمته قال بعض المفسرين أعيد هذه الجملة تأكيدا للاولى ولكن لايخفى ان التأسيس خير من التأكيد فالحق ان المراد بقوله (كلا سوف تعلمون) هو العلم الذى يحصل للانسان بعاقبته عند الموت وعندما ينال عذابه فى القبر والبرزخ فان القبر اما روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران والمراد من (ثم كلا سوف تعلمون) هو العلم الحاصل عند المرحلة الاخيرة والتى يساق فيها المجرمون الى النار ولا يخفى دلالة ثم على ان هذه المرحلة متراخية جدا عن الاولى ثم نهرهم ولامهم على عدم التفكر فى الدلائل التى ترشدهم الى العلم بالثواب والعقاب وبالقارعة والوزن فيها فقال (كلا لو تعلمون علم اليقين) أى لو تفكرتم فى الدلائل التى توصلكم الى علم اليقين بالقارعة والوزن والثواب والعقاب لما التهيتم بهذا التكاثر عن تحصيل الزاد ليوم المعاد وذخيرة لما بعد الموت فان الانسان لايلام على عدم العلم وانما يلام على عدم سلوك سبيل العلم ثم أخبرهم بأنهم سيعلمون القارعة ومافيها من عذاب فقال :

لترون الجحيم • ثم لترونها عين اليقين • ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم •

(لترون الجحيم) اللام جواب قسم محذوف فالتقدير والله لترون الجحيم (ثم لترونها عين اليقين) فالرؤية الاولى بمعنى العلم وذلك عند الموت وحينما يلقون فى القبر والثانية بمعنى المشاهدة بالعين وذلك عند الوقوف فى ساحة المحشر وحينما يظهر جهنم

فيراها كل راء كما قال تعالى (وبرزت الجحيم لمن يرى) وذلك بدليل تقييدها بثم وبعين اليقين فأن عين اليقين ماحصل عن المشاهدة والعيان ثم بين لهم حالهم حينما يرون الجحيم وفي ساحة الحساب فقال (ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم) ثم تحاسبون على ماأنعمتم به في الدنيا من أين حصلتم عليه وفيم صرفتم وتثابون او تعاقبون بعد ذلك فان كنتم أخذتم من حلال وصرفتم في حلال وأديتم منه حقوق الله وحقوق العباد فتثابون عليه ثوابا جزيلا وان أخذتم من حرام او صرفتم في حرام او منعتم منه حقوق الله او حقوق الناس فتعاقبون عليه عقابا وبيلا . قال القرطبي رضي الله تعالى عنه : وهذا السؤال يعم الكافر والمؤمن الا ان سؤال المؤمن للتبشير بان يجمع له بين نعيم الدنيا ونعيم الاخرة . وسؤال الكافر تقريع حيث قابل نعيم الدنيا بالكفر والمعصية ثم قال كل نعيم يسئل عنه العبد سوى كن يؤويه وكسرة تقويه وكسوة تواريه فان هذا لايسئل عنه من أين اخذ لان الضرورات تبيح المحظورات والله تعالى أعلم .

قال الاله ياعباد فكروا ... في امركم تحويكم المقابر
ستعلمون عندها مؤكدا ... ويظهر من فائز او خاسر
لاتغفلوا بذى الدنا عن امرها ... أضحيتم الهاكم التكاثر
عن النعيم تسئلون يومها ... ماذا فعلتم والاله باصر
فجنة لمن يرى في المنكر ... شيئا قبيحا سامه المفاخر
ويأمر بالخير في أيامه ... ويأتمر بقول ربي القادر
فيا «حسين» هل لك من حكمة ... تقيك ان بعمرك تقامر
من الخيرات اعملن وأمر بها ... في ظاهر الاعمال والسرائر

سورة العصر

مكيت نزلت بعد الشرح وآياتها ثلاث

بسم الله الرحمن الرحيم

والعصر · ان الأنسان لفي خسر · الا الذين آمنوا وعملوا الصالحاتوتواصو بالحقوتوصوا بالصبر ·

(والعصر) ذكروا في معنى العصر اقوالا كثيرة منها ان المراد به صلاة العصر أقسم به تعالى لانها افضل الصلوات وهي التى سميت صلاة الوسطى كما فسر الرسول (ص) فيما يروى عنه أنه قال (صلاة الوسطى صلاة العصر) والصلاة الوسطى بمعنى الصلاة الفضلى وقد أمر الله تعالى بالمحافظة عليها خاصة فى قوله فى البقرة (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين) والحكمة فى فضلها انها تقع فى وقت يشتد فيه البيع والشراء ويحرص المرء فيه على العمل فتركه العمل وانشغاله بالصلاة هذه يدل على كمال عنايته باداء أمر الله تعالى وتنفيذ ما أوجب عليه· ومنها ان المراد بالعصر هو وقت العصر وهو حينما تميل الشمس الى الغروب ولايبقى بينها وبين الغروب الا ربع النهار او اقل أقسم سبحانه تعالى به لانه يذكر الانسان بالقيامة وقرب خراب الدنيا فيتدارك من العمل مافات ويتوب عما فعل من السيئات · ومنها ان العصر هو الليل والنهار كما قال حميد بن ثور :

ولن يلبث العصران يوم وليلة

اذا طلبا أن يدركا ماتيمما

أقسم تعالى بهما لانهما يدلان على عظيم قدرة الله تعالى وجليل نعمته على العباد حيث جعل الليل للراحة والنهار للعمل والارتزاق • ومنها ان المراد به الغداة والعشية كما قال الشاعر :

وامطله العصرين حتى يملني

ويرضى بنصف الدين والانف راغم

أقسم الله تعالى بهما لدلالتهما على عظمة قدرة الله تعالى • ومنها ان المراد به عصر النبوة نبوة محمد (ص) لشرفه بظهور الحق فيه واختفاء الباطل فيه • ومنها ان المراد به عصر جبريل محمدا (ص) في غار حراء حينما جاءه فقال له اقرأ قال : فقلت : لست بقارىء فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ فقلت لست بقارىء قال : فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني ثم قال : اقرأ باسم ربك الذى خلق ••• الى آخره • أقسم الله تعالى بهذا العصر والغط لانه حصل منه فتح قلبه وانشراح صدره واستعداده لقبول الوحي فصار مبدأ لهداية الناس من الضلالة الى الهدى ومن الباطل الى الحق ومن الظلام الى النور ومن الشر الى الخير ومن الظلم الى العدل ومن الجهل الى العلم ومن الشرك الى التوحيد ومن عبادة المخلوق الى عبادة الخالق الحق المبين • ومنها ان المراد به الدهر والزمان اقسم تعالى به لانه يدل على وجود الله وقدرته وارادته التى لاتفوقها اية ارادة فانه يجرى فى الزمان السراء والضراء والصحة والسقم والغنى والفقر والقوة والضعف وتغير الاحوال وتبدل السلطان وكر الليل والنهار والفصول الاربعة والبرد والحر ويظهر فيه الاعاجيب وما يدهش ومنها ان المراد به هو مقدار عمر الانسان لان الانسان فى هذا العمر يستطيع ان يعمل اعمالا

يكتب بها من السعداء وان يعمل اعمالا يكتب بها من الاشقياء كما قال النبى (ص) (كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها او موبقها) فاقسم تعالى بالعصر على احدى هذه المعانى او اراد به تلك المعانى كلها فانه لا منافاة بينها فاقسم بها على قوله (ان الانسان لفى خسر) المراد من الانسان العموم لا الكافر فقط والا لم يصح الاستثناء بقوله (الا الذين ... الخ) فان مدار الاستثناء العموم والاستغراق كما هو مقرر فى علم الاصول فالمعنى ان كل انسان لفى خسر لان الانسان خلقه الله تعالى ووهبه مدة معينة من الحياة ووضع له منهجا ليحيا هذه المدة على هذا المنهج ويعمل به ولا ينحرف عنه فيفوز بالجنة فرأس مال الانسان عمره ومدة حياته وتجارته هو صرف هذه المدة فيما يعمل فيها والانسان يغلب عليه الهوى والنفس والصفات الرذيلة فتصرفه هذه الامور عن المنهج المستقيم فيخسر الجنة الا قليلا منهم وهم الذين استثناهم الله تعالى بقوله (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصو بالصبر) فان هؤلاء لايخسرون بل يربحون حيث يسعدون فى الدنيا والاخرة وان هذه الاية تشتمل على جميع أمور الاسلام مجملا فان قوله (الا الذين آمنوا) المراد من ثبت له الايمان الصحيح وهو عبارة عن الايمان بالله تعالى وبالملائكة والكتب والرسل واليوم الاخر وبالقدر خيره وشره من الله تعالى كما قال الرسول (ص) حينما سأله جبريل ما الايمان فقال (ص) الايمان ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الاخر وبالقدر خيره وشره من الله تعالى وهذه تسمى اصول الايمان ويتفرع منها مايسمى بفروع الايمان فيتفرع من الايمان بالله تعالى الايمان بصفاته الذاتية والوجودية والمعنوية والسلبية والايجابية كلها فان

الايمان بالله لايصح الا بعد تنزيهه عن كل مايوجب النقص ووصفه بكل مايوجب الكمال ويجمع ذلك كله اجمالا سبحان الله والحمد لله لان معنى الاول اعتراف بنزاهة الله تعالى من كل نقص ومعنى الثانى اعتراف باتصاف الله تعالى بكل كمال ولذا قال الرسول (ص) كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتنان فى الميزان حبيبتان عند الرحمن (سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم) ويتفرع من الايمان بالملائكة الايمان بأنهم عباد الله المكرمون لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وكل طائفة منهم خصت بعمل تقوم به من أمور الله تعالى حسبما نطق به الله فى القرآن الكريم ويتفرع على الايمان بالرسل أنهم سفراء بين الله تعالى وبين العباد وقد أتوا بشريعة من الله تعالى يجب على الامة اتباعها والسير عليها وأنهم معصومون عن الكذب والغلط والسهو والخطأ والخيانة فى التبليغ ومعصومون من الذنوب والمعاصى والاثام صغائرها وكبائرها قبل النبوة وبعدها على تفصيل فى العصمة بين العلماء وأن النبوة ختمت برسالة (محمد) صلى الله تعالى عليه واله وسلم ويتفرع من الايمان بالكتب انها حق ونزلت من الله تعالى وواجب الاتباع والعمل بها فى حينها وان العمل بها قد انتهى بأخر الكتب المنزلة على محمد خاتم النبيين فشريعة القرآن خاتمة الشرائع كما ان من ارسل اليه القرآن خاتم الانبياء والمرسلين (محمد) صلى الله تعالى عليه وسلم ويتفرع على الايمان باليوم الاخر الايمان بالاحياء بعد الموت وبالحشر والنشر والحساب والميزان والصراط والجنة والنار وغير ذلك مما ثبت بالقرآن الكريم او بالاحاديث التى بلغت حد التواتر لفظا ومعنى او معنى فقط عند البعض ويتفرع على الايمان بالقدر

أن التأثير كله لله وأن لاخالق سواه فلا يليق بالعبادة الا هو ولا بالاستعانة الا هو (اياك نعبد واياك نستعين) ولا طاعة الا له ولا تشريع الا له فيجب الحكم بما أنزله وابطال ما أبطله وايجاب ما اوجبه وتحريم ماحرمه واباحة ما أباحه فليس لاحد أن يخالف حكمه أو ان يعصى أمره أو أن ينحرف عن منهجه ودينه وعن اتباع شريعته ونظامه ومن ضل ضل الى النار وبئس المصير . والمراد بقوله (وعملوا الصالحات) هى اعمال الاسلام والتى عبر عنها الرسول (ص) بخمسة أشياء حينما سأله جبريل ما الاسلام فقال الاسلام أن تشهد أن لا اله الا الله وأن تقيم الصلاة وان تؤتى الزكاة وان تصوم رمضان وأن تحج البيت ان استطعت اليه سبيلا فهذه الخمسة تسمى أصول الاسلام ويتفرع منها كل اعمال الاسلام سلبيها وايجابيها بدنيها وماليها والجامع بينهما معاً فأن الصلاة رمز لاداء جميع الواجبات البدنية المحضة الايجابية كالجهاد واطاعة الوالدين ومن يجب عليك اطاعته وتحصيل العلم وغير ذلك من كل عمل اسلامى يؤدى بالبدن فقط . والزكاة رمز لاداء جميع الواجبات المالية المحضة كالنفقة واداء الديون لاهلها والارث لمستحقيه واعانة المحتاجين والمعوزين وغير ذلك من كل عمل اسلامى يؤدى بالمال وحده والصوم رمز لاداء جميع الواجبات البدنية المحضة السلبية وهى عبارة عن الكف عن المحرمات فيدخل فيه الاجتناب عن المعاصى كلها صغيرها وكبيرها كما يشير الى ذلك قوله تعالى (كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) اى لتستعدوا بالصوم على التقوى والاجتناب عما نهى الله تعالى عنه كله صغيره وكبيره سره وعلانيته . والحج عبارة عن الواجبات التى تؤدى بالمال والسفر

فيدخل فيه كل واجب يحتاج في ادائه الى صرف المال وتحمل مشقة السفر كصلة الرحم والجهاد والسفر للعلم وغير ذلك من كل عمل اسلامي لايتأتى الا بالسفر اليه وصرف المال في تسهيل امور هذا السفر والمراد بقوله (وتواصو بالحق (هو الدعوة الى الاسلام والنصيحة للخواص والعوام والامر بالمعروف والائتمار به والنهى عن المنكر والانتهاء عنه فهذان الامران من اساس الاسلام ومن واجب كل مسلم قال (ص) « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فليكره بقلبه وذلك اضعف الايمان » ولاشك بأنه حينما ترك الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فمآل الاسلام الى الزوال ومصير الحق الى الاختفاء ومآل الباطل الى القوة والسلطان قال (ص) لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليسلطن الله عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم والمراد بقوله (وتواصو بالصبر) هو الامر بالصبر وهو تحمل الاذى والمشقة في سبيل الدعوة الى الاسلام والثبات عليه والامر بالمعروف والائتمار به والنهى عن المنكر والانتهاء عنه والصبر اربعة اقسام (١) تحمل المشقة في سبيل اداء الواجبات (٢) وتحمل المشقة في التجنب عن المنكرات (٣) وتحمل الاذى وعدم الجزع عند الابتلاء بالمصائب والبليات (٤) وتحمل المشقة في سبيل الدعوة الى الله والتمسك بدينه والالتزام بشريعته وهذا افضل اقسام الصبر ومن صفات المرسلين الكرام ومن صفات أولى العزم قال تعالى حكاية عن وصية لقمان لابنه (وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم الامور) اى ما اصابك في سبيل الامر بالمعروف والنهى عن المنكر (ان ذلك من عزم الامور) اى ان الصبر على المشقة التى تصيبك في سبيل الامر

بالمعروف والنهى عن المنكر من عزائم الامور وما سمى بعض المرسلين الكرام باولى العــزم الا لانهــم صبروا وتحملوا الاذى عــلى اداء الرسالة والدعوة الى الله وتبليغ شريعة الله والدفاع عــن منهــج الله تعالى جعلنا الله تعالى من الصابريــن ووهــب لنــا أجــرهم أجمعين آمين · هذا ولجلالة هذه السورة واشــتمالها على جميــع مبادىء ومقاصد الاسلام كان الاصحاب رضى الله تعالى عنهم أجمعين حينما يتزاورون لايودع احدهم الاخر حتى يقرأ هذه السورة قبل الوداع تذكارا لما يجب عليهم من أمور الاسلام والامــر بالمعــروف والنهى عن المنكر · هذا وان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ليس خاصا بجهة بل يجب على كل مسلم ان يقوم بذلك حسب قــدرته كما سبق فى حديث من رآى منكم منكرا فليغيره الخ ·

« خاتمـــة »

حصر بعض الناس الاعمال الصالحات فى الطقــوس الدينيــة وشعائرها والذكر والتهليل والتسابيــح فقط وذلــك غلط فاحش وبهتان على الاسلام فان الاسلام لم يأت للطقوس والشعائر فقط ولا للذكر والتسبيح فحسب بل جاء لتنظيم حياة الامة فى الدنيا وفــى الدين فكل عمل أباحه الله تعالى واحتاج اليه المجتمع من التجارة والحدادة والصناعة والنجارة ووظائف الدولة العسكرية والمدنيــة والادارية والتعليمية والمهنية ومن الكناسة الى الرئاسة ومن الصنائع من الاسكافية الى صنع الذرة والصاروخ كل ذلك من واجبات الاسلام فكل من قام بعمل من هذه الاعمال بنية صحيحة وموافقا لشرع الله تعالى مع اداء واجباته الطقوسية يعتبر ذلك العمل عبادة له الا ترى انه يذكر الامراء العادلون مع العلماء العاملين والاوليــاء الكاملين

وان الرسول (ص) رآى يد عامل قد خشنت من العمل فقبلها وقال ان هذه اليد لاتمسها النار والا ترى ان كل حرفة هى من فــروض الكفايات يجب ان يقوم بها جماعة لسد حاجات الناس وان القيــام بأداء فرض الكفاية أفضل من القيام بالسنة والمندوبات بل ومــن فرض العين عند بعض العلماء هذا وان هذا الموضوع لطويل ولامجال لذكر اكثر من هذا هنا . وان العاقل تكفيه الاشارة جعلنا الله تعالى من الفاهمين فهما صحيحا لهذا الدين وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين . هذا وفى عطف العمل على الايمان اشارتان الاولى انه لاينجو المرء من الخسران بمجرد الايمان بل يجب ان ينضم اليه العمل . الثانية أنه رتب العمل على الايمان للدلالة على ان العمل بدون الايمان لايقبل وليس له جزاء عند الله تعالى .

سورة الهمزة

مكية نزلت بعد القيامة وآياتها تسع

بسم الله الرحمن الرحيم

ويل لكل همزة لمزة ٠ الذى جمع مالا وعـدده ٠ يحسب ان ماله أخلده ٠ كلا لينبذن في الحطمـة ٠ وما أدراك ما الحطمة ٠ نار الله الموقدة ٠ التى تطلـع على الافئدة ٠ انها عليهم موصدة ٠ في عمد ممدة ٠

(ويل لكل همزه) ويل بمعنى الهلاك والعذاب وهو مبتدأصح وقوعه مبتدئا مع كونه نكرة لان التنوين للتعظيم فتكـون نكـرة موصوفة فالتقدير ويل عظيم لكل همزة لـمزة الهمز واللمز كلاهما كسر اعراض الناس فالهمزة صيغة مبالغة فى هامز واللمزة صيغة مبالغة فى لامز وكلاهما بمعنى العياب فاذا كان للغائب فقد أغتابه وان كان للحاضر فقد عابه واذا اجتمعا يكون كل واحد بمعنى غـير معنى الآخر فالمعنى ويل عظيم وعذاب وهلاك عظيم لكل من عـاب الناس واغتابهم (الذى جمع مالا وعدده) ذكر هذا عقبه لان اكثر الهمزة واللمزة من طبعهم انهم يجمعون المال ويعددونه ولاينفقونه فى الخير فهم عشاق المال وعبدة الدنيا لايرون فضيلة الا فى المال فيحقرون الناس بسبب طغيانهم بالمال والثراء ويعيبونهم (يحسب ان ماله أخلده) هذا علة لحبهم المال وجمعهم له وتعـدادهم وعـدم انفاقهم له فى سبيل الخير والاحسان لانهم يحسبون ان مالهم يبقيهم فى الدنيا مخلدا فلا يروق لهم صرفه وانفاقه ثم ردعهم تعالى عـلى هذا الحسبان فقال (كلا(أى ليس الامر كما ظنوا فلا المـال يخلدهم

ولا الثروة تبقيهم بل الموت يدركهم ولو ملكوا الدنيا كلها ثم بعد الموت جزاء على ظنهم هذا وبخلهم بالمال وعيبهم للناس (لينبذن في الحطمة) ليطرحن في (الحطمة) بمعنى الحاطمة وهى المهلكة وحيث لم يبين شخصية المهلكة هذه قال تعالى (وما أدريك ما الحطمة) أى ما الذى اعلمك ما الحطمة هذه اى ما أعلمك أحد فنحن نعلمك ونخبرك بها فقال (نار الله الموقدة) اى هى نار الله المشعلة التى لاتخمد ابدا ولا يخفى مافى البيان بعد الابهام من لذة ووقع فى الفهم والقلب فلذا تجد هذه الصنعة كثيرة في القرآن الكريم كما وفى اضافة النار الى الله تعالى ثم وصفها بالايقاد من التهويل والتفخيم لهذه النار مايجب ان يقشعر منها القلوب ويخاف منها كل ذى فهم سليم ولذا وصفها بقوله (التى تطلع على الافئدة) اى تنفذ الى الباطن فتصل الى القلوب والافئدة فتحرقها وتشتعل بها . وكأن الانسان الكافر يختلج بباله ان كل حال يزول وأن كل أمر له نهاية فيتسلى بذلك بعض التسلى وينتظر الخروج منها فقطعا لهذا الامل اذ فى الامل بعض الراحة قال تعالى (انها عليهم موصدة) أى انها عليهم مغلقة بابواب شدت تحت (عمد ممددة) عليها لان من عادة الناس أنهم حينما يريدون غلق الابواب غلقا لاينفتح فانهم يغلقونها ويجعلون فوقها أعمدة حتى لاتزال ولا تفتح فشبه الله تعالى حالهم فى النار بحال من فى بيت اغلق عليه بابه ووضع اعمدة على الباب فلا يستطيع أحد أن يفتحه فالمعنى انهم فيها بحيث لا أمل فى خروجهم منها وهذا بالنسبة للكفار الى الابد وبالنسبة الى العصاة الى أن ينتهى مدة ايقافهم فيها وقانا الله تعالى من الحالين آمين.

سورة الفيل

مكية نزلت بعد الكافرون وهى خمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

ألم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل • ألم يجعل كيدهم فى تضليل • وارسل عليهم طيراً أبابيل • ترميهم بحجارة من سجيل • فجعلهم كعصف مأكول •

(ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل) الاستفهام للانكار وانكار النفى اثبات فالمعنى لقد رأيت يامحمد كيف فعل ربك ... الخ • ومن البداهة ان الرسول لم ير هذه الحادثة ولم يحضرها لانها كانت قبل ولادته او عام ولادته على اختلاف فى الروايات الا انه سمع سماعا متواترا يوجب العلم اليقين فكان كأنه رآها بعينه اى ألم تعلم بسبب السماع علما يقينا مثل العلم الحاصل من الرؤية والمشاهدة وهذا الاستعمال شائع فى العربية وتعد نوعا حسنا من البلاغة فى الكلام (ألم يجعل كيدهم فى تضليل) الاستفهام أيضا للانكار وانكار النفى اثبات أى لقد جعل كيدهم فى أبطال ولهذا صح عطف الماضى المثبت عليه فى قوله (وارسل عليهم) والكيد كل فعل او قول يراد منه الحاق السوء بالغير ولم يقل ألم يجعل كيدهم ضالا اى باطلا للمبالغة كأن كيدهم خاض فى الابطال بحيث لم يرج له الظهور بعد أبدا ثم بين كيف فعل ربهم وكيف جعل كيدهم باطلا وحال دون تنفيذهم له فقال (وارسل عليهم طيرا ابابيل) أرسل عليهم طيورا متفرقات جماعات وفرادى (ترميهم بحجارةمن سجيل)

أى ترميهم بحجارة من الطين المتحجر (فجعلهم) أى فجعلهم الله تعالى بتلك الحجارة (كعصف ماكول) أى كعصف ماكـول لبه أى سقط أحشائهم بهذه الحجارة فلم يبق الا الهيكل العظمى فماتوا كلهم او كعصف ماكول بعضه وباق بعضه أى فتتتهـم تلك الحجـارة نسـب الجعل الى الله تعالى بقرينة تذكير الفعل لان الحجارة لم تصلح لينسب اليها هذا الجعل حتى بالسببية لانها لم تكن مما يقتـل البعوضـة لصغرها فكيف بهؤلاء الاقوياء فانها كانت بقدر الحمصة والعدسة فكان قتلها لهم بمجرد أرادة الله تعالى سببا وخلقا وقد أخطأ من قال بأنها كانت جراثيم مرض الجدرى فاصيبوا بالجدرى اثر رميها اليهم فماتوا والتعجب ممن ذهب هذا المذهب فانه حينما نصدق بـأن موسى ضرب بعصاه الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا الا نصدق بهذا أهذا أبعد أو حينما نؤمن بأن عيسى كان يضرب بعصاه الميت فيحيا الا نصدق بهذا فلعمرى لقد خبط هذا القائل خبطا عظيما فغفر الله له . قال الرازى فى تفسيره رضى الله تعالى عنه مانصه واعلم ان قصة الفيل واقعة على الملحدين جدا لانهم ذكـروا فـى الزلازل والرياح والصواعق وسائر الاشياء التى عذب الله تعالى بها الامم اعذارا ضعيفة اى اعادوا بها الى أمور وتأثيرات ماديـة وبعدوها عن الروحيات وخوارق العادات . أما هذه الواقعة فـلا تجرى فيها تلك الاعذار لانها ليس فى شيىء من الطبائع والحيل ان يقبل طير معها حجارة فتقصد قوما دون قوم فتقتلهم هذا وأقول لو كانت تلك الاحجار جراثيم فلـم أصيب جيش أبرهـة بمـرض الجدرى فقط ولم يصب أحد غيرهم به حتى ان من كان معهم مـن اسرى العرب كانوا ينظرون اليهم حينما يموتون ويفرحون بذلك

ولم يصبهم شيىء من ذلك هذا واليك قصة اصحاب الفيل كما يذكره القرطبى رضى الله تعالى عنه فى تفسيره ·

« قصة اصحاب الفيل »

ان أبرهة كان عاملا للنجاشي على اليمن وكان محل عمله صنعاء فبنى كنيسة سماها القليس لم ير مثلها فى زمنها بشيىء من الارض وكان نصرانيا ثم كتب للنجاشى انى قد بنيت لك أيها الملك كنيسة لم يبن مثلها لملك كان قبلك ولست بمنته حتى أصرف اليها حج العرب · فلما تحدثت العرب بكتاب ابرهة الى النجاشى غضب رجل من بنى فقيم بن عدى فخرج حتى أتى الكنيسة فقعد فيها أى أحدث ثم خرج فلحق بارضه فأخبر بذلك أبرهة فقال من صنع هذا فقيل صنعه رجل من أهل هذا البيت الذى تحج اليه العرب بمكة لما سمع قولك أصرف اليها حج العرب فغضب الرجل فجاء فقعد فيها أراد أنها ليست لذلك باهل فغضب عند ذلك أبرهة وحلف ليسيرن الى البيت حتى يهدمه وبعث رجلا الى بنى كنانة يدعوهم الى حج تلك الكنيسة فقتلت بنو كنانة ذلك الرجل فزاد أبرهة ذلك غضبا ثم أمر الحبشة فتهيأت وتجهزت ثم سار وخرج معه بالفيل وسمعت بذلك العرب فأعظموا الامر وقطعوا به ورأوا جهاده حقا عليهم حينما سمعوا انه يريد هدم الكعبة بيت الله الحرام فخرج اليه رجل من أشراف أهل اليمن وملوكهم يقال له ذو نفر فدعا قومه ومن أجابه من سائر العرب الى حرب أبرهة وجهاده عن بيت الله الحرام · فأجابه من أجابه الى ذلك ثم عرض له فقاتله فهزم ذو نفر واصحابه وأخذ ذو نفر واتى به أسيرا فلما أراد قتله قال له ذو نفر أيها الملك لاتقتلنى فانه عسى أن يكون بقائى معك خيرا لك فتركه

وحبسه عنده فى وثاق وكان أبرهة رجلا حليما ثم مضى أبرهة حتى اذا كان بأرض خثعم فعرض له نفيل ابن حبيب الخثعمى فى قبيلتى خثعم : شهران وناهس ومن تبعه من قبائل العرب فقاتله فهزمه أبرهة وأخذ نفيل اسيرا فلما هم بقتله قال له نفيل ايها الملك لاتقتلنى فانى دليلك بأرض العرب وهاتان يداى على قبيلتى خثعم بالسمع والطاعة فخلى سبيله وخرج به معه يدله حتى اذا مر بالطائف خرج اليه مسعود ابن معتب فى رجال ثقيف فقالوا ايها الملك انما نحن عبيدك سامعون مطيعون ليس عندنا لك خلاف وليس بيتنا هذا البيت الذى تريده عنوا بذلك بيت اللات انما تريد البيت الذى بمكة نحن نبعث معك من يدلك عليه فتجاوز عنهم وبعثوا معه أبا رغال حتى انزله (المغمس) موضع قرب مكة فلما أنزل به مات ابو رغال هناك فرجمت قبره العرب فهو القبر الذى يرجمه الناس بالمغمس وفيه يقول الشاعر :

وارجم قبره فى كل عام كرجم الناس قبر أبى رغال

فلما نزل أبرهة بالمغمس بعث رجلا من الحبشة يقال له الاسود بن مقصود على خيل له حتى انتهى الى مكة فساق فيه اموال اهل تهامة من قريش وغيرهم وأصاب فيها مأتى بعير لعبد المطلب بن هاشم وهو يومئذ كبير قريش وسيدها فهمت قريش وكنانة وهذيل ومن كان معهم بذلك الحرم بقتاله ثم عرفوا انهم لاطاقة لهم به فتركوا ذلك وبعث أبرهة مناطة الحميرى الى مكة وقال له سل عن سيد هذا البلد وشريفهم ثم قل له ان الملك يقول انى لم آت لحربكم انما جئت لهدم هذا البيت فان لم تعرضوا الى بحرب فلا حاجة لى بدمائكم فان هو لم يرد حربى فأتنى به فلما دخل مناطة مكه سأل

عن سيد قريش وشريفها فقيل له عبدالمطلب بن هاشم فجاءه فقال له ما أمر به أبرهة فقال له عبدالمطلب والله مانريد حربه ومالنا بذلك منه طاقة هذا بيت الله الحرام وبيت خليله ابراهيم عليه السلام فان يمنعه منه فهو حرمه وبيته وان يخل بينه وبينه فوالله ماعندنا دفع عنه فقال له مناطة فانطلق اليه فانه قد أمرني أن آتيه بك فانطلق معه عبدالمطلب ومعه بعض بنيه حتى اتى العسكر فسأل عن ذى نفر وكان صديقا له حتى دخل عليه وهو فى محبسه فقال ياذا نفر هل عندك من غناء فيما نزل بنا فقال له ذو نفر : وما غناء رجل أسير بيدى ملك ينتظر ان يقتله غدوا وعشيا ما عندى غناء فيما نزل بك الا ان أنيسا سائس الفيل صديق لى فسأرسله اليه وأوصيه بك وأعظم عليه حقك واسأله ان يستأذن لك على الملك فتكلمه بما بدا لك ويشفع لك عنده بخير ان قدر على ذلك فقال حسبى فبعث ذو نفر الى انيس فقال له ان عبدالمطلب سيد قريش وصاحب مكة ويطعم الناس بالسهل • والوحوش فى رؤوس الجبال وقد اصاب له الملك مأتى بعير فاستأذن له عليه وأنفعه عنده بما استطعت فقال : أفعل فكلم أنيس أبرهة فقال له أيها الملك هذا سيد قريش ببابك يستأذن عليك وهو صاحب عين مكة يطعم الناس بالسهل والوحوش فى رؤوس الجبال فأذن له عليك فيكلمك فى حاجة فأذن له وكان عبدالمطلب اوسم الناس واعظمهم وأجملهم فلما رآه أبرهة أجله وأعظمه عن أن يجلس تحته فنزل أبرهة عن سريره فجلس على بساطه وأجلسه معه عليه الى جنبه ثم قال لترجمانه قل له ما حاجتك فقال له الترجمان فقال حاجتى ان يرد على الملك مأتى بعير أصابها لى فلما قال له ذلك قال أبرهة لترجمانه قل له لقد كنت أعجبتنى حين رأيتك ثم قد زهدت

فيك حين كلمتني أتكلمني في مائتي بعير أصبتها لك وتترك بيتا هو دينك ودين آبائك وقد جئت لهدمه لاتكلمني فيه فقال له عبدالمطلب : اني أنا رب الابل وان للبيت ربا سيمنعه منه قال ابرهــه : ماكــان ليمنع مني قــال عبدالمطلب : أنت وذاك فــرد عليه ابله وانصــرف عبدالمطلب الى قريش فاخبرهم وأمرهم بالخروج من مكة والتحرز في شغف الجبال والشعاب تخوفا عليهم معرة الجيش ثم قام عبدالمطلب وقام معه نفر من قريش يدعون ويستنصرونه على أبرهــة وجنــده فانشد عبدالمطلب وهو آخذ بحلقة باب الكعبة :

لاهــــم ان العبد يمـ	ـنع رحله فامنع حلالك
لايغلبــــن صليبهــــم	ومحالهم عدوا محالك
انيدخلوا البلدالحرام	فأمــر ما بــدا لــك

وقيل كان يقول :

يارب لا ارجو لهــم سواكا	يــارب فامنــع منهم حماكا
ان عدو البيت قــد عاداكا	انهــم لن يقهــروا قــواكا

قال ابن اسحق ثم ارسل عبدالمطلب حلقة باب الكعبة ثم انطلق هو ومن معه من قريش الى شغف الجبال فتحرزوا فيهــا ينتظــرون ما أبرهة فاعل بمكة اذا دخلها فلما أصبح ابرهة تهيأ لدخول مكــة وهيأ فيله وعبأ جيشه وكان اسم الفيل محمودا وأبرهة مجمع لهدم البيت ثم الانصراف الى اليمن فلما وجهوا الفيل الى مكة اقبل نفيل بن حبيب حتى اذا قام الى جنب الفيل ثم أخذ بأذنه فقال له يامحمود ارجع راشدا من حيث جئت فأنك في بلد الله الحرام ثم ارسل اذنه فبرك الفيل وخرج نفيل يشتد حتى أصعد في الجبل وضربوا الفيل

ليقوم فأبى فضربوا رأسه بالطبرزين ليقوم فأبى · فادخلوا محاجن لهم فى مراقه فبزغوه بها ليقوم فأبى فوجهوه راجعا الى اليمن فقام يهرول ووجهوه الى الشام ففعل مثل ذلك ووجهوه الى المشرق ففعل مثل ذلك ووجهوه الى مكة فبرك وارسل الله تعالى عليهم طيرا أبابيل من البحر مثل الخطاطيف مع كل طائر منها ثلاثة احجار حجر فى منقارة وحجران فى رجليه امثال الحمص والعدس لايصيب منهم أحدا الا هلك وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق التى جاءوا منها ويسألون عن نفيل بن حبيب ليدلهم على الطريق الى اليمن فقال نفيل حينما رأى مانزل بهم ·

اين المفر والاله الطالب والاشرم المغلوب ليس الغالب

وقال أيضا :

حمدت الله اذ أبصرت طيرا وخفت حجارة تلقى علينا
فكل القوم يسأل عن نفيل كأن على للحبشان دينا

فخرجوا يتساقطون بكل طريق ويهلكون بكل مهلك على كل سهل وأصيب أبرهة فى جسده وخرجوا به معهم يسقط انملة انملة حتى قدموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه · انتهت القصة باختصار قليل جدا ·

هذا وقد ذكر الله تعالى ذلك لاهل مكة وذكرهم بهذه الحادثة امتنانا بها عليهم حيث فعل مافعل بأبرهة لاجلهم كما صرح بذلك فى السورة الاتية بقوله لايلاف قريش ··· الخ وسنفصل ذلك انشاء الله تعالى ·

سورة قريش

مكية نزلت بعد الفيل وهى اربع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

لأيلاف قريش • أيلافهم رحلة الشتاء والصيف • فليعبدوا رب هذا البيت • الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف •

(لايلاف قريش) اللام متعلق بجعلهم فى السورة السابقة فى قوله فجعلهم كعصف ماكول اى فعل الله تعالى ذلك لاجل بقاء ايلاف قريش ثم بين ذلك الايلاف فقال : (أيلافهم رحلة الشتاء والصيف) اى ايلافهم بمعنى تعودهم على رحلتين رحلة فى الشتاء الى اليمن للتجارة ويذهبون بامتعة الشام اليها فيبيعونها فيها ويجلبون بأمتعة اليمن فيرحلون رحلة فى الصيف الى الشام يبيعون أمتعة اليمن فيها ويأتون بامتعة الشتاء لاجل ان يذهبوا بها الى اليمن وهكذا تعودوا هاتين الرحلتين وكانت معظم تجارتهم فى هاتين الرحلتين وعليهما كان المدار لمعيشتهم وثرائهم وغناهم وكانوا فى هاتين الرحلتين آمنين على انفسهم واموالهم لايتعرض لهم الناس ولا يقطعون الطريق عليهم ولا يسلبونهم أموالهم بل كانوا يحترمونهم ويقدرونهم ويضيفونهم لانهم جيران بيت الله الحرام وسدنة كعبة الله الشريفة وسكان حرم الله تعالى فلو هدم هذا البيت لزال قدرهم ولم يبق احترامهم

وقدسيتهم عند الناس فلم يكونوا يستطيعون هـذه الاسفـار آمنين مطمئنين ولا تبقى لهم تجارة ولا الرحلتان ثم أمرهم الله تعالى أن يشكروا هذه النعمة ولا يكفروها فقال (فليعبدوا رب هذا البيت الذى اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) أى فليعبدوا رب هذا البيت وحده ولا يشركوا به شيئا فانه هو الذى اطعمهم من جـوع بسبب التجارة الآمنة بواسطة هذا البيت ويجلب النـاس اليهـم الطعـام والارزاق والثمار عند حج هذا البيت (وآمنهم من خوف) أحاط بهم من قبل أبرهة كل ذلك ببركة هذا البيت فليعبدوا ربه ولا يشركوا به أحدا شكرا لهذه النعمة وغيرها من سائر النعم هذا . وان فى هذه القصة انذارا وتخويفا لكل من أراد بهذا البيت سوءا أو اراد ببيت من بيوت الله تعالى ومساجده تخريبا او تعطيلا او غير ذلك من كل سوء قال تعالى :

فمن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى فى خرابها اولئك ماكان لهم ان يدخلوها الا خائفين لهم فى الدنيا خزى ولهم فى الاخرة عـذاب عظيم .

فما أشد هذا الوعيد فعجل اللهم بالانتقام من كل جبار عنيد آمين واحفظنا وارحمنا برحمتك ياارحم الراحمين .

سورة الماعون

آياتها الثلاث الاولى مكية والباقية مدنية نزلت بعد التكاثر آياتها سبع ٠

بسم الله الرحمن الرحيم

أرأيت الذى يكذب بالدين ٠ فذلك الذى يدع اليتيم ٠ ولا يحض على طعام المسكين ٠

(أرأيت الذى يكذب بالدين) الرؤية هنا بمعنى العلم عبر عنه بها للاشارة الى ان الاستفهام عن علم يقين يكون كالرؤية والمشاهدة فالمعنى أعلمت علما يقينيا لاشك فيه والاستفهام للانكار اى لم تعلم الذى يكذب بالدين اى بالحساب والجزاء ويوم القيامة من هو فنحن نخبرك ونعلمك به (فذلك الذى يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين) فذلك الذى يكذب بالدين هو الذى يطرد اليتيم طردا عنيفا وينهره ولا يشجع لانفسه ولا غيره على طعام المسكين ومواساته واعانته والاخذ بيده وسد حاجته ٠ فمن كان هذه صفاته فليس بمؤمن كامل وان صلى وصام فلذا قال تعالى :

فويل للمصلين ٠ الذين هم عن صلاتهم ساهون ٠ الذين هم يراؤن ٠ ويمنعون الماعون ٠

(فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون) فهلاك وعذاب عظيم للذين يصلون ويؤدون شعائر دينهم وهم عن معنى الصلاة وتلك الشعائر غافلون وتاركون له فان معنى الصلاة والشعائر ان

يتنور القلب ويتطهر من الرذائل ومن رذيلة البخل خاصة فتترحم على اليتيم وتتصدق على المساكين فمن لم تحمله صلاته على هذا البذل والجود فصلاته غير كافية لنجاته من المسؤولية ومن عذاب الله تعالى فلذا قال : (الذين هم يراؤون) الذين يراؤن الناس أنهم يصلون ولكن فى الحقيقة لايصلون لان صلاتهم لم تؤثر فيهم ولم تعمل فيهم ما وضعت الصلاة لاجله من طهارة القلب والترحم على اليتامى والمساكين وبذل المال وعلامة ذلك أنهم (ويمنعون الماعون) أى يمنعون المعونة عن الناس فلا يقومون بها لهم ٠

خاتمـــة :

تشير هذه السورة الى ان الاسلام ليس طقوسا وأداء لشعائر فقط بل ان الاسلام كمركب كيمياوى مـن مادتين اذا لـم يوجـد احديهما لاتنتج الاخرى مفعوله فالاسلام مركـب مـن عنصـرين اساسيين بذل النفس والمال فى سبيل ما أمر الله تعالى به ويعبر عن ذلك بالعبادة البدنية والعبادة المالية فمن فعـل واحـدة منهما دون الاخرى فليس بمؤمن بل المؤمن من قـام بادائهما جميعا دون نقص وقد صرح تعالى بذلك فى سورة الحجرات بقوله :

(انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم فى سبيـل الله اولئـك هـم الصادقون) اى فى أيمانهم فتفيد الآية ان غيرهم كاذبون فى ادعائهم الايمان والاسلام جعلنا الله تعالى من المؤمنين الصادقين آمين ٠

سورة الكوثر

مكية نزلت بعد العاديات وآياتها ثلاث

بسم الله الرحمن الرحيم

انا أعطيناك الكـوثر • فصل لربـك وانحر • ان شانئك هو الابتر •

(انا اعطيناك الكوثر) كان لايعيش لرسول الله (ص) اولاده الذكور فتناقل جماعة من صناديد قريش فقالوا ان محمدا أبتر أى مقطوع النسل فيموت دينه بموته فبلغ ذلك رسول الله فتألم قلبـه الشريف فسلاه الله تعالى فقال (انا اعطيناك الكوثر) الكوثـر صيغة مبالغة من الكثير فالمعنى الكثير جدا من المال او القوة او العلم او غير ذلك وقد اختلف المفسرون فى المراد بالكوثر الذى اعطـى للرسول (صلى الله تعالى عليه وسلم) فمنهم من قال هو القـرآن ومنهم من قال النبوة ومنهم من قال الاسلام وبعضهم قال هو حوض الكوثر ويروى فى هذا المعنى أحاديث منها مافى القرطبى أنه روى الترمذى عن ابن عمر قال : قال رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) (الكوثر نهر فى الجنة حافتاه من ذهب ومجراه عـلى الدر والياقوت تربته أطيب من المسك وماءه أحلى من العسل وابيض من الثلج) وقيل حديث حسن صحيح وقال فى القرطبى أيضا مـن صحيح مسلم عن أنس قال (بينما نحن عند رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم) اذ أغفى اغفاءة ثم رفع رأسـه متبسما فقلنـا ما أضحكك يارسول الله (ص) قال نزل علىّ آنفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم • انا اعطيناك الكوثر • فصل لربك وانحر • أن

شانئك هو الابتر . ثم قال أتدرون ما الكوثر قلنا الله ورسوله اعلم قال فأنه نهر وعدنيه ربى عز وجل عليه خير كثير هو حوض تـرد عليه أمتى يوم القيامة آنيته عدد النجوم فيختلج العبد منهم فأقول انه من أمتى فيقال لاتدرى ما أحدث بعدك) هذا وقد ذكر القرطبى ستة عشر قولا فى الكوثر لاينافى بعضها بعضا فالكوثر هو الحوض والنبوة والقرآن والاسلام وغير ذلك كله من الخير الذى اعطى للنبى (صلى الله تعالى عليه وسلم) ومن الجدير ان نقول هنا ان الكوثر نوعان معنوى وحسى فالمعنوى هو ما أعطاه الله تعالى للرسول فى الدنيا من النبوة وغير ذلك ويجمع الكل الاسلام والحسى ما أعطـاه الله تعالى له فى الاخرة وهو الحوض وهما متلازمان بل ان مافى الدنيا هو الذى ينقلب الى مافى الآخرة او سببه فمن شرب مـن الاسلام فى الدنيا شرب من الحوض فى الاخرة ومن لا فلا كما أفاده الحديث اذ قال فيختلج أى يطرد منه العبد فأقول انه من امتى فقال انك لاتدرى ما أحدث بعدك هذا فأخبر الله تعالى نبيه بأنه أعطاه الخير الكثير فلا تحزن فانه خير من الولد والابناء وأمره أن يشكره على نعمة هذا الكوثر بعبادة ربه واطاعة أمره فقال (فصل لربك وانحر) أختلف المفسرون فى الصلاة المأمور بها هنا فبعضهم قـال هى الصلوات المكتوبة الخمس ومنهم من قال صـلاة عيـد الاضحى بقرينة وانحر أى اذبح الضحايا والحق ان الصلاة رمز للعبادات البدنية كلها والنحر رمز للعبادات المالية جميعها فالمراد هنا فأد كل واجب عليك من الواجبات البدنية والمالية ولا تترك واحـدة منهـا فتكون هذه السورة تأكيدا لما أشير اليه فى السورة السابقة من أن

الاسلام ليس الطقوس والشعائر فقط بل هو عبارة عن الطقوس والشعائر جميعا والعبادات البدنية والمالية معا ولا يحصل الاسلام بواحد دون الاخر واشار بقوله لربك فى (فصل لربك) الى أنه يجب أن تكون العبادات كلها البدنية والمالية لله تعالى وحده لالغرض آخر من أغراض الدنيا والا فلا يكون لها ثواب عندا الله وجزاء فى الاخرة ثم اعاد التسلية مرة أخرى فقال (ان شانئك هو الابتر)اى الذى يبغضك هو الابتر ومقطوع النسل لا أنت فان النسل نسلان نسل ذرية ونسل عقيدة والثانى أفضل من الاول وان الاول لايعد نسلا مالم يكن من اهل عقيدتك الا يرى انه تعالى قال لنوح فى حق ابنه (انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح) والا يرى ان الولد يحرم من ارث والده اذا لم يكن على عقيدته وقد صدق الله تعالى اذ لايزال الى يوم القيامة من يدين بدين محمد ويحمل عقيدته ويقدس شريعته ولكن لم يبق أحد على دين أبى جهل وأبى لهب وعاص بن وائل وغيرهم من صناديد قريش الذين قالوا لمحمد أبتر وكذلك ترى ملايين الناس يعتز بالانتساب الى الرسول ويقول أنا حسنى أو حسينى فهل ترى من يدعى الانتساب اليوم الى ابى جهل وغيره من هؤلاء الذين أخفى الله نسلهم سواء أكان من جهة النسب او من جهة العقيدة فقد حقق الله تعالى قوله (ان شانئك هو الابتر) فانهم هم الابتر لا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ٠

وفى هذه السورة اشارة الى أن من أدى عباداته البدنية والمالية وتوجه الى الله تعالى بكليته وتوكل عليه يكون مبغضه أبتر خاسرا لابركة فيه ويبقى هو غانما وذا عاقبة حسنة ٠

سورة الكافرون

مكية نزلت بعد الماعون وآياتها ست

بسم الله الرحمن الرحيم

قل يا أيها الكافرون • لا أعبد ماتعبدون • ولا أنتم عابدون ما أعبد ولا أنا عابد" ماعبدتم • ولا أنتم عابدون ما أعبد • لكم دينكم ولي دين •

(قل يا أيها الكافرون لا أعبد ماتعبدون) الاسلام صراحةلايقبل كناية واضح لايقبل خفاء صلب لايقبل لينا صفاء لايقبل خلطا • أراد بعض الكافرين من الرسول ان يميل الى دينهم بعض الشيء فيميلوا الى دينه (ودوا لو تدهن فيدهنون) فأمره الله تعالى أن يصارحهم وينابذهم فقال(قل يا أيها الكافرون • لا أعبد ماتعبدون) أى قل يامحمد للكافرين بك وبدينك وبما جئت به • قل للمشركين وأهل الكتاب وصارحهم ونابذهم وقل يا أيها الكافرون بى وبما جئت به (لا أعبد ما) الذى تعبدونه من أصنام وهياكل واله له ولد أو له بنات (ولا أنتم عابدون ما) الذى (أعبد) من الهمنزه عن الشريك والولد والبنات وكما انى تبرأت من عبادة معبودكم فقد تبرأت من كيفية ونوعية عبادتكم فقل (ولا أنا عابد ما عبدتم) عبادة مثل عبادتكم ولا أنتم عابدون ما أعبد) مثل عبادتى فمعبودى غير معبودكم وعبادتى غير عبادتكم (لكم دينكم ولى دين) ودينى غير دينكم ودينكم غير دينى فلا يمكن الجمع بيننا ولا يمكن أن ادخل فى الاسلام ماليس منه وتسمى هذه السورة سورة المنابذة كما تسمى سورة الاخلاص بالاخلاص • روى أنه كان أحد الاصحاب

يصلى ركعتى المغرب فقال (ص) له فى الركعة الاولى نابذ بمعنى اقرأ سورة المنابذة فقرأها وقال له فى الركعة الثانية أخلص فقرأ سورة الاخلاص فسن للمسلم ان يقرأ هاتين السورتين فى سنة الفجر وسنة المغرب ليجدد المنابذة والاخلاص ·

واشارة الى أنه من واجب المسلمين أولا منابذة الكافرين وعقيدتهم وشريعتهم وعاداتهم وتقاليدهم ثم التوجه الى الاخلاص لله تعالى وأنه لايتم الاخلاص الا بالتنزه عن جميع ما للكافرين من نظام وعقيدة وشريعة ودستور فانه لايمكن الجمع بين المتضادين ولا يصح الميل الى المتغايرين فتوجه أيها المسلم الى الاسلام بكليته والا فلا يقبل منك هذا الاسلام والله تعالى غنى عن كل كفر ونفاق وهكذا وضوح الاسلام وصراحته وصلابته فهو سبيل واحد مستقيم لا التواء فيه ولا اعوجاج فيه اللهم اهدنا فيمن هديت برحمتك يا أرحم الراحمين ·

ســؤال :

كيف يقول لاهل الكتاب (لا أعبد ماتعبدون) ومعبودهم هو الله تعالى الجواب ان معبودهم هو الله الذى يوصف بأنه ابو العزير او ابو المسيح ومعبود المسلمين هو الله الذى تنزه عن الولد والوالد وكل مايصفون به فبهذا يكون معبوده غير معبودهم ·

يا ايهــا الكافــرون	ماذا انتــم عابــدون
لقــد ضللتــم طــريقا	وما انتم بهــا ديــن
ربــى الــه واحــد	انتــم بــه مشركون
دينى هــاد الى الخــير	وما انتــم مهتــدون
لا اعبــد ماتعبــدون	أمــر رب العــالمين
ومــا أنتــم عابــدون	كل بدينــه يديــن
«حسين» قـــد تجنــب	خصائص الكافرين
فاجعــل الهى حشره	فــى زمــرة المؤمنين

سورة النصر

مدنية نزلت بعد التوبة وآياتها ثلاث

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا جاء نصر الله والفتح • ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً •

كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يسكن المدينة المنورة وينظر الى تلك القبائل التى تحيط بالمدينة والتى نصبت راية العداء والتنكر لهذا الدين • كما وينظر الى مكة المكرمة بلدة آبائه واجداده ومسقط رأسه والى البيت الذى بناه جده ابراهيم ليعبد الله فيه وحده ولا يشرك به شيء فها هو هذا البيت مغتص بالاصنام ويعبدها قريش • وان قريشاً تكاذ تميز من الغيظ لهذا الرسول الكريم الذى جاء يناديهم الى الرجوع الى الدين الخالص دين أبيهم ابراهيم عليه السلام والى نبذ عبادة الاصنام والاشراك بالله تعالى وان يعبدوا الله وحده ولا يشركوا به شيئا • والى ان يعتنقوا هذا الدين الذى أنزله الله تعالى رحمة للعالمين • وقد كان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم كما اخبر الله تعالى عنه بقوله :

لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم •

كان حريصا على ايمان القوم ويعز عليه هلاكهم بسبب كفرهم• فلا شك أنه كان يضيق صدره الشريف ويحزن قلبه المبارك • حينما يرى اصرار الامة على الضلالة وبعدهم عن الهدى وسلوك السبيل

المستقيم . فسلاه الله تعالى . وبشره بقرب النصر وفتح مكة ودخول الناس فى دينه الشريف دين الله تعالى رب العالمين فقال : (اذا جاء نصر الله والفتح) كلمة اذا تستعمل فيما يتحقق وقوعه فالمعنى ان النصر يأتى دون شك وتفتح مكة ويدخل الناس فى دين الله تعالى أفواجا اى جماعات جماعات وقبيلة قبيلة بعد أن كان يدخلون فيه فرادى واشخاص قليلون . فاذا جاء هذا النصر يامحمد وفتحت مكة ودخل الناس فى دين الله أفواجا .

فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا

كثيرا مايقال التسبيح عند وقوع أمر عظيم وغير مترقب . والمراد به تنزيه الله تعالى عن أن يعجز عن خلق مثل هذا الامر العظيم . فالمعنى فاعتقد اى داوم على عقيدتك بأن الله تعالى منزه عن أن يعجز عن نصرك وفتح مكة على يدك وجعل الناس يدخلون فى دين الله تعالى أفواجا . والمعنى يظهر ذلك التنزه فى ذلك الوقت ظهور الشيىء بوجوده وجودا محسوسا وقوعيا كما كان قبل ذلك موجودا فى عقيدتك وجودا اعتقاديا علميا (بحمد ربك) أى مصاحبا ذلك التنزيه بحمد ربك أى بشكره على هذه النعم العظيمة نعمة الفتح والنصر ودخول الناس فى هذا الدين فان الحمد لله اذا وقع مقابل النعمة يكون شكرا .

فائـــدة :

عطف الله تعالى الفتح على النصر لان النصر كان سببا للفتح . وعطف دخول الناس فى الدين على الفتح لان فتح مكة كان سببا لاسلام الناس . وذلك لان مكة كانت كعاصمة للجزيرة العربية وللقبائل

المجاورة لها خاصة · فاذا سقطت العاصمة سقط ما يتبعها عادة · وان القبائل حينما رآت قريشا دانت لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم · لم يبق لها مجال الا الاسلام والدخول فيه · فاسلموا ·

واستغفره انه كان توابا

اى واستغفر الله يامحمد ان الله كان توابا ولا يزال يقبل التوبة من عباده ·

(سـؤال)

كيف أمر الله تعالى رسوله بالاستغفار وهو معصوم ·

الجـواب :

قد ذهب كثير من المفسرين للخروج عن هذه الورطة الى ماوقعوا فيها أخيرا فان كلهم أثبتوا للرسول ذنبا ثم قالوا انه ليس بذنب الا ان (حسنات الابرار سيئآت المقربين) او غير ذلك من التأويل ·

والذى اعتقد ان هذا غلط لان عصمة الرسول معناها العصمة من الذنب كله سواء ماكان ذنبا بالنسبة اليه خاصة او بالنسبة للناس كلهم · فالحق مانقله الامام الرازى عن بعض العلماء من ان المعنى (واستغفر) يامحمد اهؤلاء الذين يدخلون فى دين الله افواجا فانك ان تستغفر لهم يغفر الله تعالى لهم فان الله كان توابا · اقول وهذا التفسير يوافق قوله تعالى ولو أنهم اذ ظلموا جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما ·

وهكذا يجب ان يحمل كل ماورد من الاستغفار والمغفرة الواردة فى حق الانبياء والمرسلين على غير معناه الحقيقى جمعا بينه وبين ماثبت من عصمة الانبياء سيما من هو خير الانبياء وامام المرسلين·

خاتمـــة :

ان فى هذه السورة لمعجزة باهرة لانها أخبرت بالنصر والفتح واسلام الناس قبل وقوعها بزمان وقد وقع كما أخبرت . فيكـون اخبارا عن الغيب كما هو فيكون معجزة . ثم ان قصة فتـح مكـة ذكرت فى تفسير القرطبى والامام الرازى والخازن بعبارات مختلفة متحدة المعنى والمفاد الا انه حيث كانت عبارة الخازن أضبط واوضح فانقل لكم القصة كما هى فى الخازن ان شاء الله تعالى .

قصـة الفتـح

قال الخازن فى تفسير هذه السورة كانت قصة الفتح كما ذكره ابن اسحاق واصحاب الاخبار ان رسول الله (ص) لما صالح قريشا عام الحديبية اصطلحوا على وضع الحرب بن الناس عشرين سنـة وقيـل عشر سنين يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض وانه من أحب أن يدخل فى عقد محمد (ص) وعهده دخل فيه ومن أحب أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم دخل فيه فدخلت بنو بكر فى عهد قريش ودخلت خزاعة فى عهد النبى (ص) وكان بينهما شر قديم ثم ان بنى بكر عدت على خزاعة وهم على ماء لهم اسفل مكة يقال له الوتير فخرج نوفل بن معاوية الدئلى فى بنى الدئل من بنى بكر حين بقيت خزاعة عـلى الوتير فاصابوا منهم رجلا وتحاوروا واقتتلوا وردفت قريش بنى بكر بالسلاح وقاتل معهم من قريش من قاتل بالليل مستخفيا حتى حازوا خزاعة الى الحرم وكان ممن أعان بنى بكر من قريش على خزاعة ليلتئذ بانفسهم بكر بن صفوان بن أمية وعكرمة بن أبى جهل وسهيل بن عمرو مع عبيدهم فلما انتهوا الى الحرم قالت بنو بكر يانوفل انا قد

دخلنا الى آلهك فقال كلمة عظيمة انه لا اله له اليوم يابنى بكر أصيبوا ثأركم فلعمرى انكم لتسرقون فى الحرم أفلا تصيبون ثأركم فيه قال فلما تظاهر بنو بكر وقريش على خزاعة وأصابوا منهم ما أصابوا ونقضوا ماكان بينهم وبين رسول الله (ص) من العهد والميثاق بما استحلوا من خزاعة وكانوا فى عقده خرج عمرو بن سالم الخزاعى حتى قدم على رسول الله (ص) المدينة وكان ذلك مما أهاج فتح مكة فوقف عليه وهو فى المسجد جالس بين ظهرانى الناس فقال :

يارب انى ناشد محمدا حلف ابينا وأبيه الا تلدا
قد كنتمو ولدا وكنا والدا ثمت أسلمنا فلم ننزع يدا
فانصر هداك الله نصرا أعتدا وادع عباد الله يأتوا مددا
فيهم رسول الله قد تجردا ان سيم خسفا وجهه تربدا
فى فيلق كالبحر يجرى مزبدا ان قريشا أخلفوك الموعدا
ونقضوا ميثاقك المؤكدا وجعلوا لى فى كداء رصدا
وزعموا أن لست أدعو أحدا وهم أذل وأقل عددا

هم بيتونا بالوتير هجدا وقتلونا ركعا وسجدا فانصر هداك الله نصرا أبدا فقال رسول الله (ص) قد نصرت ياعمرو بن سالم ثم عرض لرسول الله (ص) عنان من السماء فقال ان هذه السحابة لتشهد بنصر بنى كعب وهم رهط عمرو بن سالم ثم خرج بديل بن ورقاء فى نفر من خزاعة حتى قدموا على رسول الله (ص) المدينة فأخبروه بما أصيب منهم وبمظاهرة قريش بنى بكر عليهم ثم انصرفوا راجعين الى مكة وقد كان رسول الله (ص) قال للناس كأنكم بأبى سفيان قد جاء يشدد فى العقد ويزيد فى المدة ومضى بديل بن ورقاء واصحابه حتى لقوا أبا سفيان بعسفان قد بعثه قريش الى رسول الله (ص) يشدد فى العقد ويزيد

فى المدةوقد رهبوا من الذى صنعوا فلما لقى أبو سفيان بديلا قال من أين أقبلت يابديل وظن أنه أتى رسول الله (ص) قال سرت فى خزاعة فى هذا الساحل وفى بطن هذا الوادى قال وهل أتيت محمدا قال لا فلما راح بديل الى مكة قال أبو سفيان لئن كان جاء المدينة لقد علف فيها النوى فعمدا الى مبرك ناقته فاخذ من بعرها ففته فرأى فيه النوى فقال أحلف بالله لقد جاء بديل محمدا ثم خرج ابو سفيان حتى قدم على رسول اللله (ص) المدينة فدخل على ابنته أم حبيبة بنت أبى سفيان فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله (ص) طوته عنه فقال أى بنية أرغبت بى عن هذا الفراش أم رغبت به عنى فقالت بل هو فـراش رسول الله (ص) وأنت رجل مشرك نجس لم أحب أن تجلس على فراش رسول الله (ص) فقال والله لقد أصابك يابنية بعدى شر ثم خرج حتى أتى رسول الله (ص) فكلمه فلم يرد عليه شيئا ثم ذهب الى أبى بكر فكلمه أن يكلم له رسول الله (ص) فقال ما أنا بفاعل ثم أتى عمر بن الخطاب فكلمه فقال أنا أشفع لك الى النبى (ص) فوالله لو لم أجد الا الذر لجاهدتكم به ثم خرج فدخل على عليّ بن أبى طالب وعنده فاطمة بنت رسول الله (ص) وعندها الحسن بن على غلاما يدب بين يديها فقال ياعلى انك أمس القوم بى رحما وأقربهم منى قرابة وقد جئت فى حاجة فلا أرجعن كما جئت خائبا فاشفع لى الى رسول الله (ص) فقال ويحك يا أبا سفيان لقد أرى عزم رسول رسول الله (ص) عـلى أمر لانستطيع أن نكلمه فيه فالتفتت الى فاطمة وقال يابنت محمد هل لك أن تأمرى بنيك هذا فيجير بين الناس فيكون سيد العرب الى اخر الدهر فقالت والله مابلغ ابنى أن يجير الناس وما يجير أحد على رسول الله (ص) فقال يا أبا الحسن انى أرى الامور قد اشتدت عليّ فانصحنى قال

والله لا أعلم شيئا يغنى عنك ولكنك سيد بنى كنانة فقم فأجر بين الناس ثم الحق بارضك قال وترى ذلك مغنيا عنى شيئا قال لا والله ما أظن ذلك ولكن لا أجد لك غير ذلك فقام أبو سفيان فى المسجد فقال ايها الناس انى قد أجرت بين الناس ثم ركب بعيره فانطلق فلما قدم على قريش قالوا ماوراءك قال جئت محمدا فكلمته فوالله مارد على شيئا ثم جئت ابن ابى قحافة فلم أجد عنده خيرا ثم جئت ابن الخطاب فوجدته أعدى القوم ثم أتيت علي بن ابى طالب فوجدته ألين القوم وقد أشار علىّ بشيىء صنعته فوالله ما أدرى هل يغنى ذلك شيأ أم لا قالوا وما ذاك قال أمرنى أن أجير بين الناس ففعلت قالوا فهل أجاز ذلك محمد قال لا قالوا ويلك والله مازاد على أن لعب بك فما يغنى عنك ماقلت قال لا والله ما وجدت غير ذلك قال وأمر رسول الله (ص) الناس بالجهاز وأمر أهله أن يجهزوه فدخل أبو بكر على ابنته عائشة وهى تصلح بعض جهاز رسول الله (ص) فقال أى بنية أمركم رسول الله (ص) أن تجهزه قالت نعم قال فأين ترينه يريد قالت لا والله ما أدرى ثم ان رسول الله (ص) أعلم الناس أنه سائر الى مكة وأمرهم بالجد والتهيؤ وقال اللهم خذ العيون والاخبار عن قريش حتى نبغتها فى بلادها فتجهز الناس وكتب حاطب ابن أبى بلتعة كتابا الى قريش يخبرهم بالذى أجمع عليه رسول الله (ص) وقد تقدمت قصته فى تفسير سورة الممتحنة ثم مضى رسول الله (ص) لسفره واستخلف على المدينة أبارهم كلثوم بن حصين بن عتبة بن خلف الغفارى وخرج رسول الله (ص) عامدا الى مكة لعشر بقين من رمضان سنة ثمان من الهجرة فصام النبى (ص) وصام الناس معه حتى اذا كان بالكديد بين

عسفان وأمج أفطر ثم مضى حتى نزل بمر الظهران وقد عميت الاخبار عن قريش ولم يأتهم خبر رسول الله)ص(ولا يدرون ماهو فاعل خرج فى تلك الليالى أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء يتجسسون الاخبار وينظرون هل يجدون خبرا او يسمعون به وقد كان العباس بن عبدالمطلب لقى رسول الله (ص) ببعض الطريق قال ابن هشام لقيه بالجحفة مهاجرا بعياله وقد كان قبل ذلك مقيما بمكة على سقايته ورسول الله (ص) عنه راض فلما نزل رسول الله (ص) مر الظهران قال العباس بن عبدالمطلب ليلتئذوا صباح قريش والله لئن دخل رسول (ص) مكة عنوة قبل أن يأتوه فيستأمنوه انه الهلاك لقريش الى اخر الدهر قال فجلست على بغلة رسول الله (ص) البيضاء فخرجت عليها حتى جئت الاراك لعلى أجد حطاباً أو صاحب لبن أو ذا حاجة يدخل مكةفيخبرهم بمكان رسول الله (ص) ليخرجوا اليه فيستأمنوه قبل ان يدخل عنوة قال العباس فوالله انى لاسير عليها والتمس ماخرجت له اذا سمعت كلام ابى سفيان وبديل بن ورقاء وهما يتراجعان وأبو سفيان يقول مارأيت كالليلة نيرانا قط فقال بديل هذه والله نيران خزاعة همشتها الحرب فقال أبو سفيان خزاعة أذل وأقل من ان تكون هذه نيرانها فعرفت صوته فقلت يا أبا حنظلة فعرف صوتى فقال يا أبا الفضل فقلت نعم قال مالك فداك أبى وأمى قلت ويحك يا أبا سفيان هذا رسول الله قد جاء بما لا قبل لكم به بعشرة الاف من المسلمين قال وما الحيلة قلت والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك فاركب عجز هذه البغلة حتى آتى بك رسول الله (ص) فأستأمنه لك فردفنى ورجع صاحباه فخرجت أركض به على بغلة رسول الله (ص) كلما مررت بنار

من نيران المسلمين ينظرون الي ّ ويقولون عم رسول الله (ص) على بغلة رسول الله (ص) حتى مررت بنار عمر بن الخطاب فقال من هذا فقام الي ّ فلما رآى أبا سفيان على عجز البغلة قال أبو سفيان عدو الله الحمد لله الذى أمكن منك بغير عقد ولا عهد ثم خرج يشتد نحو رسول الله (ص) وركضت البغلة فسبقته كما تسبق الدابة البطيئة الرجل البطيء فاقتحمت عن البغلة سريعا فدخلت على رسول الله (ص) ودخل عليه عمر فقال يارسول الله هذا عدو الله أبو سفيان قد أمكن الله منه بغير عقد ولا عهد فدعني أضرب عنقه قال فقلت يارسول الله انى قد أجرته ثم جلست الى رسول الله (ص) فأخذت برأسه وقلت والله لايناجيك الليلة أحد دونى فلما أكثر عمر فى شأنه قلت مهلا ياعمر فوالله ماتصنع هذا الا أنه رجل من بنى عبد مناف ولو كان من بنى عدى بن كعب ماقلت هذا فقال مهلا ياعباس فوالله لاسلامك يوم أسلمت كان أحب الى من اسلام الخطاب لو أسلم فقال رسول الله (ص) اذهب به ياعباس الى رحلك فاذا أصبحت فأتنى به قال فذهبت به الى رحلى فبات عندى فلما أصبح غدوت به الى رسول الله (ص) فلما رآه قال ويحك يا أبا سفيان ألم يان لك أن تعلم أن لا اله الا الله وانى رسول الله قال بأبى انت وأمى ما احلمك واكرمك وأوصلك والله لقد ظننت أن لو كان مع الله اله غيره لقد أغنى عنى شيا بعد قال ويحك يا أبا سفيان ألم يان لك أن تعلم أنى رسول الله قال بأبى أنت وامى ما أحلمك وأكرمك واوصلك أما هذه فان فى النفس منها حتى الان شيا فقال العباس ويحك أسلم وأشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله قبل أن تضرب عنقك فتشهد شهادة الحق وأسلم قال البعاس فقلت يارسول الله ان أبا سفيان هذا رجل يحب الفخر فاجعل

له شيئاً قال نعم من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن فلما ذهب لينصرف قال رسول الله (ص) ياعباس احبسه بمضيق الوادى عند خطم الجبل حتى تمر به جنود الله قال فخرجت به حيث أمرنى رسول الله (ص) أن أحبسه قال ومرت به القبائل على راياتها كلما مرت به قبيلة قال من هؤلاء ياعباس فأقول سليم فيقول مالى ولسليم ثم القبيلة فيقول من هؤلاء فأقول مزينة فيقول مالى ولمزينة حتى نفدت القبائل لاتمر قبيلة الا سألنى عنها فاذا اخبرته عنها فيقول مالى ولبنى فلان حتى مر رسول الله (ص) فى كتيبته الخضراء وانما قيل لها الخضراء لكثرة الحديد وظهوره فيها وفيها المهاجرون والانصار لايرى منها الا الحدق من الحديد فقال سبحان الله من هؤلاء ياعباس قلت هذا رسول الله (ص) فى المهاجرين والانصار قال ما لاحد بهؤلاء من قبل ولا طاقة والله يا أبا الفضل لقد اصبح ملك ابن اخيك عظيما قلت ويحك انها النبوة قال فنعم اذاً فقلت الحق الان بقومك فحذرهم فخرج سريعا حتى أتى مكة فصرخ فى المسجد بأعلى صوته يامعشر قريش هذا محمد قد جاءكم بما لاقبل لكم به قالوا فمه قال من دخل دار أبى سفيان فهو آمن قالوا ويحك وما تغني عنا دارك قال من دخل المسجد فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن فتفرق الناس الى دورهم والى المسجد قال وجاء حكيم ابن حزام وبديل بن ورقاء الى رسول الله (ص) فأسلما وبايعاه فلما بايعاه بعثهما رسول الله (ص) بين يديه الى قريش يدعوانهم الى الاسلام ولما خرج حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء من عند رسول الله (ص) عامدين الى مكة بعث فى أثرهما الزبير وأعطاه رايته وأمره على خيل المهاجرين والانصار وأمره أن يركز رايته

بأعلى مكة بالحجون وقال لاتبرح حيث أمرتك أن تركز رايتي حتى آتيك ثم ان رسول الله (ص) كان ليضع رأسه تواضعا لله عز وجل حين رأى ما اكرمه به من الفتح حتى ان عثنونه ليكاد يمس واسطة الرحل ثم ان رسول الله (ص) دخل مكة وضرب قبته بأعلى مكة وأمر خالد بن الوليد فيمن أسلم من قضاعة وبنى سليم أن يدخلوا من اسفل مكة وبها بنو بكر وقد استنفرتهم قريش وبنو الحرث بن عبد مناف ومن كان من الاحابيش أمرتهم قريش ان يكونوا بأسفل مكة وأن صفوان بن أمية وعكرمة بن ابى جهل وسهيل بن عمرو كانوا قد جمعوا ناسا بالخندمة ليقاتلوا وقال النبى (ص) لخالد والزبير حين بعثهما لاتقاتلا الا من قاتلكما وأمر سعد بن عبادة أن يدخل فى بعض الناس من كدى فقال سعد حين توجه داخلا اليوم يوم فيه تستحل الحرمة فسمعها رجل من المهاجرين قيل هو عمر بن الخطاب فقال لرسول الله (ص) اسمع ماقال سعد بن عبادة وما نأمن ان يكون له في قريش صولة فقال النبى (ص) لعلى بن أبى طالب أدركه بهذه الراية فكن أنت الذى تدخل بها فلم يكن بأعلى مكة من قبل الزبير قتال وأما خالد بن الوليد فقدم على قريش وبنى بكر و الاحابيش باسفل مكة فقاتلوهم فهزمهم الله ولم يكن بمكة قتال غير ذلك وقتل من المشركين اثنى عشر رجلا او ثلاثة عشر رجلا ولم يقتل من المسلمين الا رجل من جهينة يقال له سلمة بن الميلاء من خيل خالد بن الوليد ورجلان يقال لهما كرز بن جابر وخنيس بن خالد شذا وسلكا طريقا غير طريقه وكان رسول الله (ص) قد عهد الى آمرائه من المسلمين حين أمرهم أن يدخلوا مكة أن لايقاتلوا الا من قاتلهم الا نفرا منهم سماهم أمر بقتلهم وأن وجدوا تحت استار الكعبة منهم عبدالله بن سعد بن أبى سرح وانما

أمر بقتله لانه كان قد أسلم فارتد مشركا ففر الى عثمان وكان أخاه من الرضاعة فغيبه حتى أتى رسول الله (ص) بعد أن اطمأن أهـل مكـة فاستأمنه له وعبدالله بن خطل رجل من بني تميم بن غالب وانما أمر بقتله لانه كان مسلما فبعثه رسول الله (ص) مصدقا وكان له مولى يخدمه وكان مسلما فنزل منزلا وأمر المولى أن يذبح له تيسا ويصنع له طعاما ونام فاستيقظ ولم يصنع له شيأ فعدا عليه فقتله ثم ارتد مشركا وكان له قينتان تغنيان بهجاء رسول الله (ص) فأمر بقتلهمامعه والحويرث بن نضير بن وهب وكان ممن يؤذيه بمكة ومقيس بن صبابة وانما أمر بقتله لقتله الانصاري الذى قتل أخاه خطأ ورجوعه الى قريش مرتدا وسارة مولاة لبني عبدالمطلب وكانت ممن يؤذيه بمكة وعكرمة بن ابى جهل فاما عكرمة فهرب الى اليمن واسلمت امرأته أم حكيم بنت الحرث بن هشام فاستأمنت له رسول الله (ص) فأمنه فخرجت فى طلبه حتى أتت به رسول الله (ص) وأما عبدالله بن خطل فقتله سعيد بن حريث المخزومي وأبو برزة الاسلمي اشتركا فى دمه وأما مقيس بن صبابة فقتله نميلة بن عبدالله رجل مـن قومه وأما قينتا ابن خطـل فقتلت احداهما وهربت الاخرى حتى استؤمن لها رسـول الله (ص) فامنها وأما سارة فتغيبت حتى استؤمن لها رسول الله (ص) فأمنها فعاشت حتى أوطأها رجل من الناس فرساله فى زمن عمر بن الخطاب بالابطح فقتلها وأما الحويرث بن نضير فقتله علي بن أبى طالب قالت أم هانيء لما نزل رسول الله (ص) باعلى مكة فر الى رجلان من احمائى من بني مخزوم وكانت عند هبيرة بن ابى وهب المخزومي قالت فدخل عليّ علي بن أبى طالب اخى فقال والله لاقتلنهما فاغلقت عليهما باب بيتى ثم جئت رسول الله (ص) وهو باعلى مكة فوجدته يغتسل مـن

جفنة وان فيها أثر العجين وفاطمة ابنته تستره بثوبه فلما اغتسل اخذ ثوبه فتوشح به ثم صلى ثمان ركعات الضحى ثم انصرف الىّ فقال مرحبا وأهلا بأم هانيء ماجاء بك فأخبرته خبر الرجلين وخبر علي بن أبي طالب فقال قد أجرنا من أجرت وأمنا من أمنت فلا نقتلهما ثم أن رسول الله (ص) خرج لما أطمان الناس حتى جاء البيت فطاف به سبعا على راحلته يستلم الركن بمحجن في يده فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة وأخذ منه مفتاح الكعبة ففتحت له فدخلها فوجد فيها حمامة من عيدان فكسرها بيده ثم طرحها ثم وقف على باب الكعبة وقد استكف له الناس في المسجد فقال لا اله الا الله وحده لاشريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده الا كل مأثرة أو دم او مال يدعى فهي تحت قدمي هاتين الا سدانة البيت وسقاية الحاج الا وقتل الخطأ شبه العمد بالسوط والعصا ففيه الدية مغلظة مائة من الابل واربعون منها خلفة في بطونها أولادها يامعشر قريش ان الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظيمها بالاباء الناس من آدم وآدم من تراب ثم تلا هذه الآية ياأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى الآية ثم قال يامعشر قريش ماترون اني فاعل فيكم . قالوا خيرا اخ كريم وابن أخ كريم . قال اذهبوا فأنتم الطلقاء فأعتقهم رسول الله في المسجد وقد كان أمكنه منهم عنوة فبذلك سموا أهل مكة الطلقاء ثم جلس رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقام اليه على ابن ابي طالب ومفتاح الكعبة بيده . فقال يارسول الله اجمع لنا بين الحجابة والسقاية . فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أين عثمان بن طلحة فدعى له فقال هاك مفتاحك ياعثمان . اليوم يوم وفاء وبر . قال واجتمع الناس للبيعة فجلس اليهم رسول الله صلى الله تعالى عليه

وسلم على الصفا وعمر بن الخطاب أسفل منه يأخذ على الناس فيبايعونه على السمع والطاعة فيما أستطاعوا . فلما فرغ من بيعة الرجال بايع النساء . قال عروة بن الزبير خرج صفوان بن أمية يريد جدة ليركب منها الى اليمن فقال بن وهب الجمحي يارسول الله ان صفوان بن أمية سيد قومي قد خرج هاربا منك ليقذف بنفسه في البحر فأمنه يارسول الله فقال (ص) هو آمن . قال يارسول الله أعطني شيئـا يعرف به أمانك فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عمامته التي دخل بهامكة . فخرج بها عمرو بن وهب حتى أدركه بجدة وهو يريد ان يركب البحر . فقال ياصفوان فداك أبي وأمي اذكـرك الله في نفسـك أن تهلكها فهذا أمان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جئتك به . فقال ويلك أغرب عني لاتكلمني قال فداك أبي وامي . أفضل الناس وأبر الناس وأحلم الناس وخير الناس ابن عمك عزه عزك شرفـه شرفك وملكه ملكك . قال اني أخافه على نفسي . قال هو أحلم مـن ذلك وأكرم فرجع به معه حتى وقف به على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال صفوان ان هذا يزعم أنك أمنتني قـال صدق قـال فاجعلني في ذلك بالخيار شهرين . قال أنت بالخيار أربعة أشهر .

قال ابن هشام وقد بلغني ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حين افتتح مكة ودخلها قام على الصفا يدعو وقد أحدقت به الانصار فقالوا فيما بينهم أترون ان رسول صلى الله تعالى عليه وسلم اذ فتح الله عليه مكة أرضه وبلاده يقيم بها فلما فرغ من دعائه قال مـاذا قلتم قالوا لاشيىء يارسول الله . فلم يزل بهم حتى أخبروه فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم معاذ الله المحيا محياكم والممات مماتكم .

قال ابن اسحاق وكان جميع من شهد فتح مكة من المسلمين عشرة الاف وكان فتح مكة لعشر ليال يقين من رمضان سنة ثمان · وأقام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بمكة بعد فتحها خمس عشرة ليلة يقصر الصلاة ثم خرج الى هوازن وثقيف انتهت ··

سورة المسد

مكية نزلت بعد الفاتحة وآياتها خمس

بسم الله الرحمن الرحيم

تبت يدا أبي لهب وتب

في سبب نزول هذه السورة اربع روايات ذكرها القرطبي ·

الاولى في صحيحي مسلم والبخاري وغيرهما عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما · قال لما نزلت · وأنذر عشيرتك الاقربين خرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى صعد الصفا فهتف ياصباحاه · فقالوا من هذا الذي يهتف قالوا : محمد فاجتمعوا اليه فقال : يابني فلان يابني فلان يابني فلان يابني عبد منـاف يابني عبدالمطلب فاجتمعوا اليه فقال : أرأيتكم لو أخبرتكم ان خيلا تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقي قالوا : ماجربنا عليك الكذب · قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب تبا لـك ألهـذا جمعتنا ثم قام فنزلت هذه السورة ·

الثانية : حكى عبدالرحمن بن زيد أن أبا لهب أتى النبي (ص) فقال : ماذا أعطى ان آمنت بك يامحمد فقال : كما يعطى المسلمـون

قال مالي عليهم فضل قال : أى شيىء تبغى قال تبا لهذا الدين أن أكون أنا وهؤلاء سواء فانزل الله (تبت يدا أبى لهب) ·

الثالثة : حكى عبدالرحمن بن كيسان أنه كان اذا وفد على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وفد انطلق اليهم أبو لهب فيسألونه عن رسول الله (ص) ويقولون له أنت أعلم به منا فيقول لهم أبو لهب انه كذاب فيرجعون عنه · ولا يلقونه فأتى وفد ففعل معهم مثل ذلك فقالوا لاننصرف حتى نراه ونسمع كلامه فقال لهم أبو لهب انا لم نزل نعالجه فتبا له وتعسا · فأخبر النبى بذلك فاكتأب لذلك فأنزل الله تعالى (تبت يدا ابى لهب) تب الخ ·

الرابعة : أن أبا لهب أراد أن يرمى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بحجر فمنعه الله تعالى عنه · وأنزل (تبت يدا ابى لهب وتب) هذا · ويمكن أن هذه الامور وقعت كلها فأصبحت سببا لنزول هذه السورة والذى يظهر ان أبا لهب كان يعادى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم · عداوة شديدة يحاول ماديا ومعنويا لصد الناس عن الإسلام والايمان بالرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فكان ذلك يؤذى رسول الله صلى تعالى عليه وسلم ويحزنه فسلاه الله تعالى فقال (تبت يدا أبى لهب) التباب الهلاك والخسارة · فالمعنى خسرت وهلكت وذهبت بدون فائدة (يدا أبى لهب) أى مساعيه المادية والمعنوية فلم يستطع أن يقف دون انتشار الاسلام وصد الناس عنه (وتب) أى وهلك أبو لهب نفسه حيث أصر على الكفر وعدم الايمان وليس هلاك فوق هذا الهلاك ·

ما أغنى عنه ماله وما كسب

أى وما أفاده ولا دفع عنه العذاب ماله ولا ماكسب من الاعمال ضد الاسلام أو وماكسب مما يعتقد انه ينفعه ويدفــع عنه العــذاب والهلاك فى الدنيا والآخرة فهلك هــو وأعــوانه وانتصــر الاســلام والمسلمون • وهذا اخبار عن المستقبل فالمعنى أنه يهلك ويفنى ولا ينفعه ماله ولا كسبه وتنتصر أنت يامحمد • وعبر عنه بالماضى لتحقق وقوعه فكأنه قد وقع ومضى • فهذا حال ابى لهب فى الدنيا • وفى الآخرة (سيصلى ناراً ذات لهب) أى يدخــل قريبا نــارا ذات لسان ولظــى • • •

وامرأته حمالة الحطب

وامرأته عطف على الضمير المستتر فى سيصلي العائد الى أبى لهب • اى سيدخل أبو لهب هو وامرأته نارا ذات لهب • و(حمالة الحطب) منصوب بتقدير أعنى ذكر للذم أو لان هذه الصفة هى التى كانت سببا لدخولها فى النار وفى معناها أقوال الاول أنها كانت تاتى بالحطب ذات الاشواك فتنشرها فى طريق الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ليتأذى بــه •

الثانى أنها كانت تمشى بالنميمة ضد الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فحمالة الحطب كناية عن النميمة لان النميمة تشعل نــار العداوة كما تشعل الحطب النار •

الثالث : أنها كانت لبخلها تحتطب وتاتــى بالحطــب للبيــع او الوقود مع كونها مثرية وذات مال كثير • ويجوز ان هذه الامور كلها وجدت فلذلك لقبت بهذا اللقب السيىء •

في جيدها حبل من مسد

أى انها ملازمة لحمل الحطب لاتفارقه فان من لازم ذلك يحمل على عنقه حبلا دائما • او المعنى أنها حينما تدخل النار يكون في جيدها حبل من مسد أى من ليف للاشعار بان هذه الصفة كانت سببا لدخولها في النار او لاهانتها بذلك في النار وتحقيرها او للامرين معا • هذا وأبو لهب اسمه عبدالعزى وهو ابن عبدالمطلب • وعم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وكني بأبى لهب لجماله وحسنه حيث ان خديه ووجهه كان يضيىء كالنار ذات اللهب •

(خاتمــــة)

يؤخذ من هذه السورة دروس ثلاثة :

الاول : ان النميمة من الكبائر وسبب للهلاك ودخول النار • قال الفضيل بن عياض ثلاث تهد العمل الصالح ويفطرن الصائم وينقضن الوضوء • الغيبة والنميمة والكذب • وقال عطاء بن رباح ذكرت للشعبى قول الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم لايدخل الجنة سافك دم ولا مشاء بنميمة ولا تاجر يرابى • فقلت يا أبا عمرو قرن النمام بالقاتل وآكل الربا فقال : وهل تسفك الدماء وتنتهب الاموال وتهيج الامور العظام الا من اجل النميمة •

الثاني : أن أبا لهب لم يكن ليعادى محمدا (ص) لشخصه بل انه كان ابن أخيه الشقيق ومن أحب الناس اليه قيل قد أعتق الجارية التى بشرته بولادة محمد حينما ولد • وانما كان يعاديه لما جاء به من الاسلام فلو كان محمد أعرض عن الاسلام كان أحب الناس الى أبى لهب • فكان عداء أبى لهب لهذه العقيدة عقيدة الاسلام والتوحيد ولذا

استحق اللعن والتباب والنار فاذاً كل من وقف فى طريق الاسلام وأراد صد الناس عنه وابعاده عن طريق الحياة والعمل به فهو أبو لهب ويستحق الوعيد الذى أوعد به أبو لهب والعذاب الذى أعد له والتباب واللعن والهلاك • فهذا الحكم سار الى يوم القيامة •

الثالث : فى هذه السورة دليل واضح وبرهان ساطع على أن العبرة بالعقيدة والعمل وأن الشرف والكرامة فيهما فقط وان الافتخار بالنسب جهل عظيم • فان أبا لهب كان عم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ، وكان من أشراف قريش ، الا أنه حيث كان عمله سيئا لم ينفع له نسبه ولا قرابته من الرسول شيئا بل لعن ويدخل النار مع فرعون وهامات وامثالهما • ونزلت فى ذمه سورة تتلى ويتعبد بتلاوتها الى يوم القيامة • فويل للمفتخر بالانسان ولمن يعتمد عليها يوم ينادى المنادى فاذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتسائلون •

(معجــــزة)

حينما نزلت هذه السورة وسمع بها أبو لهب وامرأته أم جميل أتت أم جميل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو جالس فى المسجد عند الكعبة ومعه ابو بكر (رضى الله تعالى عنا وعنه) وفى يدها كفة من الحجارة فلما وقفت على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم • أخذ الله تعالى بصرها فكانت لاترى الا أبا بكر فقالت له ان صاحبك يهجونى والله لو وجدته لضربته بهذه الحجارة فاه • والله انى شاعرة وقالت : مذمما عصيناه وأمره أبيناه ودينه قليناه ، ثم انصرفت فقال أبو بكر يارسول الله (ص) الا تراها رأتك قال : مارأتنى لقد أخذ الله تعالى بصرها عنى هذا ماتيسر لنا ذكره فى هذا المجال والله تعالى اعلم بحقيقة الحال •

سورة الاخلاص

مكية نزلت بعد الناس وآياتها أربع

بسم الله الرحمن الرحيم

قل هو الله أحد

اى قل يامحمد (هو) ان الشأن الذى أدعو اليه هو أن (الله أحد) لاشريك له لا فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله ولا فى حكمه تكوينا وتكليفا ، هذا · ودليل وحدانية الله تعالى انه لـو وجد الاهان أو اكثر · فاما أن يحدث الخلق بارادةالكل،فحينئذ فانكان كل واحد منهم علة تامة فى وجوده فيلزم تعدد الفاعل على مفعول واحد · وهو محال · وان كان أحدهم تاما والباقى ناقصا فالناقص ليس باله وان وجـد بارادة واحـد دون الباقى فالباقى اما عاجـز فليس باله أو ليس بعاجز فننظر لم وجد من دون ذاك فـان كـان بموافقته فان كان بارادتهما معا فيلزم تعدد الفاعل ان كانا تأمين والا فكلاهما ناقص ليس باله وان كان بارادة واحد دون الاخر فاما ان يكون لعجزه فليس باله واما للاستغناء عنه فليس باله أيضا لان الاله من كان كـل شيىء محتاجا اليـه ولا يكـون هـو محتاجا الى شيىء أبدا ·

(الله الصمد)

أى الله هو الذى يصمد أى يرفع اليه الحوائج لاغيره اذ هـو الذى يقتدر على قضائها فقط ·

(لم يلد ولم يولد)

أى لم يوجد منه ولد ولم يجد هو من والد ولا والـدة لانـه

(لم يكن له كفواً أحد)

أى لم يكن شيىء مماثلا له لافى ذاته ولا فى صفاته فيمكـن التزاوج بينهما فيتوالدا ومن شرط التزاوج والتوالد التماثل فى بعض الصفات . هذا وان نفى الولد والولادة هنا ليس كسائـر المنفيات بل ان النفى هنا نفى لامكان الولد والولادة فالمعنى أنـه ليس من شأنه ذلك فالنفى هنا متوجه الى النسبة بين بين لا الـى النسبة التامة لانه لايتوجه الحكم الى النسبة التامة الخبرية لانفيـا ولا اثباتا الا بعد وجود النسبة التى بين بين التى هى مدار النسبة التامة نفيا او اثباتا . والنسبة بين بين عبارة عن استعداد الشيىء لشيىء نفيا او اثباتا . هذا .

وسبب نزول هذه السورة كما ذكره القرطبى هو ان المشركين قالوا : لرسوله الله انسب لنا ربك او قالوا صف لنا ربك أمن ذهب أم من نحاس ام من صفر فانزل الله تعالى (قل هو الله أحد) الى آخره . فالله أحد لا اله سواه . وهو الصمد فلا يطلب قضاءالحوائج من غيره. وليس من شأنه ان يلد او ان يولد ومنزه عن ذلك كما وانه منزه عن أن يكون له مثل لا فى الذات ولا فى الافعال ولا فى الصفات ولا فى الحكم ولا فى الافعال فهـو يقضى ولا يقضى عليه فعال لما يريد يفعل مايشاء ويحكم مايريد . لا مانع لما أعطى ولا معطى لما منع ولا راد لما قضى بيده الامر كله والخلق جميعا تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا .

(خاتمة فيما ورد فى فضل هذه السورة)

أولا : ذكر القرطبى أنه ثبت فى صحيح البخارى ان رجلا سمع رجلا يقرأ قل هو الله أحد . يرددها فلما اصبح جــاء الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم . فذكر ذلك له . وكان الرجل يتقالها أى يظنها عملا قليلا . فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والذى نفسى بيده انها لتعدل ثلث القرآن . هذا . والاحاديث التى تعد هذه السورة ثلث القرآن كثيرة ووجه ذلك أن مقاصد القرآن ثلاثة الاحكام والتوحيد . والوعد والوعيد . وان هــذه السورة تشتمل على التوحيد . فلذلك عدت ثلث القرآن .

ثانيا : قال أبو عمرو مولى جرير بن عبدالله البجلى عن جرير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قرأ قل هو الله أحد حين يدخل منزله نفت الفقر عن أهل ذلك المنزل وعن الجيران . وقد ذكرت أحاديث كثيرة غير هذا تدل على ان قراءة هــذه السورة تورث سعة فى الرزق على القارىء .

ثالثا : قال أنس رضى الله تعالى عنا وعنه : كنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بتبوك فطلعت الشمس بيضاء لها شعــاع ونور لم أرها فيما مضى طلعت قط كذلك . فأتى جبريل فقــال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : مالى أرى الشمس طلعت بيضاء بشعاع لم أرها طلعت كذلك فيما مضى قط فقال ذلك لان معاوية بن معاوية الليثى توفى بالمدينــة اليــوم فبعث الله تعالى سبعين الف ملك يصلون عليه . قال : ومم ذلك قال : كــان يكثر قراءة قل هو الله أحد آناء الليل واناء النهار وفى ممشاه وقيامه

وقعوده فهل لك يارسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أن أقبض لك الارض فتصلى عليه قال نعم • فصلى عليه ثم رجع • قال القرطبى ذكر ذلك الثعلبى والله تعالى أعلم •

فتدل هذه الاحاديث على أن قراءة هذه السورة تنفع للدنيا وللدين ولحياة الدنيا والآخرة كل ذلك لان فيها الاخلاص لله وتوحيده وان الايمان والتوحيد رأس كل عمل وأفضل من كل خصلة فلا آله الا الله وحده لاشريك له ، له الملك وله الحمد يحى ويميت وهو على كل شيىء قدير ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم •

سورة الفلق

مكية نزلت بعد الفيل وآياتها خمس

بسم الله الرحمن الرحيم

(قل أعوذ برب الفلق)

كان الجاهليون والمشركون يستعيذون باشياء لاقدرة لها على جلب خير ولا على دفع ضرر • كما قال تعالى فى سورة الجن (وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا) وهكذا كانوا يستعيذون بالجن وبالرقى وبالتمائم وبالاوثان والاصنام • وحيث انه لا معيذ من الشر الا الله تعالى ولا مغيث الا هو وجاء الاسلام ليثبت هذه العقيدة ويرسخها فى القلوب • أمر الله تعالى رسوله وأمته والناس جميعا • أن يستعيذوا به لا بغيره وان يستغيثوا به لا بمن سواه فقال (قل) أى قل يامحمد وياكل من يسمع هذا الخطاب اذا أردت أن تستعيذ من أى شر كان قل :

قل اعوذ برب الفلق • من شر ماخلق •

أى التجأ الى رب الفلق لان يحفظنى من شر هذا او هذا الشر فان العوذ هو الالتجاء الى الغير لان يحفظك مما تحـذره • كما أن اللوذ هو الالتجاء الى الغير لتحصيل ماتؤمله • قال الشاعر :

يامــن ألوذ به فيما أؤمله   كما أعوذ به فيما أحــاذره
لايجبرا لناس عظماأنتكاسره   ولا يهيضونعظماأنت جابره

فالعوذ والاستعاذة من كل شر يجب أن يكون بالله تعالى لابغيره• وعلل ذلك بقوله (برب الفلق) حيث لم يقل بالله او باسم آخر من أسمائه الحسنى فان الرب فيه معنى الاعاذة فان المربى يعيذ ويصون من يربيه عن مايؤذيه ويضره • فالمعنى استعذ (برب الفلق) والفلق بمعنى الخلق والخلق بمعنى المخلوق وحينما ذكـر مطلقا سيما اذا كان معرفا باللام يراد به كل المخلوقات عامة • فالمعنى أعوذ بـرب المخلوق كله • فانه هو الذى يستطيع ان يعيذنى فانه لايحفظ من شر المخلوق الا من خلق المخلوق • وبيده زمامه والتصرف فيه • فكل من استعاذ بمن سواه او استغاث فقد رجع الى الجاهلية الاولى والاشراك بالله شعر بذلك او لم يشعر • هذا وقيل ان الفلق هو الصبح فنقول الفلق جاء بمعنى الصبح وبمعنى الخلق الا أن تفسيره هنا بالخلق أولى ليوافق قوله •

(من شر ما خلق)

فانه ان كان مافى قوله ماخلق موصولة فالمعنى أعوذ برب المخلوق كله من شر الذى خلقه كله ولا يستعاذ من شر الخلق كله الا بـرب الخلق كله لا برب الصبح فقط وان كان المآل واحدا فان رب الصبح

ورب الخلق كله واحد . وان كان ما مصدرية فالمعنى من شر خلقه والخلق بمعنى المخلوق فيكون المؤدى كما فى حال الموصولية .

فائـــدة

أضاف الشر الى المخلوق اشارة الى أن الله تعالى لايخلق الشر فلا يضاف اليه الشر حيث ان الشر انما يأتى بالنسبة وبالاضافة الى المخلوق وذلك لان كل ماخلقه الله تعالى ويخلقه فهـو خير للحكمة التى خلقه لاجلها وانما يكون شرا بالنسبة للمخلوق وبالاضافة اليه فالله تعالى حينما خلق النار خلقها للخير لتكون نعمة كما قال تعالى تذكرة ومتاعا للمقوين) .

وان كانت شرا بالنسبة لمن وقع فيها واحترق . فهى فىحقيقتها خير وخلقت للخير وانما الشر وجد بتعلق واضافة المخلوق لا بالنسبة لخلقه تعالى . وهكذا فكل ماخلقه الله تعالى انما خلقه لحكم اومصالح أنيطت به فيكون خيرا وان صفة شريته ليس الا بالاضافة للمخلوق لا بالاضافة الى الله تعالى وخلقه . ولذلك قال تعالى :

قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك مـــن تشاء وتنزع الملك ممـــن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيىء قديـــر ..

ولم يقل بيدك الخير والشر فان كل مايفعل الله تعالى من ايتاء الملك لمن يشاء او نزعه ممن يشاء واعزازه من يشاء واذلاله من يشاء كل ذلك خير للحكم والمصالح التى أرادها الله تعالى من ذلك وان كان بالنسبة للمنزوع منه وللمذل شرا .

(ومن شر غاسق اذا وقب)

بعد أن أمر الله تعالى أن يستعيذ المرء بربه من شر كل شيىء خصص بعض الاشياء بالذكر مما كان الاستعاذة من شرها شائعة بين الناس في ذلك الوقت بل في كل وقت فقال : ومن شر غاسق اى ومن شر الليل سمى الليل غاسقا لان الغسق بمعنى الظلام والليل مظلم وقيده بقوله (اذا وقب) اى اذا أظلم واشتد ظلامه وذلك بعد غروب الشفق الاحمر والابيض لان الخوف في ذلك الوقت اكثر ·

(ومن شر النفاثات فى العقد)

اى ومن شر النفوس الشريرة التى تنفث وتنفخ في العقد · ذهب المفسرون في معنى ذلك الى مذاهب شتى فمنهم من قال : المراد به نفث الساحرات فى عقد الخيط الذى يسحرن به الناس · ومنهم من قال هو نفث النفوس تنفث بالنميمة في عقد قلوب الناس فيعقدها على العداوة والشر والكراهية للغير · ومنهم من قال المراد نفث النفوس الشريرة فى عقد عزائم الخير فتحولها وتصرف صاحبها عنها · فلنا اذاً أن نقول أن الشيىء اذا ذكر مطلقا يؤخذ منه العموم الا أن توجد قرينة تخصصها ولا قرينة هنا فالمعنى من شر النفوس الشريرة التى تنفث فى عقد خيط السحر او فى فك عقد عزائم الخير او فى عقد القلب على الشر والكراهية كلها · الا انه حيث كان النفث فى عقد خيط السحر شائعا فى ذلك الزمان ذهب اكثر المفسرين الى تفسيره بذلك ·

ومن شر حاسد اذا حسد

الحسد تمنى زوال نعمة الغير وهذا الحسد مذموم ومن الصفات الرذيلة المهلكة للمرء ويروى (لله در الحسد ما أعد له بدأ بصاحبه فقتله) وأما بمعنى تمنى حصول مثل ما للغير من النعمة فيسمى غبطة وذلك ممدوح ٠ وقال صلى الله تعالى عليه وسلم ما مفاده لاحسد الا فى اثنتين العلم والمال الذى ينفق فى الخير ٠ او كما قال أى لا حسد ممدوحا الا هذا وقيد شر الحاسد بقوله اذا حسد أى اذا عمل وفق الحسد وسعى فى زوال النعمة لان مجرد الحسد الذى هو صفة فى النفس لايضر فيستعاذ منه الا اذا باشر صاحبه بالعمل وفقه وسعى فى تحصيل مايتمنى من زوال نعمة المحسود والحاصل أن الاستعاذة من هذه الامور كانت فاشية فى ذلك الوقت بل هو فاش دائما ولذلك ذكرت تلك الامور بخصوصها ٠

لئلا يتوهم الجهلة ان هذه الاشياء مستثناة فيجوز الاستعاذة منها بغير الله تعالى لان العادات والتقاليد سادت وجرت بالاستعاذة منها بغيره تعالى كالجن والتمائم والرقى وغير ذلك مما اعتمدوا عليها ٠ فكأنه قال تعالى استعيذوا بالله من كل شيىء سيما هذه الاشياءالتى تعودتم الاستعاذة منها بغير الله تعالى ٠

خاتمة فى فضل المعوذتين

قال فى القرطبى : روى النسائى عن عقبة بن عامر قال : أتيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فوضعت يدى على قدمه وهو راكب ٠ فقلت أقرأنى سورة هود ٠ أقرأنى سورة يوسف فقال لى لن تقرأ شيئا أبلغ عند الله تعالى من (قل أعوذ برب الفلق) وعنه

أيضا بينا أسير مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بين الجحفة والابواء اذ غشتنا ريح مظلمة شديدة فجعل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يتعوذ بأعوذ برب الفلق واعوذ برب الناس · ويقول ياعقبة تعوذ بهما فما تعوذ متعوذ بمثلهما · وفى صحيح البخارى ومسلم عن السيدة عائشة رضى الله تعالى عنا وعنها أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم · كان اذا اشتكى قرأ على نفسه بالمعوذتين وينفث فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه وأمسح عنه بيده رجاء بركتها · أقول فيستفاد من هذا الحديث ان النفث والنفخ للداعى أى الواقى جائز · وقد ذكر القرطبى عن عائشة (رضى الله تعالى عنا وعنها) أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان ينفث فى الرقية · قال القرطبى وأما ماروى عن عكرمة من قوله لاينبغى للراقى أى الداعى أن ينفث فكأنه ذهب الى ان الله تعالى جعل النفث مما يستعاذ منه وليس هذا هكذا لان النفث فى العقد ان كان مذموما لم يجب ان يكون النفث بلا عقد مذموما ولان النفث فى العقد انما اريد به السحر المضر بالارواح وهذا النفث لاستصلاح الابدان فلا يقاس ماينفع على مايضر فكراهة عكرمة النفث والمسح خلاف السنة · هذا وحيث انجر المقال الى الرقية فمن المستحسن أن نذكر لك حكم الرقى والتمائم هنا ·

(حكم الرقى والتمائم)

فالاول وهو الرقى جمع رقية وهى الادعية التى يدعى بها للمريض فهى جائزة بل هى سنة روى البخارى ومسلم عن عائشة أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم · كان يعوذ بعض أهله يمسح بيده اليمنى ويقول اللهم رب الناس اذهب الباس رب الناس وروى مسلم

عن عثمان بن ابى العاص انه شكا الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وجعا يجده فى جسده فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ضع يدك على الذى يالم من جسدك وقل بسم الله وقل سبع مرات أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد واحاذره • قال ففعلت ذلك مرارا فأذهب الله تعالى ماكان بى فلم أزل آمر به أهلى وغيرهم فيشرع العلاج بالادعية اذا كانت مشتملة على ذكر الله تعالى وكانت باللفظ المفهوم المعنى لان مالايفهم لايؤمن أن يكون فيه شيىء من الشرك فعن عوف بن مالك قال كنا نرقى فى الجاهلية فقلنا يارسول الله كيف ترى فى ذلك فقال اعرضوا على رقاكم لا بأس بالرقى مالم يكن فيه شرك • وقال الربيع سالت الشافعى عن الرقى فقال لابأس أن ترقى بكتاب الله وبما تعرف من ذكر الله •

(هل يجوز تعليق الادعية والتمائم)

تعليق الادعية الواردة فى الكتاب والسنة وبشرط أن يفهم معناها أجازه السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها وعبدالله بن عمرو بن العاص ومالك واكثر الشافعية ورواية عن احمد رضى الله تعالى عنهم وعنا وحرمه ابن عباس وابن مسعود وحذيفة والاحناف للاحاديث الواردة فى النهى عن التعليق مثل (من علق شيئا وكل اليه) واما الثانية وهى التمائم والتميمة هى الخرزة وغيرها من الاشياء التى تعلق على الاولاد والمريض للحفظ او الشفاء فحرام بالاتفاق قال صلى الله تعالى عليه وسلم من علق تميمة فلا أتم الله له ومن علق ودعة فلا أودع الله له • والاحاديث فى هذا الباب كثيرة هذا ماتيسر لنا ذكره وفيه كفاية والله من وراء القصد وهو على كل شيىء قدير •

سورة الناس

مكية نزلت بعد الفلق وآياتها ست

بسم الله الرحمن الرحيم

قل أعوذ برب الناس

أى قل يامحمد ويا أيها المسلم التجأ الى من هو رب الناس كلهم (ملك الناس) والى من هو مليك الناس جميعهم (اله الناس) والى من هو معبود الناس كافة ليحفظنى ويجيرنى ٠

من شر الوسواس الخناس

الوسواس بالفتح للواو اسم للموسوس الذى يدخل الشر فى قلب الانسان ويزينه فيه وهو الذى يسمى بابليس وبالشيطان وأما بكسر الواو فهى الوسوسة نفسها فيكون مصدرا ووصف الوسواس بقوله (الخناس) كصفة كاشفة ولازمة له ٠ وليس للاحتراز لان كل وسواس وداع الى الشر يتصف بهذه الصفة وهى الخنس اى الرجوع والتأخر والاعراض عن الوسوسة حينما ذكر العبد ربه ٠ ثم الرجوع الى الوسوسة حينما غفل العبد عن ذكر ربه ٠ كما ورد فى الخبر (ان الشيطان جاثم على قلب ابن آدم فاذا غفل وسوس واذا ذكر الله تعالى خنس) اى رجع واعرض ٠ فكل شيطان سواء كان من الجن أو من الانس ضعيف أمام من يذكر الله تعالى كما قال تعالى فى سورة النساء (ان كيد الشيطان كان ضعيفا) الآية ٧٥ وعبر تعالى عن خنس الشيطان بصيغة المبالغة لكثرة تردده على المسلم لاغوائه ٠ فلابد

اذاً للمسلم أن يكثر من ذكر ربه ليقابل مايكثر الشيطان من الوسوسة اليه ·

الذى يوسوس فى صدور الناس

وهذا وصف آخر للوسواس ذكر لامرين الاول لبيان الموسوس اليه فان الشيطان يوسوس الى الانسان ويدخل الشر فى قلبه ويزينه فيه · وذكر الصدر لانه محل للقلب والتعبير عن الحال باسم المحل من المجاز العقلى الشائع فى الكلام البليغ ·

الامر الثانى أشار تعالى الى أن الوسواس لايزال يوسوس ومستمر فى وسوسته كما يفيد ذلك المضارع الموضوع للاستمراروفى طى ذلك أمر تعالى العبد أن يداوم على ذكر ربه فكأنه تعالى قال ان الشيطان مستمر على وسوسته ولا يغفل عنها لحظة فداوم أنت على ذكر ربك لتطرد الشيطان عنك فان الشيطان يفر من الذكر لانه يحرقه كما تحرق النار الحطب كما ثبت ذلك فى الاحاديث ·

من الجنة والناس

الجار والمجرور متعلق بمحذوف تقديره الكائن ذلك الوسواس من الجنة والناس فأخبر تعالى بهذا انالوسواس نوعان نوع من الجن ونوع من الانس وهو كل انسان يدعوك الى الشر والذنب والمعصية أو يأمرك بها او يدعوك الى الانحراف عن دينه وشريعته · فكل من دعاك الى مخالفة دين الله والابتعاد عن شريعته عملا او اعتقادا او تنفيذا فهو شيطان ووسواس خناس سواء كان من الجن او من الانس · ويجب الابتعاد عنه والاستعاذة منه بالله ·

قال قتادة : ان من الجن شياطين ومن الانس شياطين فتعوذ بالله من شياطين الانس والجن · وروى عن أبي ذر انه قال لرجل هل تعوذت بالله من شياطين الانس فقال الرجل او من الانس شياطين قال نعم لقوله تعالى (وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن الآية ١١٢ سورة الانعام ·

أقول وان شيطان الانس أشد ضررا من شيطان الجن لان شيطان الجن يوسوس خفية ولكن شيطان الانس يوسوس علنا وكثيرا مايهيىء لك اسباب المعصية أو يجبرك عليها ·

فائـــدة

أمر الله تعالى ان نتعوذ بثلاثة اسماء من اسماء الله الحسنى بالرب وبالملك وبالاله من الوسواس · فلماذا قالوا لان الوسواس قوى ولذا أمر أن نتعوذ منه بثلاثة اسماء وهذا القول غير سديد لان الله تعالى أمر ان نتعوذ باسم واحد وهو برب الفلق من شر الخلق كله ويدخل فى الخلق الوسواس ايضا فالشيطان ضعيف أمام الله تعالى جدا وامام من يستعيذ بالله تعالى منه قال تعالى (ان كيد الشيطان كان ضعيفا) فالجواب هو لان الوسواس يأتى الى الانسان من ثلاثة جوانب ويريد اغوائه واضلاله فى تلك الجوانب كلها · فلابد أن يتعوذ الانسان لكل جانب بصفة من صفات الله تعالى التى يعود ذلك الجانب اليها ·

الجانب الاول : هو جانب الاعمال والاخلاق التى تعود الى الانسان نفسه والتى تعود الى التربية والسلوك والاخلاق فيأتى الشطان ويوسوس لان يخرجك من الاخلاق الاسلامية والتى يحبها

الله تعالى وأمر بها فى الكتاب والسنة • وليدخلك فى اخلاق سيئة واعمال قبيحة وصفات رذيلة • فيريد ان يخرج بك من التواضع الى الكبر ومن محاسبة النفس الى العجب ومن السخاء الى البخل ومن القناعة الى الطمع المذموم ومن الاخلاص الى الرياء ومن الحب الى الحقد ومن حب الخير للناس الى الحسد ومن العفة الى الفجور ومن الصلاح الى الفسق والى غير ذلك من الاخلاق الفردية التى هى مذمومة عند الله تعالى •

فيجب ان تتعوذ بالرب لان يربيك تربية تحفظك من ان يخرجك الشيطان الوسواس الى تربية واخلاق غير تربية الله تعالى وغير اخلاق الاسلام والمسلمين •

الجانب الثانى الامور الاجتماعية والادارية • فيجب ان تتعوذ بالله الذى هو ملك الناس وبيده كل الامور وادارتها من الوسواس الذى يريد ان يخرجك من ادارة الامور وفق شريعة الله تعالى ومطابقة لحكم الشريعة الى ادارتها بخلاف ما أنزل الله تعالى وحسب الهوى او التبعية •

الجانب الثالث هو الامور التعبدية فيجب ان تتعوذ بالاله المعبود والذى سن طريق العبادة وكيفيتها لان يحفظك من ان تعبده بمالم يأمر به وان تخترع عبادات من قبلك او تأخذها ممن اخترعها من عنده وذلك مثل ما ابتدع أناس أمورا يتعبدون بها ولم ينزل الله تعالى بها من سلطان مثل تلكم البدع التى اهتم بها الناس اكثر من الفرائض والنوافل الثابتة ويتناطحون عليها كما يجب ان تتعوذ بالاله لان يحفظك من عبادة غيره وذلك بنسبة مايخص الله تعالى اليه وطلب مايخص الله تعالى منه كالاستعانة به ودعائه وهو غائب

وطلب قضاء الحوائج منه مما ابتلى به كثير من الامة اليوم مع الاسف الشديد ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ٠

فائــــدة

التعوذ بالله تعالى نوعان قولى وعملى ٠

فالقولى هو أنه كلما خطر ببالك أن تخالف تربية الله تعالى تربية الاسلام والمسلمين أو أن تسوس ناسا او تدير أمرا بخلاف ما أمر الله به تعالى أو أن تعبد عبادة لم يأمر بها الله تعالى فى كتابه ولا فى سنة رسوله أن تقول عند كل خاطرة من هذه الخواطر أعوذ بالله او اعوذ بربى او اعوذ بملكى او اعوذ بالاهى من هذه الخاطرة وممن يوسوسها ويزينها الى وهو الوسواس الخناس والعملى هو أن تتمسك بشريعته تربية واخلاقا واعمالا فردية واجتماعية وادارية وتعبدية ولا تنحرف عن كتابه وسنة رسوله قيد شعرة فبذلك تكون معاذا ومصونا ومحفوظا من الوسواس من الجنة والناس ٠ قال صلى الله تعالى عليه والله وسلم (تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا أبدا كتاب الله وسنتى فيفيد هذا الحديث الشريف أن الضلالة كل الضلالة فى الابتعاد عن كتاب الله تعالى وسنة محمد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ٠

(تنبيــــه)

لقد أجمل الله تعالى خلاصة مايدعو اليه القرآن الكريم وزبدة دين الاسلام فى هذه السور القصار من سورة الماعون الى آخر سورة الناس فان كل مايدعو اليه القرآن الكريم ليرجع الى هذه الامور التالية :

الاول : ان القرآن والاسلام يدعوان الى عبادات لله تعالى مالية وبدنية وواجبات فى البدن والمال ولا يمكن فصل احديهما عن الاخرى ومن فعل ذلك بأن ادى الواجبات البدنية دون المالية او بالعكس فهو مكذب بالدين وليس صادقا فى اسلامه واشار الى ذلك فى سورتى الماعون والكوثر كما مر شرحه هناك .

الامر الثانى : يدعو القرآن والاسلام الى منابذة ومتاركة الكافرين بالاسلام ورسوله جميعا . فى معبودهم وعباداتهم وعقائدهم ومبادئهم وانظمتهم ودساتيرهم وعاداتهم وتقاليدهم . ومن لم يفعل ذلك فلا يعد مسلما واشار تعالى الى ذلك فى سورة الكافرون وقد مر شرحه هناك ايضا .

الثالث : ان القرآن والاسلام يدعوان الى العمل والجد والجهاد فى سبيل نشر هذه الدعوة وادانة البلاد لها وان النصر بيد الله تعالى يؤتيه لمن استقام على العمل وجد فى الامر ويفتح الله تعالى عليه البلاد وينصره على العباد . واشار الى ذلك فى سورة النصر . الامر الرابع ان العبرة بالعقيدة والعمل والاخلاق والاداب وكل الشرف والكرامة فى ذلك ولا ينظر الله تعالى ولا نظام الاسلام الى الحسب والنسب والآباء والاجداد فعلى المسلم العمل والتجنب عن الافتخار بالنسب واشار الى ذلك فى سورة تبت فانه لو كان للنسب اى قيمة لما وصم ابو لهب بهذا العار الذى يتلى ويتعبد بتلاوته الى الابد وهو من اشراف قريش وعم الرسول الاعظم صلى الله تعالى عليه وسلم .

الامر الخامس : القرآن والاسلام يدعوان الى الاعتقاد بأنه لا حافظ الا الله وانه هو الذى يرفع اليه الحوائج ويقضيها لاغيره

والى انه يجب توحيده فى ذاته وفى صفاته وفى افعاله وفى عبادته وفى الاستعانة به والاستغاثة اليه وأشار الى ذلك فى سورة الاخلاص .

السادس : ان الاسلام والقرآن يدعوان الى أنه لامعيذ الا الله ولا يستعاذ من كل شر الا به فيجب على المسلم أن يتعوذ به لابغيره فانه المجير وحده ولا ينفع ولا يضر الا هو ولا يجوز الاستعاذة بغيره من الجن او الانس او التعاويذ او التمائم وغير ذلك مما يستعيذ به الناس ويستغيثون اليه والى أنه لاتأثير ولا تكوين الا لله واشار الى ذلك فى سورة الفلق .

الامر السابع : أن القرآن والاسلام يدعوان الى توحيد الله فى الحكم فى كل جانب من جوانب الحياة الجانب الاخلاقى والتربوى والجانب الاجتماعى والادارى والجانب التعبدى وان كل عمل فردى او اجتماعى يخرج عن شريعة الله تعالى وحكمه وكل عبادة لم يأمر به الله ولم يعمله أو لم يأمر به رسوله فهو من وساوس الوسواس الخناس يجب على المسلم الاستعاذة منه والابتعاد منه ويجب عليه أن يعتقد بانه ضلالة وأنه وصاحبه فى النار قال صلى الله تعالى عليه وسلم اياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار) واشير الى ذلك فى سورة الناس فاعوذ برب الناس ملك الناس آله الناس من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس أعاذنا الله تعالى منه آمين والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله وصحبه او من اهتدى بهديهم أجمعين .

وهذا آخر ما وصل اليه الفكر الفاتر وأدركه الذهـن القاصـر فان كان من الله تعالى فأحمده وأشكره والا فأتوب اليه واستغفـره وقد أجتنبت كثرة التطويل ليسهل الفهم والحفظ على الطالبين وان العاقل يكفيه الاشارة وليست العبرة بكثرة العبارة • وقد وقع الفراغ من تسويده ليلة الاربعاء المصادفة للسابع من شهر جمادى الاولى سنة ١٤٠٤ المساوى لليوم الثامن من شباط ١٩٨٤ فى دارى الواقعة فى الاعظمية فى سبع ابكار ببغـداد • والحمد لله رب العالمين والصـلاة والسلام على خاتم الانبياء محمد وجميع النبيين وآلهم وصحبهم اجمعين

دعـــاء وتقديـــر

أرجو من الله تعالى ان يوفق نجلى وقرة عينى حسينا حيث بيض لى هذه الرسالة وأنشد أشعارا فى آخر بعض السور • كما واشكـر ادارة مطبعة شفيق وعمالهـا على اخراج هذا الكتاب بهـذه الاناقـة والجمال وفقنا الله جميعاً لحسن الاعمال آمين •

محمد الشيخ طه الباليسانى

المصـــادر

١ ـ القرآن الكريم ·

٢ ـ التاج الاصول فى احاديث الرسول ·

٣ ـ التفسير الكبير للامام الرازى رضى الله تعالى عنه وعنا جميعا·

٤ ـ تفسير الخازن رضى الله تعالى عنه وعنا جميعا ·

٥ ـ تفسير الامام النسفى رضى الله تعالى عنا وعنه جميعا ·

٦ ـ تفسير الامام القرطبى رضى الله تعالى عنه وعنا جميعا ·

٧ ـ تفسير الجلالين رضى الله تعالى عنهما وعنا جميعا ·

٨ ـ الجمل على الجلالين رضى الله تعالى عنهم وعنا جميعا ·

٩ ـ المصحف المفسر للشيخ فريد الوجدى رضى الله تعالى عنا وعنه ·

١٠ ـ المرشد لآى القرآن الكريم لمحمد فارس بركات رضى الله تعالى عنا وعنه ·

١١ ـ مختار الصحاح ·

١٢ ـ تفسير جزء عم لمحمد عبده رضى الله تعالى عنا وعنه ·

١٣ ـ القول المتين فى القسم بغير الله تعالى فى القرآن المبين لمحمد الشيخ طه الباليسانى رضى الله تعالى عنهما ·

١٤ ـ القول المنصف فى تفسير سورة يوسف لمحمد الشيخ طه الباليسانى رضى الله تعالى عنهما ·

١٥ ـ المطول للتفتازانى رضى الله تعالى عنه وعنا ٠

١٦ ـ شرح الجامى على الكافية لابن الحاجب رضى الله تعالى ٠

١٧ ـ تصريف ملا علي الاشنوى رضى الله تعالى عنا وعنه ٠

١٨ ـ جمع الجوامع فى علم الاصول للسبكى مع شرحه ٠

١٩ ـ تفسير لجنة من وزارة التربية ٠

ما للمؤلف من كتب باللغة العربية

١ ـ كيف تحج وكيف تعتمر فى مناسك الحج على المذاهب الاربعة طبع

٢ ـ القول المتين فى الايمان الواردة بغير الله تعالى فى القرآن المبين نشر فى مجلة الرسالة الاسلامية العددان ١٦٤ـ١٦٥ ٠

٣ ـ القول المنصف فى تفسير سورة يوسف طبعه وزارة الاوقاف ٠

٤ ـ تفهيم الامة تفسير جزء عم بين يديك ٠

٥ ـ القول الاغر فيما يلقى على المنبر ـ معد للطبع

٦ ـ هذا شعرى وهذا شعورى قصائد دينية ـ معد للطبع ٠

٧ ـ اللطف الخفى فى نظم متن العقائد للنسفى ـ معد للطبع

٨ ـ القول الوفى فى شرح اللطف الخفى ـ معد للطبع

٩ ـ القول المقبول فى بعض معجزات الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم معد للطبع

١٠ ـ الاقوال السديدة فى مسائل مفيدة ـ معد للطبع

١١ ـ القول الجامع فى مسائل اختلف فيها الاحناف والشوافع معد للطبع ٠

١٢ ـ القول الاسنى فى اسماء الله الحسنى ـ طبع

١٣ ـ القول الحصين فى تفسير سورة يس ـ لم يطبع

وباللغة الكردية

١ ـ روله پەروەری ـ طبع

٢ ـ چرای روناکی ـ طبع

٣ ـ دەنگی دەرون تفسير سورة نون ـ طبع

٤ ـ وانەی کوردزوبان تجويد قرآن ـ طبع

٥ ـ يادی رابردو ديوان شعر ـ لم يطبع

٦ ـ نامەی پرسياروەلام فی الفقه الشافعی ـ لم يطبع

٧ ـ باشترين پەند تفسير سورة الحمد ـ طبع

٨ ـ چون حەج ئەکەی وچون عومرە ئەکەی ـ معد للطبع

٩ ـ دەنگی ناودلە تفسير جزء عم ـ معد للطبع

فعسى ان يوفقنى الله تعالى لطبع مالم يطبع والله الميسر وهو على كل شيىء قدير ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم •

الفهرست

الصحيفة	الموضوع

الصحيفة	الموضوع

الصحيفة الموضوع

الفهرست

الصحيفة	الموضوع
٢٥٠	ذكر الاقوال الواردة فى معنى العصر
٢٥٢	ان هذه السورة تشتمل على جميع أمور الاسلام مجملا
٢٥٦	خاتمة مهمة
٢٥٨	سورة الهمزة
٢٦٠	سورة الفيل
٢٦٢	قصة اصحاب الفيل
٢٦٧	سورة القريش
٢٦٩	سورة الماعون
٢٧٠	خاتمة مهمة
٢٧١	سورة الكوثر
٢٧٤	سورة الكافرون
٧٢٥	سؤال مهم
٢٧٦	سورة النصر
٢٧٨	تحقيق معنى قوله تعالى « واستغفره انه كان توابا » .
٢٧٩	قصة فتح مكة
٢٩٠	سورة المسد
٢٩٠	سبب نزول هذه السورة
٢٩٣	خاتمة فيها دروس
٢٩٤	معجزة باهرة
٢٩٥	سورة الاخلاص

الصحيفة	الموضوع

جدول الخطأ والصواب

الصحيفة	السطر	الخطأ	الصواب
١٩	٧	بـراء	بـرآء
٢٠	٥	فتأتوا	فتأتون
٢٢	١١	الأنفام	الانعام
٢٤	٠١	بقرينة	بقرنية
٢٧	٠٥	النقحة	النفخة
٤١	٠٧	جع	يرجع
٤٥	٠٩	ويخاف	وليخاف
٥٦	١٠	أنتم	أأنتم
٥٦	١٢	ومزغاها	ومرعاها
٦٠	١٨	فبقت	فبقى
٦٣	٠٨	الفى	ألف
٦٣	١٥	نقدم	تقدم
٦٤	١٩	المنصم	المفصف
٦٩	٠٢	أوضحها	أوضحاها
٨٣	١٧	هنا ترك آية	لكل امرء منهم يومئذ شأن يغنيه
٨٣	١٨	يوم اذ	يوم آن
٨٥	٠٤	وهى	وهو
٩٣	٠٩	بغرتى	بعزتى
٩٦	٢١	ظهو	ظهور

الصحيفة	السطر	الخطا	الصواب
١١٢	٢٢	كنوا	كانوا
١١٤	١٥	ذلك	وذلك
١٣١	٢٢	الثوراءوالجوزراء	الثور والجوزاء
١٣٥	٨	فحذت	فخدت
١٣٦	١٣	ومانقحوا	ومانقموا
١٣٩	٠٧	لكن الذى	لكن من الذى
١٤٣	٩	التأتيث	التأنيث
١٤٦	١	لقدار	لقادر
١٤٩	٢	وسبحان	وسبحان مصدره
١٥٧	٧	الذاريت	الذاريات
١٥٧	١٩	بسمن	يسمن
١٦٠	٧	ليس	وليس
١٦٠	١٦	ولعروج	والعروج
١٦٣	١٢	تعاللى	تعالى
١٧٥	١٧	الحلام	الحلال
١٧٦	١٥	بينها	بينهما
١٧٦	١٥	التار	النـــار
١٧٨	٠٣	يجعلونهم	يجعلوهم
٢٠٦	١	كل منها	حذفمن كل منها
٢٠٨	٠٢	فى كتف	فى كنفه
٢١١	١٧	والابتغاء	وابتغاء

الصحيفة	السطر	الخطأ	الصواب
٢١٣	٠٩	سينين	سينين ومكة
٢١٣	٠٩	فالاولى ماقال	يحذف لانه زائد
٢٢٨	٢١	يحيانى	يحبانى
٢٣١	٠٥	البيبة	البينة
٢٣٥	٠٥	الا قمه	الا قا
٢٤١	٠٥	فأترن	فأثرن
٢٤٨	١٧	الحميم	الجحيم
٢٥٤	٠٩	ان لا اله الا الله	يضاف وان محمدا رسول الله
٢٥٩	١٧	فشبه	شبه
٢٦٢	١٧	وقطعوا	وفظعوا
٢٦٣	٠١	مصى	مضى
٢٧٢	٠٦	كله	وكله
٢٨١	٢٠	فالتفتت	فالتفت
٢٨٣	١٣	خرج	وخرج
٢٩١	٠٩	تب	وتب
٢٩٨	٠٦	وان الايمان	وان الاخلاص

هذا ما وجدنا من الاخطاء فصححنا ويمكن ان توجد اخطاء اخرى لم نتنبه لها واعتمدنا بعد ذلك على ذهن القراء الكرام ونرجو تصحيحها ان وجدوها والله الموفق وهو يهدى السبيل ٠

السعر ١٧٥٠ فلسا

رقم الايداع ٦٢٣ في المكتبة الوطنية ببغداد لسنة ١٩٨٥